



جمال الغيطية

Amy



حجامة الحجى

يوميات الحج





الطواف .. من القُدوم
إلى الوداع ..

Amy

.. صفة ..

اليوم سبت . المجلس من نى الحجة . الوقت ليل ، ترتفع أصواتنا بالقلية ، بينما يزداد اخترابنا من المركز ، من لب القلب ، من لبنت العمور ، تلعب آباء العمرة قبل الدخول في مناسك الحج .

مداخل المدينة القديمة لا تزين بالزحام الرغيب الذي حدثتوا عنه أثناء إقامتنا في جدة ، يظهر عدد الحجاج هذا العام بثلاثة ملايين .

مع بدء انحسار الطرق الحديثة تطلمت إلى الأمام ، منتظرا لحظة ظهور مؤذن المسجد الحرام .

مع الاقتراب ترتفع الكثافة الإنسانية ، المصحح في لباس أبيض . سواء كانوا محرمين أو يرتدون ثيابهم العادية ، أحرف الطريق . جنته عام ستة وثمانين وتسعمائة وألف ، آباء العمرة .

دلايح البشر متباينة ، من كل فج عميق ، اللباني تعلق لافتات مكتوبة بالعربية ، والفارسية ، والأوردية .. والانجليزية . ووقوف أكثر من عمارة فركت إعلانا عن مؤسسة لجمعية لطرفي المسلمين القادمين من بلاد ما وراء النهر ، من سمرقند وبخارى ، من طشتند وحشق أهد وياكو ، ومحراء آسيا الوسطى ، يؤمنون فريضا الحج لأول مرة منذ عقود طويلة يحرم هذا العدد الضخم منهم ، أربعة عشر ألف حاج من وراء قنهر استضافهم عادم الحرمين الشريفين هذا العام على نفقته الخاصة . وعلا عمل نو أبعاد إيجابية الأثر . محمود في مجمله .

لرى بعض ملحق الحرم ، التوب ، الكفر ، الطلع ، تعلم الأصوات
بالنسبة . لتولى الطرق العلوية والاتصال التي فتحت في الجبال
الصخرية مسافات طويلة حتى تسهل عملية التور والانتقال المحتاج ،
ومع كل هذه الجهود فإن الزحام يستدعي إلى الفهم يوم الحشر ،
عينا كنت أحاول استيعاب ملامح المكان الذي تتحرك عبره حول
الحرم لتصل إلى نقطة يمكن الوقوف فيها ، الحق أن المنطقة المحيطة
والزوايا وشوارعها المتطراش معماري الباني الرقيقة ، تطرز الخشونة .
لكم أنسى أن هناك تشطيبها بحيث يصبح المسجد الحرام هو المركز
الذي تبدأ منه المدينة ، بحيث يمكن رؤيته من مسافات بعيدة لمن
يدخل مكة ، كيف يتعلق ذلك ؟

لا لأرى .. ولكن البلد الذي يقوم بهذه الجهود لبقارة في سن
الاتصال والطرق ، البلد الذي لم فيه التشطيب والتشييد واحدة من
أجمل المدن العربية ، أقصد مدينة جدة التي تعلق فيها توازن
مدهش ورائع بين الأصالة والمعاصرة ، البلد الذي خلق هذا القاهر
على فعل هذا في نفس المدن .

على مسيرة من الحرم نشاهد السيارات ، الأخطان بعض
المحتاج ، خاصة من شرق آسيا يلتمسون تعاملات على وجوههم ،
الزحام شديد ، لكنني كنت مستغرقا فيما أنا مقدم عليه ، وفي
لحظة خاطئة ، عابرة ، مرت بين أمتاد عيور السيارة لأحد الجسور
المحيطة بالحرم ، في لحظة معينة لتسوقنا على ساحة ضيقة ، لا
لأرى حتى الآن إنما كانت جزءا من الحرم أو خارجه ، كانت
مزدحمة بعدة هائل من البشر ، كلهم يرتدون البياض ، وحدث أن

فتياب بين المجموع ، أما الوجهة ليست مجرد علامات ناتجة عنها بل لون الشعر الأسود ، لحظة وقوع بصري على الحشد شملت ، وحتى الآن لا أعرفى .. على اللحظة حقلية ، أم أنه يشترك في الحقل مع القتراب من المركز ، من قلب ، قبل أن لوغزل وأصبح مجرد علامة في هذا الحقل الهائل ، فننتقل الفردية ، وتنحلق الإنسانية مع القتراب من البيت المتين والطرف به ..



الطوائف بالتحفة ..

لربح سرعان جئت إلى المسجد الحرام من نفس الجهة قبل
شروع في الطرف ..

طواف العمرة ..

طواف القدوم ..

طواف الإفاضة بعد الوضوء بحرة والنظر إلى الزلزلة فعلى ..

طواف الوداع ..

في كل مرة أنظر اجتهاد الأعمدة ، ولحظة وقوع بصري على
الكعبة لأول مرة ، وفي كل مرة كأنه لغوم جديد ، أنوار
خطات ، هذه الحركة الدائرية لآلاف البشر ، الضاحكين من كل
عرب ، امرئهم تلك الشاعر لتأجبية ، والوجد القوي ، البعض
يجد لها تفسيرها ، والبعض يمارسها كظفر من بدون أن يلهم
مدلولاتها ، والبعض يسلّم أمره كله إلى اللحظات وما يكون منها
وعت ، وبالنسبة لي ، كنت مجسما للهؤلاء جميعا ..

وعندئذ أثناء الاقتراب يلين لأن نعمة من يوفى وهوانى . وأنت
كلما دوت ، كلما نوى الحوار ، وزادت المواجد .

قال الصوفي العظيم التبلى لصاحبه وهو يحاوره :

« بيت ؟ »

قلت : نعم .

فقال لى : وجدت جواب التلبية بتلبيتك منه ؟

قلت : لا .

فقال : ما البيت . . .

ولكن بالنسبة لى مع المتواصين من النحلة الحاذية للحجر
الأسود ، حيث أبدأ طوائى ، كان لى وشائج قوية وعائلة بينى
وبين هذا البيت .

ليس هنا مجرد بناء من حجر ، لكنه تطعيم لما كان وما
سوف يكون .

هذا الأصل لصور ظلمتها منذ أن فتحت مسام وحس على
الدينا ، صوت الأذان الذى ترسب فى وجدانى منذ الطفولة إنما هو
دعوة للتوجه إلى هذا البيت ، إلى صاحبه ، إلى الله ، الصورة
محفورة . مشرفة مع كل خطوة من العمر ، وأبناها فى الصور
المعلقة ، متسوجة فوق أشرطة الصلاة ، فى حين ترمى إلى الجفن .
إلى الوجود فى هذا المكان ، ما من موال لو غناء شمس مصرى إلا
ويطبخ وجدًا وشوقًا لزيارة البيت ، والنسب العظيم .

أبداً طوافي ، لماذا يختطف الإنسان رأسه نطقاتها ، وإذا رنا وتطلع
 فإذا على استحياء ، من كثافة أنحاء الدنيا بتوجه المسلمون إلى
 قبلة البيت ، يضبطون اليطبات ، ويحددونه بالخرائط ، بالألوان
 التي لم يتوقف تطورها قط لتحديد ألقى توجه صوب القبلة ،
 ولكن .. هنا يتحول الشوق كله إلى قبلة ، إذا تبدأ الصلاة تتحلق
 الصلوات دائرية ، حول المركز ، المركز القرني واللامرني ، أرى
 صفوف المسلمين ، الركب ، السجود حول الكعبة . أنتظم بينهم ،
 ثم لرغم حول الكوكب الأرضي ، تتسع المسافات ، وتلغوم مناطق
 يصعب اجتيازها ، ولكن في كل لحظة ومع اختلاف التوقيت ،
 تتفرج جباه عظماء ، وسطاء في الأرض متوجهة صوب هذا البيت .
 يفتد على روحى أثناء الطواف كل الأحبة ، الذي رحلوا والذي
 بقوا ، لأذكر والذي رحمتها الله ، كان الجن إلى البيت والمخ
 لمنية توارى معها كل الأميكت ، كانا هما ألقى منى ، ولكنهما
 رحلا قبل أن تساعد الحيلة وتعين .

الزرف دسماً ، عليهما ، وعلى الأحبة الذين رحلوا ، وعلى
 كثير ، كثير . بعضه يكتسى قروح به والبعض لا يفتقر .

لما يشعر الإنسان أنه ضعيف ، وأنه يعجز ، وأنه قوى إليها ؟

القلب في أقصى درجات الحضور مع الله ، والمخزون شفيف ،
 والأمل قوى ، مع بداية المنظم في الطواف ، إذا كنت أنتظم في
 ظاهور عمود أربعة عشر يوماً لم تتوقف حركته قط منذ نزول
 الرسالة ، ظاهور طائف فيه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ،

والصحابة ، والأولياء ، وكروام الخلق . وحرر مشفق من الأذى في
الأبد وما لنا إلا نلطفه فيه .



وجوء من الطوائف :

هزلا - من إيران ، وهزلا - لهم سلاح السيوف . لما احتجاج
الصفويون لهم كثير ، يكتسب ليرزهم عن بعد ، أسمع من يدعو
بالروسية ، حجاج أسيا الوسطى الذين اختربوا حيناً عن لغتهم
ولكنهم لم يتفعلوا عن الأصول .

الحج من يحصل بين يديه كشيئات نحوي تصورها بالعربية ،
وبلغات أخرى ، الحروف لانهية والتلق عرض .

حجاج من الصين ..

من كل ليج ، أذلة يتدعون في كتلة مترامية ليسوا الطريق .
فجاء أحد أسرى سبلة الترقية حصل على ظهرها طفلاً رضيعاً يطل
بوجهه القوي ، من كيس القماش الذي شدته الأم إلى ظهرها ، في
مرا أخرى لمت وجلا يرفع على يده رضيعاً وما لا يتجاوز شهرين .
في مرة أخرى رأيت جنكاً مدججين بالسلاح ، يحيطون بشخص
في كرشياتان القصر . يرتدي ملابس السيوية سوداء ، يمشي
منحنيلاً حول الكعبة . إنه سلطان بروناي ، وكان يتلقاه شيخ
مسيب للحمية يرفع صوته بالأدعية ! سرعان ما أجازوه ، ألح بعض
رفاق الحج للمصحات محافظة . الرزيب الكبير ، سلامة أحمد
سلامة وزوجته الألمانية المسلمة ..

الشاعر محمد إبراهيم أبو ستا وأسوته ..

أحمد عباس صالح وزوجته ، كان يتحامل على نفسه في
طواف والسي ، شفاء الله ..

ظننى العيون وسرعان ما تشرق ، أما يدى فلم تطارق يد
زوجتى ، عظم البشر عائل ، والحسد كليل ، طفت عصراً ،
وغرب فجر ، وعند الغروب ، ونى الساعة صباحاً بعد أن أمتا
مناسك الحج ، وجتا نودج البيت ، ونسألنن في الرحيل .

أنت طواف الربيع ، وتذكورت طواف القوم ، الأول والأخر ،
وما بينهما يسمى الإنسان . لعله يُجزى ..



يا حماد الحمير ..

منك ولك سلام ..



.. رغم نمرودة الزحام ، فقد استطعت اقتناص لحظات للتأمل
والاسترخاء ، سواء في الحرم للكنس ، أو في عرصات أو في منى
حيث يبلغ الحشر كشدته ..

وإذ عدد الحجاج هذه السنة على مليونين ، وما رأيت به بعض
أكثر من بالعدد من ثلاثة ملايين ، ورغم الجهود الهائلة المبذولة ،
فإن ضخامة العدد يستلزم أي إمكانيات ، إن الدول المعظم لا
يمكنها مواجهة مثل هذا الظرف . نزول مليونين أو أكثر في مكان
معين ، لمركبهم ، إقامتهم ، تأمينهم لفلت لا يعقل عن تحديد
عوارض من قبل المملكة العربية السعودية لعدد الحجاج بما يتناسب
مع قدرة الأماكن المقدسة على الاستيعاب . مع إعطاء الأولوية لمن
لم يسبق له الحج ، فقد قللت بالبعث وهم يحججون للمرة
الثانية أو الثالثة .. كل واحد من هؤلاء يزاحم أو يأخذ مكان
من لم يسبق له الحج .

الزحام يحول المشاعر إلى معاناة ، ويجردنا من أبعدها الروحية ،
يصبح هم الحجاج إيجاد مكان في الشارع لينام فيه بدلاً من العبادة
للمسك ومعاشة أبعدها الروحية ومعناها رغم الزحام للهول لنقول
إنني استطعت انتزاع لحظات أفرد فيها بنفس في الكعبة ، والتي
كنت أتلق بها عبر نظراتي بعد انتهائي من الطواف ، ومع كل
مرة كنت أجد هذا الحوار القصص : الحفي ، الذي لا يمكن بلورة
معانيه في لفظ أو جملة ، من خلال الأعمدة والأبواب كنت أطلع ،
وفي كل مرة أرى عالم ألق عليه من قبل .

بعد طواف القدوم الذي أودته عاصراً في مرحلة قبض وهيبة
صعدت إلى الطابق الثاني ، هنا الزحام أقل ، وإمكانية الاقتراب
أسر ، تلبس الكعبة من الطابق الثاني بصورة مختلفة ، ليست

فعتبرت بكسرة الهمزة الجليظة ، وأصوات فيشر الذين يرتدون
لباس في حركة دائرية لا نهياً ولا تتوقف كأنها الزمن نفسه .

استندت ظهري إلى عمود رخاسي ، كنت لواجه الكعبة وظهري
إلى المسعى الجديد الذي تم إنشائه في الطابق الثاني ، وأثره عظيم
في تفسير علي الحجاج .

فولت ما بين العصر والمغرب ، إنه الأصيل ، وحث لربك سورة
العصر التي أحفظها عن ظهر قلب .

« والعصر .. إن الإنسان لظلم خسير .. »

كنت أأمل تنهار القباب كالعصر الليلي ، وأطوف ببصري في
فضاء تم أحط عند الكعبة ، يبدو الإحساس بالزمن فيها هنا ،
خاصة مع القربى مواعيد الصلاة ، وترقب انطلاق الأذان الصاعد
إلى السماء مباشرة ، مع تغير الضوء وسيله إلى الإصفرار ، قلت
أسراباً من حمام ، اغلظت في رقابي ، وحث أتابح حركته .

ظهوره وانحنائه ، علوه وصموده ، كان يعضه بقرب من الكعبة
إلى حد لئكة لا يمسها ، يبدو وكأنه يشارك الطائفتين حركتهم
الدائرية ، يمكن لأي حمامة أن تلامس أي موضع في الحرم ، إنه
حمام الخس ، أمن هنا تماماً مثل أي كائن حي ، وإلى إنسان و
تذكرت أسراب الحمام التي وقفت بينها أمام الحرم ، ما من طائر
يشير عندي الحنين والشجي مثل الحمام . منذ أن كنت لرب
أسراب في فضاء الجمالية طملاً ، إذ يطوف بثلاثة سيدنا وسولانا
الحسين . وتلك الحمامة الوحيدة التي كانت لي ، كل ظهيرة فوق
السطح ، ويتردد عددها ، هذا الهديل صبح عندي كل ظهيرة .
وأصبح من علامات أيامي ..

لما حرم الحرم كله منزلة خاصة . إنه حمام الحمى . يتروك
ذكره منذ حقب بعيدة ..



في الزمن القديم

يعتبر رحلة ابن جبير من أقدم الرحلات المدونة في الأندلس
العربية . جاء إلى مكة من الأندلس في نهاية القرن السادس
الهجري . ويحيز ابن جبير بقلة ملاحظاته . فقد ذكر حمام
الحمى ، بقول :

« ومن أيات البيت العتيق أنه قائم وسط الحرم كالبرج المشيد
وله قنطرة الأعلى ، وحمام الحرم لا أحصى كثرة ، وهي من
الأمن بحيث يفسوب بها الثقل ، ولا سبيل لأن تنزل بسطحه
الأعلى حجارة ولا تحمل فيه بوجه ولا على حال . فترى الحمام
ينجلي على الحرم كله ، فإذا فرغت من البيت فرجت عنه بهذا أو
شمالاً ، والظهور سواها كذلك ، وفرأت في أعياد مكة أنه لا يتزل
عليه طائر إلا عند مرضى بصيته . فإذا لم يموت حينه لم يبرأ .
تسجدان من ثورته الشريف والكرام .. »

ما رواه ابن جبير لشهيدته بعد مضي ثمانية قرون ، تذكرت وصف
محمد لبيب البتانوني الذي وافق عباس حلي الثاني في بداية
القرن الحادي عشر ، وقول مشاهداته في كتاب «الرحلة الحجازية» ويعتبر
من أجمل وأفضل الكتب التي وصفت رحلة الحج . ويقول البتانوني
عن حمام الحمى :

«حمام الحرم المشهور بحمام الحمى بلا سطرحة الحرم ومناخه
وحالته ، فتجده معشاشاً هنا وهناك ويحتمل زواجات زواجات في
جهات كثيرة من ضمن الحرم وعلى الخصوص في الجهة الغربية .

حيث يوجد غير واحدة من فراء القوم يمين حب الفصح للتعجيل
والزوار بلصق إلتاقه إلى جهوش هذه الحمايات المستأسة التي تكاد
تتوقف على رؤوس القوم لأنها لم تعرف منهم في حياتها إلا كل
لطف وأنس ، ولتست هذه المصيبة بتوح الحمام ، ولكن كل
حيوان دخل الحرم فهو لمن حتى ذهب بعضهم إلى قتل الحية أو
المعروب في الحرم احتراماً له وإكراماً لها فيه . . .

يذكر البناتوني بترأ شوك منكة تحت جبل أبي ليس يقال لها بئر
الحمام لتتجمع أسرابه عنده وتشرى بحرية وأمن ، والآن يمكن
للحمام أن يجد الماء والقطاء بسهولة ، خاصة في المنطقة المحيطة
بالحرم حيث تتكاثر أسرابه وتتخط بالثرة . فكلل يسمى فوق
الأرض . يقال أن حمام الحمس كله من نسل تلك الحمامة التي
عاشت على الغار أثناء احتفاء فرسول عليه الصلاة والسلام مع
صاحبه داخله .

والذكر حمامة نوح ، أول من بشرت بظهور الهابسة بعد الطوفان ،
وعادت إلى السفينة لتسكن بالسلامة ، فذكر شعوباً قديمة قدمت
الحمام ، وجملة مرادفاً للروح ، كان مطلقاً عند الساميين وعند
الفينيقيين يمثل السماء والنجوم .

ولكن لحمام الحمس منزلة فاضلت كل منزلة أخرى قرأنا عنها لو
نقلها في أخبار الأولين والآخرين .



فراء الوحشة

يقول القسيري في كتابه «الحيوان» عن كتاب «عمل اليوم
والليلة» لابن السني عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل :

إن علياً رضي الله عنه شكك إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 الروحنة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند عبده . . .
 تولفت ظهراً أمام تلك الظنور ، لسيدنا علي بن أبي طالب عزلة
 خاصة عندي وفي ظني ، وإحلال تكوش في الحرم الكبري . كنت
 ألتحق إلى الجهة التي كان فيها بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ،
 الذي وصفه البناون في رحلته الخطيرة لول القرن ، كنت أتلول أن
 لرى بالهبة بعضاً من الأحداث العظم الإهيلة التي سمعنا وفرأنا
 تفاصيلها ونحن عبيدة صغارا . عندما تم سيدنا علي في فواتي
 لمعظمي ليلة أن تصعد للشركون لقطه . هنا أهدأ وأبث ، لو عظمت ،
 كتمس عطراني ، فربما الأسم بلدي في نفس الوضع الذي علمه بعينه
 نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، لو أهد صعبه الأكرمين .

إذا صحت الرواية ، فأين نطق سيدنا علي بالهبة ؟

هذا لو في المدينة ؟

ظهراً أو خفياً ، لو عند دخول المغرب ؟

بأنا كان ينسج ، وأي أسور جعته بنو لحد الروحنة . ما أكل
 هذه الكلمة ، وما أتناها بالدلالات .

شكك سيدنا علي الروحنة . فصعبه الرسول الكريم بالتحاذ الحمام
 رقبنا ، للونسة والمعطب الروحنة ، أي وحشة لمركتك يا سيف الله
 لقلب ؟ أي وحشة ، هل تنبه تلك الروحنة التي تواتس أحياناً إذ
 يتدبب وعين بلفظ الأحباب وغيب الأصحاب ، إذ يتعاطف للقي
 ويصعب لمرى ؟

أي وحشة يا سيدنا علي ، يا ولد الحسن والحسين .

أي وحشة ؟

روى جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال :
«كنت أتكلم في الله تعالى فزاورها فأوحى الله إليها لا يحسن
إليك قولاً يحزنون إليك كما يحزن الحمامة إلى فراخها . . .»

عنه الحسين الكاظم ، المقصود بالوجه العسل ، الميت في صدور
الطير ، في مشارق الأرض ومغاربها ، هذا الحسين تشببه
بالرسول الكريم يحزن الحمام إلى فراخه ، فما ليق وما لشجن .

كأنه الحمام بالفلان ؟

يقولون أنه يطلب وكثره وهو لرسول من ألف فرسخ ، وربما اعتيد
وقاب عن وطنه عشر حجاج فأكثر ويقل على ثبات حفظه وفرة
حفظه وحنينه إلى وطنه ، حتى يجد فرجة فيطير إليه .

ما كتبه الحمام بالإنسان ، يقول ابن قتيبة في «عيون الأخبار»
عن الثوري بن زهير أنه قال : لم أر شيئاً قط من رجل لو سمعته إلا
وقد رأيت في الحمام . رأيت حمامة لا تهرد إلا ذكرها وذكرها لا
يرهد إلا أثناء حتى يهلك أحدهما لم يفقد . . .»

ذكر البيهقي في تاريخه أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين مفسر
الأحلام الشهير ، قال له : رأيت في النوم كأن حمامة قنطت
لؤلؤة فخرجت منها أعظم ما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى
قنطت لؤلؤة فخرجت منها أصغر ما دخلت ، ورأيت حمامة
أخرى قنطت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء ، فقال ابن
سيرين : أما التي خرجت أعظم ما دخلت فذلك الحسن بن أبي
الحسن البصري يسمع الحديث الشريف فيجوده بطلقه ثم يهل
فيه من مواضعه ، وأما التي خرجت أصغر ما دخلت فذلك محمد
بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه ، وأما التي خرجت كما
دخلت فذلك قتادة وهو أحفظ الناس .

روى ابن وهب أن حمام مكة أنزلت نبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة .

ويقولون في الأمثال الممن من حمام الحرم والقف من حمام مكة . قال صديقي يوسف الشريف وقد حج هذا العام ، وهو عمير بالحمام ، إن حمام الحرم ينتمى إلى حمام الرسالة نوع من الزاجل ، ومنه لا يرى إلا في الأماكن المنيعة ، ثم تشارك بالثلا . إنه حمام تاريخي ..

في المدينة النبوية تأملت لسراب الحمام تطرف بالقبة الخضراء الشريفة ، وما بين حمام الحرم في مكة وحمام الحرم في المدينة المنورة وتعرف قلبي وحيا ، وتذكرت تلك الأبيات التي أرمدها دائما ..

وب يولساء عنـتـرف بالظـمـس
ذات شـجـر عـرـجـت في فـنـن
ذكـرت إلفـا ودهـرـا عـسـالـفـا
وبكـت شـولـسا لـنـهـاجـت عـزـزـي
فـسـبـكـانـي رـمـا أـلـسـهـا
رـسـكـالـعـا رـمـا أـلـسـي
والمـد اشـكـو لـمـا أنـهـمـها
والمـد اشـكـو لـمـا لـفـهـمـي
فـيـر أـسـي بـالـجـسـوي أـعـرـفـهـا
وهـي أـلـفـسـا بـالـجـسـوي تـعـرـفـنـي

فيا رمز السلام ، يا نسل الحمام الذي خلق القفار ، وورث فوق
سبد البئر ، لك الحنين مني ولك يا حمام الحرم سلام .. .



المعبر
من الله .. إلى الله ..



ويوما جرى تلك

في الزمن القليل المنصوص ، يوم يصعب تعيينه الآن ، وقع هذا
المشهد الذي يتكرر يوميا آلاف المرات ، ويؤاخذ به الحجاج والمتمسك ،
نكاته استعانة لما كان ، واحياء للذكرى ، وتحييد للصورة ، يوما
ما ، قبل ظهور مكة إلى الوجود كمدينة ، بعد بناء سيدنا إبراهيم
البيت ، جاء بزوجه هاجر وابنها الرضيع إسماعيل ، تركهما عند
البيت وليس بالموضع أحد ، ولا ماء ، ولجح إلى جوارهما جرابا فيه
لر وسقاية فيها ماء ، استغرقتا عنهما فبعتت الأم ، قالت :

« يا إبراهيم أين تذهب ؟ هل تتركنا في هذا الوادي الذي ليس
فيه أنيس ولا شئ . »

كبرت تلك سمرًا ، وعمر لا يلتفت لهما ولا يجيبها ، وعندما
قالت :

« امرك الله بهذا ؟ »

قال :

« نعم . »

قالت مستظفة .

« إذن .. لا يضيئنا .. »

ثم رجعت إلى ابنتها الرضيع ، انطلق سيدنا إبراهيم حتى إذا
نوازي عنهما وراء تربة من الأرض ، استقبل بوجهه البيت ثم
دعا ربه قائلا :

« ربنا إني أسئلك من فرائس بلاد خيبر في ذرع عند بيتك
الحرم . . . حتى بلغ « يشكرون . . . »

راحت الأم لترفع ابنها والشرب من الماء ، حتى إذا فقد ما في
الشفية عطشت وعطش الابن . راحت نظريه ينظري مشاكلا ،
والنساء في الواسي الخمار الذي تحبته الجبال الصم ، الطالعة شديدة
لو حردا عليه مضاعف .

لم اتصل الأم ، فاطقت عالمة ، مبتعدة عنه ، ربما تحصل من
شأنها . ولكن إسماجيل الرضيع ، الصغير ، إني لأتخيل صرخاته
وعذابه في الواسي الفخر ، الخشب ، واتخيل الأم له حاجر .

في الطراف ، في فترات بلاني في المسجد الحرام كنت أتود
بأخر الشديد ، أقوم لأشرب من ماء زمزم المتلج الذي أصبح في
المناول أيضا وليت وجهك في المسجد من خلال تلك الآواني
شرفانية اللون ، لو الصنوعة من الألومنيوم ، كنت أشعر بهبوط
فواني ، وبده وحتى ، فأحب الماء فوق رأسي عبا ، وأجرم الكوب
لم الكوب ، يؤانس الحمر والظما ، مع أن إمكانيات العصر كله توفر
الله الجراد ، والفروج المعطلة في سلف ، منبات لا تكف ليلا لو
هراك ، وهناك نقاط أسعاف في جنبات الحرم تقدم القواء لمن ينال
سه النصب والإعياء . كنت إذ يفركتي الإرهاق ، أستعيد تلك
ليوم لثاني ، عندما كان للكان مسجونا من كل حور ، لو اثر
شري ، وأحاول أن أتخيل من موقعي الأمن عذاب الابن الرضيع
ولهفة الأم . البهت حاجر إلى مرفع صخري ارتفته ، نظمت من
توق الصفا إلى الأرض المحيطة عليها لجد حونا ..

لكن .. لا أحد ..

نزلت من الصفا إلى الفوقى ، وفعلت فروعها ، سمعت بشقائق .
سعى الإنسان الجهود ، حتى إذا تجاوزت فوقى . وصلت إلى اللروة .
ولفت على صخرها اجالت لنظر ، ولكنها لم تر مخلوقاً ، ما من
معين .. علمت تسعى إلى الصفا ، ثم إلى اللروة .. لم تلهوفا
قائلا . متعبة ، وليدعا يدنو من الرب على سبع منها ..

سبع مرات سمعت بين الصفا واللروة ، حتى إذا بلغت اللروة
سمعت صوتاً . جاء في صحيح البخارى عن ابن عباس أنها رأت
ملكاً ، وأنه كان يلقى عند موضع زمزم . وكان يصب الأجر
بجناحية فينجر الماء .

لما ما سمعته من أبي عبد حفصلى ، وما يتناقله قومى فإن
إسماعيل عندما تشد به القمياً ، راح يصب الأجر بقلب
لحمه ، وفي إحدى هذه الضربات تنجر الماء ، وهكذا ظهرت بئر
زمزم إلى الوجود .. وهكذا بدأ حذر مكة ..

حتى تتجبل منزلة تلك البئر المقدسة بحسب أن تتجبل وهجرة
البيئة المحيطة بها ، وكثيراً ما ردت الطرف في الجهال الفاسية
المحيطة بمكة . صديقاً بينى وبين نفسى . أن أحد دلائل عظيمة
رسالة محمد عليه الصلاة والسلام . أنها نزلت بكل أبعانها
الإنسانية العالية في هذا الكفر . وتلك الطبيعة الوحشة .. هنا ..
عانت الأم ، وتألقت وسعت من أجل ابنها . من أجل استعمار
الحياة . من أجل التغلب على الحر وسقامت . ومع انتهاء سعيها
لنجر الماء ، واستمرت الحياة ..

وما تسعى إلا إحياء وترديد لتلك اللحظات اللروة الصعبة .

تلك شمسة فرضها الله تعالى . نحن عليها القربان الكريم (إبراهيم
 إصفا والسرور) من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح
 عليه أن يطوف بهما ومن تطرف حبراً فأذن الله شاكراً عليهم)

كان قسمي من شعائر الحج إلى الكعبة قبل الإسلام . وبعد
 رسول الرسالة تولى عنه المسلمون . فزلت الآية الكريمة . وسنم
 قسمي الذي يذكر بالطواف الصعب . والحنان الأمومي .

فإن الإمام أحمد بن حنبل يستدعي عن صفية بنت شيبة عن
 عيبة . قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين
 الصفا والمروة والثاني بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى يرى
 ركبتيه من شفا القسمي يلقى به لزاره وهو يقول : اسمعوا قولن الله
 كتب عليكم قسمي . . .

من يؤدى مناسك العمرة أو الحج في السنوات الأخيرة فإنه يتبعه
 مساندة بعد الطواف إلى القسمي . الذي أصبح متصلاً بالسجد
 الحرام . جزية منه . إنه طريق مستطيل . طوله حوالي سبعمائة
 متر . يبدأ من الصفا التي تبدو صغيرة حتى الآن . وينتهي في
 المروة . هذا القسمي الآن مسيطر بالرخام النعني . وينقسم إلى
 قسمين الأول للفتحيين إلى المروة . والثاني للعائدين إلى الصفا .
 عضلهما من مخمس للمعجزة والرؤس الذين يركبون عجالات
 مسرعة توترها إبلدة الحرم سبحانه . وما كان يؤثر في ولاية ابن بطيخ
 أنه . أو شلب بطيخ أياه . ولكنك تبيت لو أتيحت الفرصة لوالدي

الفرجين ، إذا كانت أمتية الممن إلى تلك القطع القليلة من الأرض
ما تطوى عليه جوارحها ، لكن الطرف لم يساعد ، وشامت
مشيت أن يرحلا ليل لفلها ، ورحمها لله ..

مع أعمال توسعة الحرم الكبي . ثم إحداد طابق ثلث للمسعى .
مزود بالصايح ، والمراوح الكهربية ، وقد وضعت جدرانها
بالرخام الجميل ، ولزقته ، ومن بين درجات الأضواء يرى
ساحل البيت العتيق من مستوى مرتفع والقوم يطوفون بها ،
كسوة البيت السوداء ، ولباس الحجاج الأبيض ، وفراخ المسجد
والصفحة ، ورحام الحرم غا وهناك ، هنا مشهد مهيب ، توفرت
به عناصر الجمال التي لا أجدها مثلاً في أي مكان في العالم .
أذكر في معنى مسألة عاجز يخف نفسي ..

أذكر في معنى الأم الرضيع ، الطائر ، فأعجل من نفسي إذ
يدركني وهي ..

عند المسألة التي نطعمها فوق الرخام الثمين ، للريح ، قطعتها الأم
اخلافة الظلة فوق قصر الحرم وعلى سنوت قديمة كان للمسعى بلح
خارج الحرم ، استمر المكان من طوال ثلاثة عشر قرناً ونصف ،
بدون مظلة .

يقول الأديبي في كتابه « أخبار مكة » أنه في خلافة أبي جعفر
المصور العبّاسي بن عاتكة على مكة عبد الصمد بن علي تروجا
على الصفا اثنا عشرة درجة ، وعلى للروا خمس عشرة درجة .

قال العمري في « مسالك الأبحار » يصف الصفا والرواة : أما
الصفا فحجر عظيم في أصل جبل أبي قبيس قد كسى بخرج إلى

أمر بوضع القوالب وأكثر ما ينتهي الناس منها إلى التي عشرة
مرة أو نحوها ، والروا حبر عظيم إلى العمل جميل فعلمنا .

يقول حسين باشا في كتابه التاريخ عمارة المسجد الحرام :
« أما من ولاية مكة أو أعيان المسلمين لم ينكر في وصف للمسعى أو
على مظلة على الحجاج من حر الظهيرة وغربة الشمس » . ثم يقول
المؤلف : « إن الشريف حسين ملك الحجاز ، أمر بإنشاء مظلة في عام
١٢٢٩ هجرية ، وبعد توحيده المملكة العربية السعودية أمر الملك عبد
العزیز برفع الشارع وم فرش للمسعى بالحجر الصوان الفرج ، وانتهى
العمل في سنة ١٢٤٥ هجرية ، وكان بذلك أول شارع يتم رفعه في
مكة على الإطلاق ، وقد عطف ذلك من مساندة الحجاج
والمتسرين ، ولكن استمرت المناجرات على جانبها ، إلى أن بدأ
المشروع لتكبير بتوسعة الحرم في عهد خادم الحرمين الشريفين نهد
بن عبد العزيز ، داخل المسعى كله إلى المسجد الحرام ، واتصل به
معمارية لأول مرة ، وم إنشاء الطابق الثاني ، وأصبح في مجمله
نظمة معمارية قنية ولكنني لاحظت أن المسعى العلوي ينتهي
من ناحية الروا يلب ينتج مباشرة على الخارج ، وفي المواجبة
لأنما مجموعة من المناجرات التي لا تناسب لربها الشديد من المسعى
مع جلال المكان » .

ومن أهل الأوصاف التي وصلنا للمسعى ما كتبه ابن جبير
الذي حج إلى مكة في القرن الثاني عشر الهلالي يقول :

« . . . وكل واحد إلى مكة ، شرقها الله ، يدخلها يمرا فمسحب
له الدخول على باب بني شيبه ثم بطرف سبخاً ويخرج على باب

الصفاء ويجعل طريقه بين الأسطواناتين القنبر لأم المهدي رحمه الله
 بإذنتهما علما لطريق رسول الله - ﷺ - إلى الصفاء ، كما تقدم
 ذكره ، وبين الركن القنبري ست وأربعون خطوة ، ومنها إلى باب
 الصفاء ثلاثون خطوة ، ومن باب الصفاء إلى الصفاء ست وسبعون
 خطوة ، والصفاء أربعة عشر برجاً ، وهو على ثلاثة أبواب مشرفة ،
 والدرجة العليا كأنها مصطبة ، وقد أحفظت به الديار ، وهي ستة
 سبع عشرة خطوة .

وبين الصفاء والليل الأخضر ما يأتي ذكره والليل سارية الخضراء ،
 وهي خضرة صافية ، وهي قنبر إلى ركن الصوفاة قنبر على الركن
 الشرقي من الحرم على فارعة المسبل إلى الروة وعن يسار الساهي
 إليها ، مكانها الآن مصباحان مستطبان من النهرين الأخضر
 يحددان المسافة التي يجب أن يهول فيها الساهي ، ومنها يؤتى
 إلى القنبر السرج ، في السعي إلى القنبر الأخضرين ، وعما أيضا
 سارتان خضراوان على الضفة المذكورة ، الواحدة منهما بزاء باب
 على في جدار الحرم وعن يسار الخارج من قنبر ، والليل الأخضر
 بدائه في جدار دار تعصل بدار الأمير مكتنر ، وعلى كل منهما لوح
 قد وضع على رأس السارية كالتاج لقيت فيه سطوتاً يرسم شعاب :
 « إن الصفاء والروة من شعائر الله »

وبعداً . .

« أمر بحضارة هذا الليل وعيافته أبو محمد المنصور ،
 بأمر الله أمير المؤمنين أمر الله نصره ، في سنة ثلاث وسبعين
 وخمسين مثلاً . »

وبين العسفا والبل الأول ثلاث وتسعون خطوة ، ومن البل إلى البلين خمس وتسعون خطوة ، وهي مسافة الرتل «الهرولة» حاتها وفاعها من البل إلى البلين ثم من البلين إلى البل ومن البلين إلى الرواة ثلاث مئة وخمسين وعشرون خطوة ، فجميع حفا السامر من العسفا إلى الرواة أربع مئة خطوة ، ولثلاث وتسعون خطوة ، وأتراج الرواة خمسة ، وهي بقوس واحد كبير ، وسعتها سعة العسفا سبع عشرة خطوة ، وما بين العسفا والرواة سبيل حر اليوم سوق «حفيظة» بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر البسعات الطعامية ، والسامعون لا يتكاثرون يخلصون من كثرة الزحاج ، وحوانيت الباحة بينا ونسالا ، وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا السرازين والقطارين ، فهم عند باب بني شيبه تحت السوق المذكورة وتطرفة تكاد تتصل بها .



هذا ما سجله ابن جبير في رحلته منذ ثمانية قرون ، لنا إذن أن نتخيل التسمي في زمن سيدنا إبراهيم عندما كان أرضا قفراء ، تهب بحرارتها لتدس الأم الملهوة على أيتها .

ولنا أن نتخيل التسمي الذي وصفه ابن جبير والذي استمر على نفس الحالة تقريبا حتى القرن العشرين ، الآن الوضع مختلف تماما ، فالسمي كله متصل بالحرم الكلي ، وكأنه بهو عظيم في نصر لم يعرف مثله في البلاد ، نصر مترامي الأطراف ، سهيب الطلع ، يتوسطه البيت العتيق ، قبلة المسلمين .

كنت مرعفا بالزحام والحرق الشديد ، وعندما ينال مني التعب ،
وتسهل خطري ولما عني ، أستدعي بخيالي عذاب الأم ولهاقتها
على ولديها قبل انيثاق لآء ، فتشجده عندي طائفة ، وتعب في
لوحلي حيرة فاضى ساعيا إلى العفا ، إلى المروة .

كنت أرى في نفسي تلعبها لتورة الحياة الإنسانية ، القفاة من
العفا تقابل القلاء ، القفوم إلى الحياة الدنيا ، ومن شروط العسى
الغنى يتناقل ، منى التعب ، الجهد ، وعلى الإنسان في القفاة
تكون قليلة مستترا ، حتى إذا بلغ فتوته يمشو ، لما كما نهول أباه ،
ثم يمر بأطوار أخرى تطل ، فيها عطاوات ، الوصول إلى المروة حتى
نهاية القصد ، سبعة لسواط ، ألا توترى العصر الإنسانى ، ألا
تقصه؟ القفوم من العفا ، قفوم من عند الله .

والسعى إلى المرو والسعى إلى الله

ومن السعى بين الصخرتين ، من فكك الإنسانى ، لفجر لآء
العقب ، لفجرت الحياة في لحظة الوصول إلى القنهاة ، نهاية
السعى .

حياة وموت وحياة ، سعى متصل من أيد إلى أيد ، وغير
الأسواط تسج يجب ألا تنسى العناية الأوموية ، واللهفة على
فرضيع وعظمة الحياة . . . وليل عفا كله يجب ألا تنسى رحمة الله
فتى فجرت لآء من الصخر وشملت كل شىء . . .





الوفوف بين يدي الله
فوق عرفه ..



لا تقوى كم مرة دعاءى الأحياء بالقولوف على معرفة؟ منذ
ظننى والدعاء يتردد على مسعى ، والأمنية تطلق من يكونون لى
جميل الود .

عالم الزمن يدور عورته ، واليوم الأربعماء التاسع من ذى الحجة ،
عام التنا عشرة والرعمائة والقب من الهجرة أناعب للمعمود إلى
عرفة .

لم يكن الدعاء عيبنا ، فلقولوف بمعرفة لهم شعائر الحج على
الإطلاق ، قال لنى معظم : « الحج عرفة » ، فقلت لنا أن تتجهل
مشاعر لوأنتك الحجاج المصرون الذين سموا إلى التكان للقدس ،
وظلوا حبسى سياراتهم ، لم يستطيعوا الوصول إليه بسبب تعظم
الزحام هنا العام .

لى الصباح الباكر بدأ محركنا من متى بعد صلاة الفجر ، كانت
الطرق المؤدية إلى عرفة تنضى بزحام السيارات ، عريبات من كل
نوع ، بعضها متقل تماما ، مكيف ، وبعضها لوأنته مفتوحة مثل
سيارتنا لنى دخلت من جهاز التكييف ، وكان قبلاء داخلها معاناة
صعبة ، هذا اليوم بالذات من أشد الأيام حرارة ، ورغم أن البشرة
كانت تقول إن درجة الحرارة مابين سبعة وأربعين وتسعة وأربعين
لى الظل طبعاء ، إلا أنى أتى أنها تجاوزت الخمسين ، وكانه
استحان من الله لنا لى قدرتنا على تحمل الشدة .

كان زحام السيارات رهيبا ، ولأنا استبطنا ميكوين ، لكننا
دعول عرفة ، وكان كثير من الحجاج يمشون على أقدامهم لى

انضمت كيبورا ، وهناك من يؤتى للناسك كلها سيرا على قدميه
من مكة إلى منى إلى عرفة ، لئلا تكسأ تكسأ الأوتار يمشون ،
والشككة تأتي من اختلاط اللثة بالعريكة ما يؤتى إلى تولف
البرور لئلا ، وختلال هذا الزحام نسج عطفة لغوي ، حرية شرط
أو إسعاف ، ويبدو عورتها مطبوحا ، فمن يفسح لمن في هذا
اغتر العظم .

كنت ألح بعض من جماعوا في عريكة فاعترت مكيفة ، أولفوها
وعم داخلها يتعمرون بالتكبيف الجراد ، اللهم أنهم تواجدوا في
مطلة الشميرة الفضة ، وفي رأس أنه لا بد من تحديد مناطق
تؤلف السيارات على تخوم الحرم ، والفصل بين الطرق واللثة
بواسطة تخصيص عريكة لهم ، أو طرق لا يملكها غيرهم .

مع دخولنا عرفة رأيت حجاجا يلقون فوق صخور الجبل ، تحت القبط
وأنف لغوا مظلالتهم قبضاء ، وكان بعضهم يلق فوق نطاق يحلوا لرق
من كهيئة وصلهم إليها ، مونا بسجد لرة ، البناء تلوكي الطراز ، لت
عائسره إلى زمن السلطان قانصاي ، بالطبع لم يبدئه خلال السنوات
الأخيرة وتوسعه ، وتكبيفه بالتكامل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام
يؤتى الصلاة في هذا الوضع .

أخيرا . . بعد ثلاث ساعات تقريبا من ملازمة العربة التي تحول
مرافها الدائلي إلى ما يشبه الفرن . . وصلت إلى المكان المخصص
لنا ، انفصل الرجال عن النساء ، نحن في عيمة وعن في عيمة ،
لاحظت نخلو الحيام من أجهزة التكبيف ، مع أنها حيام منقلة

لما ، معقد لتكوين تلك الأجهزة بها ، وفيما بعد حدثت بعض الأخطاء ، الذين نزلوا بتقييم مكبفة عن شكواهم من برودة التكييف ، وإصابتهم بالبرد ، وكلما استعدت ساعات الصيف فتنى قضبانها داخل الحجرة ، شعرت بسرور لا يجتازي الطرف والعملى هذا الحر الذى لم أحرفه من قبل ، ولأنى عشت ظروفنا متاعية أقرب إلى نفس الظروف التى عاشها المسلمون الأوائل عند حجهم إلى عرفا صيفا ، وإن كانت ظروفنا نحن أصحاب من حيث العدد ، اليوم بلغ أو يتواجد بالمكان ثلاثة ملايين على الأقل .



الوقوف .

نتشر الحجاج حول مسجد نرا ، السيارات تزحم الطرقات ، الحجاج فوق الصخور يسكون مقلاتهم البيضاء ، فى مشهد انشدهم كنت أرى معنى الوقفة .

الكل فى مكان واحد وزمن واحد ، كافة الأجناس ، هنا تنضى الفروق بين العربى والهندي والأوزبكي والأوروبي المسلم ، بصراحة لم كنت هنا من خلال الواقع فن قد بين لتسل وأهم وأكثر إنسانية من أى دعوة أخرى ، سياسية كانت أو فكرية ، هنا تسلط كل الحواجز والفروق ، الكل فى ملابس الأحرام ، إنه اليوم الوحيد الذى يجتمع فيه كل الحجاج ، يتواجدون فيه معا .

فى طرف القدوم والسسى لا يتواجد الكل معا ، إنما تجرى كافة شعائر الحج فى أوقات مختلفة ، يقدم الحجاج على دفعات على

مراحل إلى الكعبة ، إلى مواطن رمى الجمرات ، ولكن لتسبباً
أو حيفاً التي يجب أن يتواجد فيها جميع الحجج معاً ، هي
الوقوف بعرفة ، لهذا قال رسول الله - ﷺ - «الحج عرفة» .

عنا نقول جبل الرحمة وقف الرسول الكريم ليطلق خطبة الوداع
والتي نزلت عليه فيها الآية الكريمة :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي فُجِّعْتُ لَكُمْ فِي الْحَجِّ وَلِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا .. ﴿ المائدة: ٢٧ ﴾

نعم .. الحج عرفة ..

كافة الناسك الأخرى يمكن في بعضها التلذذ والتأخير ، ويمكن
في بعضها الآخر أن يستعاض عنه بشدة أو بإقامة وتوكيل ، هذا
الوقوف بعرفة يؤمن له وقتاً محدداً إن شاء الله يلزم به الحجاج بطل حجه .

عنا .. فوق القصيرتين المحيطة بجبل الرحمة وقف رسول الله -
ﷺ - ليطلق خطبة الوداع ، هنا خطا ، وهنا وقف ، وفي هذا الفراغ
تردد صوته الكريم ، في كل مكان جاء إليه ، كنت أطلع إلى معالي
الأبدية ، خاصة المرتفعات الصخرية ، وأتردد بيني وبين نفسي ، لقد
رأى الرسول الكريم ما لرى ، هنا ترددت كلماته في خطبة الوداع ،
يقول في بدايتها :

«أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لا أنوي لعلي لا ألقاكم بعد
عزاسي هذا بهذا الوقوف أيضا ، أيها الناس إن هذا لكم وأسراركم
عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم .. » .

داخل الحديقة انفراد كل منا بنفسه بنظر القران الكريم ، ويستلهم
إلى نغته بما يريد أن يفيض به إلى ربه . أثناء جلوسى مرتلا سورة
الإخلاص ، القنوب منى حاج . لهجته شامية ، تحبته طويلة ،
كتيפה ، أشار إلى خاتم زواجى (القطعة) قال :

أيا حاج .. هذا حرام ..

تطلعت إليه صامتا ، قال بلهجة امرأة :

استبدلها بالفضة ..

تذكرت الآية الكريمة «ولا جدال في الحج» ، لو سألت برلس
مرنين ، انصرف عنى ، رحت أتابعه ، محاولا طرد اعطاط عنى ، لم
يحد يوم عرفة إلا عنه للمحفوظة المشككة؟ عفت إلى أملاكي
الحامدة ، وعند الأصيل خرجنا إلى الخلاء ، توجه كل منا إلى جبل
فرحة ، إلى جهته ، فالوصول إليه كان مستحيلا بسبب القرحام .

لمت السفير المصرى محمد فتحي الشافعى بلف على رأس
مجموعة من أعضاء السفارة المصرية الذين يؤمنون بفضة الحج ،
وكت قد اعرفت إليه فى جنة ، رجل قوى الحضور ، من أكفأ
سفرائنا الذين تلمت بهم فى الخارج ، علا صوته بالدهاء ، تأثرت
عندما أصغيت إليهم ، يدعون للوطن ، يبدلون بالابتهاج إلى الله
أن يحسن نصر ، وأرضها ، وشعبها .

لمت الصيديل الدكتور محمد عمارة ، كان يلف تحت شجرة
نحيلة من تلك الأشجار المزروعة حديثا لتخفيف الهجير ، ونى
لمكان آخرى كانت تمة هربلت ترش رطلا الماء لتطيف الجو الذى

بلغ حدًا شديدًا من القبط ، توزع رفاق الحج ، انفراد كل بنفسه ،
 ومع الجمع الحاشد ، فإن الإنسان يتوجه في الوقتة إلى ربه كفرد ،
 وتجزء من هذا الجمع ، الفرح الإنساني ، والشمس ليل إلى
 لغروب ، بدأ الصمت عميقًا رغم تكاتف الحشد ، الكل يدعو ، في
 لحظة صعبة لتفعل قولي ، كل ما اخترتته غير طلب عمري ، في
 تلك اللحظات ، ينسفي الوجود المادي ، يشف الإنسان ، وهكذا
 يصير أكثر قربًا من ربه ، كنت أنتقل من الموضوع إلى المقوم ،
 بدأ من طلب الرحمة لوالدي وحتى طلب الرحمة للبشرية ،
 والدعاء أن يساند وطني وأن يجنبه الله الشرور والفتن ، وكان
 لبعض غزيرا ، متدقًا ، فكان حضورًا أخفيا داخل كل من على
 ناسي ما أقول ، سالت الشمس ، واكتست السماء لونا شغفيا بعد
 روال زرقتها .

دارت محركات آلاف العربات ناعيا للفترة ، المنسفي إلى الزلزلة
 اليد ، الإفاضة ، انتهى يوم عرفة ، وبدأ استعطاء هذا الحشد للهوى
 لمشاركة الكيان اللطيف ، الكل يتمجج ، البعض يراق للكان متبها
 على لشمبه ، رغم هدور أصوات المحركات ، لكن العربات ظلت
 مكانها لمدة ثلاث ساعات أو أكثر .



مع تقدم الليل وانتظار بدء الحركة كنت استعيد الويلفة ، هكذا
 إلى وفروني على عرفة ، أصبح اليوم الذي عيشته جزاء من وقتي
 الذي نصي ، الدائر ، مائل فط في ذاكرتي .

وتخلل اللحظات المستعانة له يرى الإنسان ملام يكن ظمراً على
 ريشه ، هكتلاً بقا لي وفوضى متفرقاً قبل الغروب نانيا ، ملبثا عن
 كل نظام ، لو واقع ماضي كئاسي كنت خارج الأكوافن كلها ، على
 حافة الوجود القرب ما أكون إلى الله . . . وقد بحث بكل ما لردد
 عتدي ، ملام يسمعه مني بشر عتلي ، ورغم انفراسي في الوقفة ،
 ظم أكن سوى قطرة من بحر إنساني يسمي إلى طلب الرحمة
 والشفوة ، وما من طريق إلى استنوار الرحمة من الله تعالى مثل
 اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد ، على صعيد
 واحد . . . وهذا لا يكون إلا في عرفة .



مرة أخرى طرت المبركات ، بدلت حركة عطيشة لكنها كانت
 ظمراً بالشفوة ، بدلت نغمتنا من عرفة إلى الزلزلة ، وكان الليل من
 حواي طرفانا من البشر ، كلهم يسمعون في الكهف واحد . .



التففة الكبرى...
من عرفة إلى الرجم



.. لحظت لانسى ..

لن نحى أبدا من ذاكرتى ..

عندما بدأت الففرة ، حفا من لغوى دلالة لفظ الاستعجم من
لحم الأزل ، ليس الحركة ، أو التوجه ، أو الانتقال إنما الففرة .
أكثر من مليونى حجاج أموا وفرفهم بين يدي الله فوق عرفات ،
بعد أيام القروب ، يبدأ امرئهم متعا عبر الطرق المرصوفة وقروب
الجمال وشعابها ، فاصدين المرزقة .

بالنسبة لى كان داخل شعور بالانصر على الذات ، كان اليوم
شائفا فى حرم ، وزحامه ، وجموعه ، وعند الظهر مرت بن لحظت
بدأت خلالها لغوى فى جب سحيق ، وما لغزارة العرق وتقصده ،
ونفاذ أو قلة ما يحويه الجسد من ملح ، ولكن ساعات الحر الصعبة
ولت ، ورجع القروب ساد صحت عميق ، وبدأت خلال تسعات
لرطب فوق الككان ، ولكنها كانت جد شاحبة .

انتظرنا أكثر من ثلاث ساعات ليبدأ تحرك السيارات وسط طوفان
عائل من مختلف التركبات ، والبشر الساعين على أقدامهم شيا .
كان الليل عميفا ، عميفا ، وكان الحجاج فى ملابسهم البيضاء
يتحركون فى كل الجهد مؤدى إلى المرزقة ، طوابير منتظفة من
حجاج شرق آسيا ، النساء ملهين علفن قطع صغيرة من القمائل
على ظهورهن ، تحمل اسم الطوف ، خوفا من قنيه ، الإبراهيم لهم
حركتهم الجماعية ، التقليدية ، كذلك الأغاثة ، حتى فى الطوائف ،
الكل نام ، متجه إلى المرزقة ، هنا لغوى بعد جمع ، صحيح لن
لكل يتجهون لإتمام مشاعر الحج التقليدية ، ولكن أهم شعيرة لت ،

«... بجمع الكفاية في مكان واحد وزمن واحد ، الآن وصلنا
فدعنا بالفعل إلى المزلقة ، والأخرون ما زالوا يسمون إليها ، وبعد
... صف الليل يبدأ رجم إبليس ، ولكن هنا كله سوف يتم على
«عنان ، ينقسم الجمع الأكبر إلى مجاميع متفرقة في الكفاية
والرماد ، فليس في ذلك شبه آخر بقدر أهمية الأهمية ، والأهمية ،
لأن بعد تفريق ، ثم نقرة كبرى إلى التفريق من جديد ، كل نفس
إلى أهل مكي .

من الطريق إلى المزلقة ، وبعد الوصول إلى مشارفها ، كنت أتلو
نشاعة الجمع الذي سببنا ، بعضهم استنظر لاما ، سبباتهم إلى
حاشي الطريق ، منهم من التشرش الأرض وأخرج معاهد صغيرة ،
ومعاهد طهر الطعام .

من وجدوا قوت الكفاية للوصول إلى هنا ؟

بعد أن عرفت إلى جنة طمعت بالحجاج الذين لم يتمكنوا من
الوصول إلى عرفة بسبب شدة الزحام ، ومعظمهم من شعابا بعض
تركزت السياحة المصرية التي تستغل الحج للتعب على البسطاء .

تذكرت وألغى روائع محمد نبيب البستاني في كتابه «الرحلة
الحجازية» عن حجاج إيرانيين قائم الطوف في بداية القرن ، فما
شأن منهم إلا أنهم استمضوا سنة كاملة في مكة وهم بلايس
الإحرام ، وعندما ضاق بهم أهل المدينة المقدسة مضوا إلى مكان
قريب من مكة ، وظلوا سمرين حتى تمام الليل ، حتى ليكنوا من
الطوف بعرفة .

أخيرا وحلنا الرطلة . كانت الساعة حوالي العاشرة ليلا . الخلاء .
فسبح . والليل فوقنا وحولنا . لدينا صلاة المغرب والعشاء . وبعد
انتهاء الليل انطلقنا من جديد إلى منى لترجم العظيمة الكبرى .



كانت العربات تفتت دخان عادمها في وجوها . ومع آخر بصيص
لتنفس أحيانا . تحت جنود الشرطة . وحينما بدأ أسبوعين برفوف
كعلامات بيفساء . بعد يومين من الإقامة في منى اضطورت إلى
وضع كمامة على أنفي بسبب كثافة الروائح الكريهة . كنت أحمل
كيسا صغيرا جمعت فيه أكثر من مائة وعشرين حبة صغيرة من
لرغز الرطلة . للفرد من أني سأحتاج إلى سبع وأربعين حبة .
الليلة استخدمت سبعا . واليوم الثاني واحد وعشرين لترجم العظيمة
الكبرى . والوسطى والصغرى . ومثلها في اليوم الثالث . ولأنني
سأرتب عن زوجتي حتى أجنبها منطقة الزحام جمعت مثلها . وعند
آخر زيارتي للاعتياد . كان صديقي الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة
يتوب أيضا عن زوجته . وعن الأستاذ فؤاد كامل للطنف الكبير
والترجم الصغير . وكفلك الأستاذ سلامة أحمد سلامة يتوب عن
زوجته . وهذا جازم عن النساء . وعن الضملاء . فالوقوف عند الرجم
يكون صعبا . وقد أخبرني الأستاذ فؤاد كامل أنه كان يظن حنقه
تحت الأقدام منذ عدة سنوات عندما التي ترضع الحنج لنفسه . أما
تلك المرة التي صحبته فيها فكان يؤذيها الروح والذنة . . وحسبها
له . . وهذا ما ترويه مستقبلا . فإذ كان الرائدان الكريهان لم يحل
ظروف حياتهما تون تلبية هذه الأمنية الغالية . فالواجب على أن

تأريخ العربية الفصحى والعربية لكل منهما ، إذ فترتي أن يند أحدهما
في سنوات أخرى بعد وحيها ..

أخرى .. تولفت العربيات .. ففترتاها متجهين إلى مكان العلية
القدوى . ومع فترتي من المكان كنت أحتويه بعيني وملاحظاتي .
والله بما قبلنا شامعا بين الشكل والفصيح والغرض



معدود من الخمر .. شبه دائري .. محيطه دائرا بصطف حولها
الجماج ويتراحمون للرجم ، تلك الصورة القديمة التي كنت أظلمها
دائما في الصحف أو الجلات أو الكتب التي تصور مناسك الحج .
يسيرا على الأعمدة الهائلة المتوازية من الجماج في كل عام .
فامت السلطان السعودية ببناء جسر ضخم يمر بالعليات الثلاث .
حيث يمكن للرجم من مستويين ، من أعلى ، ومن تحت الجسر .
والأعمدة الثلاث تخشرون سطح الكوبري ، إنما كما حدث في
السحر ، عندما لم يناء طابق ثان مولد لها للفصا والقوة ، ولكن إننا
ذاك الغرض قد لمخلق شكلا ومضمونا في السحر لتصل بالمسجد
الجمام ، فإنه لم يتخلق هنا في سحر .

تتمت على مهل من العلية الكبرى ، رمز إليس الأكبر ، لم يكن
في عام شديدا طيفا للصورة التي حدثنا بها البعض ، سائر الجماج
تدخلون ، وكثيرون يفسلون لضاء الليل في الزلقة ، طبعاً التفت من
الرسالة إلى حيث يتجمع الجماج للرجم ، أول ما حدثه حركة
الأبدي ، من الأمام إلى الخلف ، حركة الرمي ذاتها تتولد من الألف

الأبدي ، كانت الجسرات تنجس كلها صوب هامود شبه مستدير ،
لكنه مجرد عمود لحيط به عشرين الأعمدة التي تشكل قوائم الجسر
أو الكوبري الممتد ، الكوبري الحديثة التصميم ، والأعمدة الخرسانية
التي يقوم عليها حاضرين الرمز الأعلى ، صحيح أن العلية الكوبري
بقيت بلون الحجر الطبيعي لكن الجسر غسقت عليها وناء بكلكتة
وأصفرته ، وهذا نفس الحال بالنسبة للمبنيين الآخرين .

فلذلك أننى إن بدأت صياغة المكان نفسه ، بحيث يصبح الرمز
واقفاً ، وله معناه المحدد ، خاصة إن اللانسان الحضراء المعلقة
والتي ترشد الحجاج والكثيرة بثلاث لغات ، العربية والفارسية
والأوردية ، لافتات حديثة جدا ، مكتوبة بنفس الأسلوب الذي
تجده في اللانبات المعلقة إلى الجسور التي تعبر طرق المرور السريع
في أوروبا وأمريكا ، وهذا يعطى انطباع أننا في محطة عاتلة
المشروع ، لو في مكان به من خطوط التصميم الحديث ما يتنافس
مع المكان القديم ، والذي تتم فيه شعيرة من أهم شعائر الحج .
والعود إلى شعيرة الترجيم ذاتها ..



عندما يرسم الحجاج الجسرات باتجاه رمز الشيطان ، فإنما يقوم
بعلمية رمزية تعنى أنه يرسم ذاته عنه وما المترفه ، كما أنه يرسم
في نفسه ونفس معنى مخالفة شيطان النفس والابتعاد عن
مسلك الشر والأذى .

والترجم أمر قديم في الأديان والظلموس .

قال الله تعالى : ﴿ لَمَّا تَرَىٰ جَنَّاتٍ مِّنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَبْرٍ مِّنْ قَبْلِهِمْ .. ﴾ .

وكان تلك في معرض اجابة قوم نوح على نجاته لهم .
 وقال تعالى في صورة نوح ، عندما اجاب قوم عبيد على نصيحه
 . . . هم شعب لهم :

فَقَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَعْنَا كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا
 ضَعِيفًا وَلَا تَكُن لِرِجْسِكَ وَعَمَا آتَيْتَ عَلَيْنَا مَعِزًّا ﴿٢٤﴾

عرف بنو إسرائيل فرجم أيضا . . . ورد في الآيتين 24 ، 25 من
 الإصحاح السابع لسفر يشوع ما نصه :

وَتَأَخَذَ يَشُوعُ عَصَاهُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ وَالْقَضِيَّةَ وَالرِّبَاءَ وَلسَانَ الضَّعْبِ وَبَنِيهِ
 وَسَانَهُ وَطَرَهُ وَحَمِيرَهُ وَخَشَمَهُ وَعَيْبَتَهُ ، وَكُلَّ مَالِهِ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ
 مَعَهُ ، وَصَعَفُوا بِهِمْ إِلَى وَادِي عَمُورٍ فَطَالَ يَشُوعُ : كَيْفَ كَثُرْنَا
 بِكُفْرَانِكُمْ قَرِيبَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَرَجَمْتُهُ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ
 وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ وَرَمَوْهُمُ بِالْحِجَارَةِ . . . ٢٤ .

أما المسيحيون فبرجمون مكان شجرة التين التي لعنها المسيح
 حينما أراد أن يأكل منها ولم يجد فيها ثمرا ، جاء ذلك في الآية
 1٩ من الإصحاح الحادي والعشرين من الإنجيل متى ، وسكان هذا
 الشجرة على طريق القاهل من بيت المقدس إلى نهر الأردن في
 وادي القدي ينزل على مسار جبل الزيتون .

وكان العرب في الجاهلية يرمون من سخطوا عليه حيا وميتا ،
 ويبرجمون فيور من سخطوا عليهم ، مثل قبر أبي رغال في القدس
 بين مكة والطائف لأنه كان ظيلا لجيش أبرهة إلى الكعبة .

ومات في هذا المكان قبل وصوله إليها ، قال جرير يهجو الفرزدق :

إذا مات الفرزدق فأرجسوه

كما يرسلون لبيد أبي رغال

وكان المسلمون يرجمون لبيد أبي لهب عمارج مكة لأنه غير
عضو النبي ﷺ ، ويرمون لبيد أبي جهينة في طريق العمرة ، لأنه
كان من حكام مكة الظالمين ، ويرمون لبيد يزيد بن معاوية في
مشرق لشبه سيرته ، وجرمته في حق آل البيت ، فهو الذي لم
يطلق مولانا وسيدنا الحسين . **ويج** . ويرجمون لبيد مسلم بن عتبة
بين مكة والمدينة لأنه فلتك بأهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله
في صحابه وجيرته .

لقد الرمس عقابية ومزية ، سواء كان لإبليس أو لمن ساءت
سيرته والرتكوا فيح القتل في حق المؤمن ، لو رفلوا ضد غير
الإنسانية .

وبعض الحجاج يطلق في الرجم ، ليطلف رمز إبليس بزجاجات
فارخة ، لو الأحذية ، وهناك في الزمن القديم من كان يطلق عليه
الرماس ، وهذا كله تجاوز جوهر الشعيرة ومغزها ، فإذا الرجم ،
والرمس عقابية تبدأ من داخل الإنسان نفسه ومن قناعاته وإيمانه ،
إنه يتغنى عنه فأنه ، وإن يستد الجسرات الصغار التي تنس
لشرع على أن تكون مقدار حبة القنولة حتى لا يؤدي إخوانه من
الحجاج ، وما الجسرات وما العمود المنصب ، إلا رموز مادية لشعيرة
جوهرها ، ومغزها أكبر بكثير . .



الإقامة فنون «فنونا»



جنت إلى متى من مكة ..

وعلقتها ليلاً .. وأنا في حلة تبه عن طوبى ، بعد أن تركنا
رسلاً الحج داخل الحرم ، وغادروا الكعبة قبل خروجنا ، تحركت
العربات إلى محل تقاستنا الذي لم أعرفه بعد ، وفي أحضاننا
حفاتنا ، وداعها جوائز سفرنا وأنا وزوجتي ونولودنا ، فقد دخلنا
الكعبة لتزدي طواف القنوم والسعي محردين من كل شيء ، هذا
بلغ عصر من الليالي يفل عن عشرين جنبها ، كنت نسيه منذ
لناتي العمرة داخل الحرم الجدي الأبيض الذي ألف به مصري
لأنت فوطه الإحرام .

لحطات من الضجاج لانسى أبدا نولودنا بها ، ونحن نلف أمام
الحرم ، وفي هذا الجمع الذي يشبه يوم الحشر ، يقبل الكثيرون ،
ويخلفون الطريق ، وهناك مراكز للضجاج الذين نلقوا طريقهم ،
مركز للرجال ، وأخر للنساء ، وثالث للصغار ، حاولنا التماس
المساعدة من بعض الجنود الواقفين حول الحرم ، ولكن ما من
سجيب ، لم أكن أعرف الطريق إلى متى ، ولم أكن أعرف الخيام
فتى متصفا ، لا التوضيح ولا الكمان وأنا استناري من جنتي
للغور لستند إلى تراجة بخارية حديثة ، يبدو أن رجلاً مصرياً
سمع استناري ولح حبري ، القرب من ليقول لي بلهجة
صعيدية ..

تحتاج . . .

هنا لا يعرف أحد باسمه .. إلا لقب واحد يطلق الكعبة مهما
العلقت مراتبهم ، أو جنسيتهم ، كلمة لا غير تشمل الجمع كله ،

ونحن نكل نوره أيضا . .

«بالحاج . . لا فائقة من السؤال . . هناك عربات الأجرة التي

دخل بالتفر . . فذهب إلى متى وسأل هناك . .»

«وكم تبلغ الأجرة . .»

قال المصري الصعيدى الذى كان يرتدى ملابس عادية .

«عشرة ريالاً . .»

بالضبط هذا ما لدى . . صحبنا الرجل الذى لم أعرف اسمه .

إلى موقف عربات الأجرة . . وكنا ميكروبوس صغير وبدأ الحركة

إلى «متى» ، عبر الطريق عبر انفاق عائقة فى الجبل ، وعندما دخلنا

منطقة «متى» ، كان المشهد سهيباً ، عشرات الآلاف من الخيام

تنتشر فى قضاء الككان المقدس .

بدأ الوقتى موعصاً بالأصواء للتعطلة من الخيام . . ولما كان

الإقامة ، واليانى قليلة المنائز القمصية الإذاعة ، وبعد مسافة

تعبيرة بدأ مسجد الحنيف بساحته الضخمة ومأذنه الرشيدة

تلوكة الطراز .

فيه كان يصلى سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام . .

كلما تقدمت حرية الأجرة نصاحت الزحام الشديد . . كان الحجاج

ينترسون الأرض ، يتامون فوق الأرصعة ولحتها ، ولحت العربات بين

العجلات ، وإلى جوار عناقيد العمارة ، كان الليل فى بقاءته ،

والقوم معظمهم يظل لو فى حالة استعداد للنزول إلى عرفات ،

ولكن ما رأيت بعد نزولنا من «عرفات» إلى «متى» كان أشد هولاً .

على أي حال لم تظل فترة ضيافتنا من محل إقامتنا ، عند منتصف الليل وصلنا إلى زمالاتنا بعد أن قطعنا ما يقرب من ثلاثة كيلو مشرات مشيا ، ونحن في حالة من الخوف والقلق ، لأن بنود الإنسان هنا أفضل أمر عادي جدا ، وأن نقطن بحاجة يسأل عن محل إقامته وهو ليس لديه جواز سفر أو أي شيء ، بل على شخصيته فهذا موظف يشكر آلاف المرات .

الأغرب ما عرفته فيما بعد من عبدالله سعودي ، أخبرني عن كثيرين يجتازون من مختلف البلدان ويضعفون لأن وصلوا في صباح مكة ، وبعضهم يطلب الترت ويسأله ، أن يلقى هنا ، ويدفن في الأواني المخصصة .

حوالي منتصف الليل وصلنا إلى الخيام المخصصة لنا ، وكان هناك حجاب إلى الزملاء والأصدقاء ، ولكنه حجاب المظلم الذي أراد أن يسترهم بالآمن من نصب ، لكنه فرح برؤية ملاسحهم مرة أخرى وسط هذا الحشر .



بعد رمي الخطية الأولى .

بعد طواف الإفاضة . . عدنا مرة أخرى إلى «سرا» إلى الخيام التي اخترناها لرؤسها ، بعد أيام تشريف ، هنا يلقي الحاج ثلاثة أيام ، وفي اليومين التاليين ليلة النزول من «حرفة» يتم الذهاب إلى معابد الثلاثة لرجسها ، ثم يتم فرجم للمرأة فتاة واحدة والذهاب إلى مكة لطواف الوداع ، وهكذا تتم شعائر الحج .

لنحفل من الإحرام بكون بعد رجوع الخليفة الكبير وطوائف
الإمامية ، يقوم الحاج بالنحر ، وقتلخصير أي قص شعلة من
الشعر ، وبعض الحاج يحلقون رؤوسهم كلها ، خاصة الإيرانيين
والأفراك ، وكثير من الصوريين ، وفي لرجاء متى ، كان يمكن رؤية
أشوام من الشعر القصوى .

تذكرت ما قرأت في صفحة الجمعة بالأخبار قبل سفرى للداكتور
عبد الهادي مصباح أثناء علم المناحة ، ولطيفة من استخدام لرواس
أو شعرات مستقيمة ، وإمكانية انتقال الأيدي خلال ذلك ، صحبت
مع مفعلاً صغيراً وقتت بالتخصير بنفسى ، لطريف أن الداكتور
مصباح ذهب لأداء الحج ولكنه لم يستطع الوصول إلى «عرفات»
عزاً للرحام الشديد ، أما الشعر ، أو الهدى ، فالأخيرة الآن لا يقومون
- سائراً إذا يتم فتح ثمن الحروف إلى أحد فروع بنك الراجحي -
ويقوم البنك بشراء الأصحية وبيعها في «متى» بطريقة منظمة -
بإعداد القحوم لإرسالها إلى الدول الإسلامية الفطيرة ، وقد بلغ سعر
الحروف الواحد هذا العام ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ريالاً سعودياً -
وهذا عمل محسود بلانك ، وينظم عملية الهدى ، ويوصل
الأصاحى إلى من يستعملها فعلاً ، وهناك بعض الحاج يفضلون
شراء الأصاحى وبيعها بأيديهم وبالطبع تبنى مختلفاتها في
القناعة ، في تروية حرارة تتجاوز الخمسين ولنا أن تتعيل!

لطريف أنى أثناء تروامة كتاب «الرحلة الحجازية» محمد قبائونى
تول سفرى إلى الأراضي المقدسة وجدته يقترح قبل حوالى تسعين
عاماً ما تقوم به شركة الراجحي بالفعل الآن . . يقول :

والرياح الغربية تهب قريبا من حفرة في شرقى عنى وتلقى فيها
وتكون لها بعد الحج والتمتع كرهبة جفا ، ولو كانوا يأخذون ما
يتراكم فيها من العظام مع ما يتخلف منها حول مكة ويسعون
إحدى الشراكت جفا ، وصرفون ثمنه في تحسين طرق الحجاج ،
ونظامه شوارع مكة فكان فيه فائدة كبيرة . . .

حقا . . . ما أتت بعد نظر البتانوني ، لقد تحقق لقرينا ما طالب به
بالنسبة للأصاحي ، لكن للمشكلة الآن في معاملات الحجاج
أنفسهم وتكديسهم في « عنى » .

فقد البتانوني عند الحجاج في السنة التي رافق فيها عباس
عظمى الثاني عديوي مصر ياتى لك ، وشكنا من زحامهم وما
ينتج عن إقامتهم في « عنى » من روائح ومخلفات .

في هذا العام بلغ عدد الحجاج أكثر من ثلاثة ملايين حاج ،
ولم يركبوا في نفس الأماكن ، وأقاموا فيها ، وسهبا بلغ حجم
التوسعات والجسور والأشغال ، والتسييرات الميوزلة لأن وجود مثل
هذا العدد في زمن واحد ، ومكان واحد كليل لربنا حول عظمى ،
من هنا أكرر مطالبت به من ضرورة التجهيد عند الحجاج بصراحة ،
واعطاء الأولوية لمن لم يؤد الفريضة ، ربما تخلف هذا بعض الشيء . .



بعد الرجم الأول ، وبعد طواف الإفاضة ، نزلنا من سلاسل
الإحرام ، كنا نرصد الجلابيب البيضاء عند الصلاة ، والنهيب إلى
الرجم ، وكانت المسافة من مقر إقامتنا ، حتى موضع العلبات الثلاث
بلغ حوالي كيلومترين ، خلالها كنا نعرض في زحام لم أره مثيلا .

ومن اليوم الأخير ، عندما فارقتنا نهبنا ، وكان ذلك قرب الفجر .
أنت أما محمد - عليه الصلاة والسلام - في أسوأ وضع يمكن
الإيمان أن يتخبطه ، وكانه تلعب من الموضع الأسوأ للمسلمين في
سائر اليوم .

الرجال والنساء والأطفال ، التبرج الطامعين والشباب مستهدين
من كل مكان ، كثيرون لم يستطيعوا بعد ، ملابس الإحرام البيضاء
لمسح لونها بنيا فاتحا .

كانت رائحة البطايا والنعناع لها نوافع يكاد يلمس في الفراغ ..
موانع المياه محدودة جدا بالمقاييس في الأعداد الهائلة ، المرافق
عامة ، درجة الحرارة العالية ، لتفاعل التغيرات بالحرارة ، في لهاب
الصحراء ، إن العناية الإلهية وحدها هي التي تحمي هذا الجمع
الضخم الهائل من أشد الأوبئة فتكاً ، وإذ كان الله سلم في هذا
العام والأحوام السابقة فإن الجهد الإنساني يجب أن يقدم شيئا .

سام في الحرم المكي ، وفي الحرم النبوي الشريف ، مسجدة
معمارية ، من حيث التوسعات وتصريح المكان لاستيعاب الأعداد
الهائلة من البشر ، لكن تصنف نقاط الحج الآن في «سنة» ، حيث
يقيم هذا العدد الهائل في مكان واحد لمدة ثلاثة أيام على الأقل
دون مرافق كافية ، وفي ظروف لا يتوافر فيها الحد الأدنى من
نظافة .

ومن قام بتلك التوسعات الجبارة في مكة والمدينة فامر بلاشك
على إيجاد حل للإقامة في «سنة» ، فقد اقترح الصديق العزيز

سلامة أحمد سلامة إنشاء ما يشبه القرية الأولمبية في المكان ،
ولعل ذلك يدعو حلا متكاملا .



اضربنا الوقت في «سنة» نقرأ القرآن الكريم ، ونشاهد ، ونراجع
الفتاوى ، وخلال السنوات الأخيرة تزايدت أوقاتنا المخصصة للقراءة
للقرآن ، وأحمد لله أنني احتفظ بنسخة قيمة جميلة ، منها
مصحف مسطوط بخط أنطلس ، وآخر كتبه بخط تركي منذ
حوالي أربعين سنة ، ولقد كان الخطاط المسلم يعتبر كتابة القرآن
الكريم من أعمال العبادة ، لهذا أبدع كل منهم وأحسن .

لقرأ القرآن في صمت . .

لقرأه مرثلا الأيات بصوت مرتفع .

لقرأه وأسمعه معا ، أي أنني لقرأ الأيات وأسمع الترتيل في وقت
واحد ، والفقاري ، عندي هو الشيخ محمد حسين المشاوي ،
والشيخ جابر ، مطري ، الحرم المكي ، ولولتلك القراءة الجوهريون عندي
من أتراك وفرنس ، والذين أسمع أصواتهم غير للقدح فجردا ، فتهنئ
نفسنا كثيرا لما نحرمه نبراتهم من إيمان وتفرغ حقيق حلتناج إلى رب
السموات العلا .

في «سنة» تحننت للقرآن ، وترجمت ودعوت لوالدي وطلبت
الرحمة من رب العالمين لتكافة الإنسانية ، فهو خلقها وربها ومدبر
لمبرها . .





السلام عليك ومنك ..
يا رسول الله ..



سكنية. وتأهيب.

حالان خمراني روحاً وجسداً بمجرد نزولي المدينة المنورة ، حتى
أن سطوي تبدل لطاقه ، وصار لظرائي معان أخرى ومرام كثيرة ،
فكفل هذه الجبال المحيطة بأما الصطفي بعينه ، وثلك الأرض
وطنها بقدميه ، ثم ما أتبع عند القس خفي في نفس الككان ، وما
لكل التحيل التجاورة ، الترابحة ، إلا من نسل التحيل التي أظلت
لرسول وصحبه يوماً ، هذه التحيل التي تفسى بعداً مكانها ،
وزمانها على الككان كله ، فتدنو به من طيبة الواحة رغم البهتان
الحديث ، وتخرج بالوقت عن محدوديته بما لها من حضور ورسخ ،
تأبت ، ينير إلى الأعلى بسوقه ، وانفراجه من علامة الوعدانية ،
ويجاوز اللحظة الحاضرة إلى ما كان وسيكون . . حكماً لراء .

ولفت العرة بمحافة الرصيف الواحة للعبة الخضراء الشربة . .
غيرنا الطريق إلى أحد الأبواب الجديدة ، التي تدخل بين توسعات
الحرم ، والتي تسمح بعدد الحرم القوي في مساحة يترب كلها زمن
لرسول عليه الصلاة والسلام ، أي أن القبة كلها داخل للمسجد الآن
هذا مطيرة الطبع التي تلوم إلى الشرق ، تتولى الأعمدة الرخمية
المؤدية إلى الجزء القديم الأعمدة الحديثة من رخام ومانى فالج ، فأعدا
كل منها بها ثلاث فتحات تدفع الهواء لباردة القادم من محطات
لتكريف لصلابة الطاعة بعيداً عن الحرم .

لكم تبدل المشهد عما رأيته عام ست وثمانين وتسعمائة وألف ،
عندما قدمت للزيارة أثناء لثاني العمرة . لقد لزيارت مناطق

بأنتطها ، ولم في فترة وجيزة إضافة مساحات مائلة إلى الحرم
الأعلى ، واخذت عنها بطول إلهام مع صحن إلى قضاة .



عندما يتأهب الإنسان لكفاه عظيم أو شخص جليل الكفاة في
أخيرة الدنيا ، لهما مشهوراً ، أو سياسياً كبيراً ، ألا يستعد الإنسان
بمعكس تلك على عيته ، وعلبه ؟

ما يزال إنفاذ ، والرء يتجه بخطى وجدة إلى عظام المرسلين ، إلى
التصورة الشريفة حيث يرفد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

الحل أن المرء لا يتجه إلى موضع يداس بالأمطار ، أو يوصف بما
يكسوه من اللون ، أو ما يحلله من نحاس ، إذا يتجه الإنسان إلى
حرم ومعنى ، يستظر في وجدان الفرد المسلم منذ أن كان طفلاً
بحبو ، ويستظر هذا القرب كإفحة المشاعر التي ترتجت عبر حطب
بعيداً ، وغير مراحل العصر نفسه ، التكم تردد في بعض شطر من
أشرفة كان يظوها تسبح جميل الصوت ، تنجبه :

بأساساً تلمسي لزبورك

والتلمسي بمنزورة بسانبسي

ها قد منحت لي الفرحة ، الصرة الثانية ، كنت وكان الجميع
يرتدون إليها ، وعندما يتشابه لباس البشر يصبح كل منهم
قريباً ، جميلاً ، أنفها ، في الزيارة الأولى ألفت على مغربة من
الحرم ، كانت شرفة الفندق تطل على المدخل الجنوبي عند أذان
المسجد ونيل توجهي إلى الحرم نظمت إلى الطريق ، كان مشهد

الآلاف الذين يرتدون البياض ويتجهون إلى المسجد مهياً ، فهم
العرب ، والهندي ، والتركي ، والفارسي ، والإنجليزي ، سائر اجناس
الأرض ، واحد بوجههم وقبرهم من بعضهم البعض نبيها الأسمى ،
الطيب ، الذي حمل الرسالة والتي الأمانة كما يجب أن تأتي ،
تكانت الشعار هذه الأمة ، أنت عز وجل ، كلهم يتجهون إلى
مسجده للصلاة ثم إلى زيارته . ﷻ

استمر تقدمنا بسهولة وسرورهم الرحام ، كانت الأعمدة الحمراء
التي تحمل السقف ترتد لنا كلما اقتربنا من الروضة الشريفة ،
وكأن داخل الإنسان ينف ، ويرق ، حتى لا يبق منه إلا العناصر
الأولى ، فكانه يجتاز مرحلة بعد الأخرى ، من الواقع المحدود
بصراخاته وصفاته ، وسفاسفه إلى المحطات المنطقية ، السردية ،
حيث البداية والنهاية ، والشهود المؤدي إلى الغيب .

على مسيرة من الروضة الشريفة ، على حدودها لما حيث
بناضل الطوم الصلاة في هذا المكان المبارك ، تحت انطراجه بين
صفين ، السمت لي وأصحي ، هكذا ليلونا ، الشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة ، والكتاب الصحفي سلامة أحمد سلامة ،
والدكتور محمد عمارة ، والأساتذة فؤاد كامل ، وكان حولنا قوم من
جنسيات شتى ، لا تعرفهم ، وتعرفهم في نفس الوقت ، فهم أفراد
من أمة رسولنا الكريم ، كان كل منا حريص على أن يسبح للأخر ،
لا يتسمل ولا يتنمر ، وكان المكان يتسع للكفاية .

بعد لحالي وكلمتين لمحبة للمسجد ، جلست ألتطع إلى المقصورة
الشريفة ، أسكت مصحفاً استعداداً للتلاوة ، وقد جرى لي ما

عسرى عنق ست سنوات ، إذا بلغت أبكى في عذوة ، مطرقك ،
سفا جهنن إلى يدى ، غير حرمين على الخليلف بعضى ، غير
سنة إلى فضول قد نسد إلى نظرات من لا يعرفى .

لانا ليكاه ؟

ولانا هذه القصود الصاحت ، الهادئة ، مسجوبة القوافل
والأسباب ، لقد عرفت في حياتى ألواناً شتى من ليكاه ، ولكن
دموعى بين يدى رسول الله ﷺ مستعصبة على أى تفسير يبنى
أو يلوح لى .

دموع اللغاية ، خزيمة ، مصحوبة بحزن شفاف ، وكأنى الجناز
ساحة لا يمكن نسبها لو تحديدها لو تعيبتها ، هنا قرب التصور
الشريفة تنسى العوالم المادية التى عرفناها والهيبة ، ولا يبنى إلا
جوهر برانى ، مشع .

التريب وقت الأمان الظهور ..

رحمت أطلع إلى الروضة الشريفة ، قال عليه الصلاة والسلام :
ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة .

وطولها اثنان وعشرون متراً طولاً ، وعرضها حوالي خمسة عشر
متراً ، غربها تلح قبته ﷺ ، وضعها بنفسه وحققها يوم الثلاثاء
الواقع نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عندما أئرو الله تعالى
بالصلاة إلى الكعبة الكريمة ، إلى غرب القبلة يلوم للنبر الشريف ،
هنا ، في مكانه لانا ، كان ﷺ يتخطب على جذع نخلة ثم عمل
له منبر من خشب الأثل ، مركب من ثلاث فوجلات أو أربع .

هنا هاشم عليه السلام ، قابل الوفود ، وأرسل الدعوات ، ونظم شتوت
 الأمة ، وحفد الأزمنة الأنبياء ، هنا استطاع ، وتفكر ، وتطاع ،
 وهنا اجتمعت ، هنا كان مسجده ، وبينه المعروف بيت عائشة رضي
 الله عنها ، وحجرات زوجاته رضي الله عنهن ، وحول بيته كان
 يقسم أصحابه رضي الله عنهم في منازلهم ، كانت دار أبي أيوب
 الأنصاري ، ودار عثمان بن عفان رضي الله عنهما في جهة
 الشرق ، يقول محمد لبيب البناتوني في كتابه (الرحلة الحجازية)
 أنهما كانتا موجودتين حتى زمن زيارته في بقايا القرن ، كانت
 منازل آل عمر إلى الجنوب ، وتخرب المسجد دار أبي بكر رضي الله عنه .
 هنا كان الأصل ، والمطلق ..



لا يمكن للمرء أن يسي القبة الخضراء ، حضورها القوي في
 الفراغ ، القبة الخضراء بناها السلطان الأشرف قايتباي ، ومن قبل
 وحتى زمن الناصر محمد بن قلاوون لم يكن فوقها قبة ، في سنة
 سلطنة عثمان وسبعين أقيم الناصر قلاوون القبة ، ثم جددتها
 الأشرف برسباي ، والظاهر برفوق ، ثم قايتباي ، أما السلطان
 محمود الثماني فقد ردها عام خمسة وخمسين ومائتين وألف ،
 وبعثها بالقرن الأخير .

المقصورة الشريفة مصنوعة من نحاس ، عملت في مدة الحضارة
 التي قام بها قايتباي سنة ثمانيا ومائتين وثمانمائة ، ولها باب
 يفتح على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة أو باب الوفود ،

والى جانبه من جهة الجنوب شيك ينفتح عليها يسمى الحجج
شيك جنوبية ، وهو الذى يذكرونه فى كتبهم ، وحياة الناس
الذى وضعت يدي على شيكه ، ، ولها أيضاً منفتح ينفتح إلى
جهة القبلة .

تصل بالمقصورة الشرقية من جهة الشمال المقصورة الغربية
باطمة ، طول المقصورة الغربية الشرقية من أطرافها الجنوبي
والشمالي ستة عشر متراً (طيناً الوصف البستاني فى الرحلة
الحجازية) ، ومن الشرقي والغربي خمسة عشر متراً ، أما المقصورة
التيهة فاطمة الزهراء فطولها أربعة عشر متراً وتصل من الجنوب ،
ومن الشمال أربعة عشر متراً فقط ، ومن الغرب والشرق حوالى
سبعة أمتار ، تتصل بالمقصورة الكبرى من الفاصلين ، فاصل
المقصورة الشرقية للكان الذى ترضى به رسول الله ﷺ فى يوم
الاثنين الثانى عشر من ربيع أول سنة الحادية عشرة من الهجرة ،
وفى نفس المكان فن .

والزيارة تبدأ من الروضة الشرقية ، أى من الغرب إلى الشرق ،
تبدأ مغلوبين أما كنا بعد صلاة الظهر ، وكان الجميع يتحرك ببطء ،
وغير حواجز من نحاس تقربنا قاصدين من الغرب إلى الشرق ، أى
عكس دورة الشمس ، فكأننا تعود إلى الأصل ، إلى زمانه هو ،
فى وقتها هو الذى يتسلسلنا جميعاً ﷻ .

عند الزور أمام المقصورة الشرقية تتجهل الخطى ، لكن الحراس
الأشياء يتبعون الوقوف لفترة حتى تتاح الفرصة لهذه الآلاف

الساحية ، وأمام الفاترة الكبرى التي تتخلل الفجس للشعوب ،
 يكون للره بحفلة وجهه الكريم ، القصر ، الطاهر ، اللطيف ،
 عنا لعلنا وانظري كل ما عفا ما لواء من قدم وحديث ، وكنت في
 وضع شبه متعنى ، أقرب إلى السائل ، فلا يمكن للإنسان أن
 يلترب إلا سائلاً ، عاتقاً ، لئلاً ، غير وجل ، فهو في الحضرة .
 هكذا ..

انبتق عندي إحساس بالأمن العميق ، كنت مستلقاً أمامنا
 ليس لتجمع الكتيب الذي يتلفح برنار منمهل ، وإنما لغوالي
 الداخلية للمعاني التي تلوح عندي ، حرماً على اجتهاد وقتي
 هذا ، هنا كل المعاني ، والأصول ، هنا جدي الأعظم والرفد
 الأكبر لكل هذه الأمة الإنسانية ، إليه أنسب يدي بركاته ،
 هنا الشفيح الأكبر ، من التوسل به والود عندما تلوح الكروب
 المعظم وساعات الضيق ، عندما تتواتر الحدائق ، ونأى
 الصديق ، ويذوق العلو .

عائناً بين يدي رسول الله ﷺ ، من سيج الحصن بين يديه ،
 ولأنه الصخر ، وحتى له الجذع ، من حمل الرسالة وأبى
 الأمانة ونصح الأمة ، وما عزلاً البشر كلهم القاصون للزيارة إلا
 ظم يسير من أمة الإنسانية ..

ومنى كان لسانى ينطق بأحسنى سلام فبهت به ..

« السلام عليك يا رسول الله .. »



ليظلمت ..

من ليلة القدر ..



المقدمة.

حفاً .. لكم سعدني الخط بالمثل في مشروع ليلة القدر .
انتظر الأيام التي تسبق حلول رمضان بشهرين أو ثلاثة لأطلق مع زملائي المحرمين إلى مختلف أنحاء مصر ، النيل ، وتقدم الصحابة ، للفراء ، الكرومين ، القبطاء الذين جئت منهم ونشأت بينهم ، ولكم تلح عليّ ونهني ونحو نظري صور ومشاعر تنمي باستمرار ، خلال عملي الصحفي الذي يتلوه ربح القرن الآن ، عرفت وعاشت تجربتين عملتا أياي ، وأصغيتا لثراء الإنسان على حياته ، لتجربتي كمراسل حربي في جبهة القتال ، وعملتي كصحفي في ليلة القدر ، لقد انتهت وأجس في الجبهة مع حلول السلام ، وإن لم ينته بعد في ضرورة لقوم ما عاشت ورأيت ولهم كتابتي مجموعتين قصصيتين هما : أرض .. أرض ١٩٧١ ، و احكايات الغرب ١٩٧٦ ، ورواية : الرفاعي ١٩٨٠ ، وما يزيد عن ألف تحقيق صحفي عن جيش بلادي خلال عونه حرب الاستراق ، وحرب أكتوبر ، وبعد الفرميات السابقة التي اشرفت فيها إلى اللاتي بأبطال من قواتنا المسلحة في فلسطين ، في نفس الوقت الذي كان فيه لوب نفس ، الروح ، يتعمق بالعملية للمخاطبات العسكرية المصرية خلال عملي في الجبهة ، بعد نشر الفرميات واصلت مئات الخطابات الخاصة ، ولكن لفت نظري أن هناك كثيراً منها كتبه حلبة في الجامعة ، وفي المرحلة الثانوية ، كلهم يظلموني بأن نفس ما جرى ، أن لروي ما تافهين ، ما عانيت ، أهدوا تأثرهم بما روت عن الضابط الذي

روح الخلود لبقية استشهاد شقيقه الطيار ، وفي تعليقه على ما
سحري من معانرات ومحاولات مريبة في حياتنا القتلانية ، إما
من قبل ماجورين ، أو معتوهين ، طالبني الصديق العزيز ساسي
عشية أن أكتب ما عرفته ، وأعد القراء الأحرار ، والصديق
الكريم أن العمل .

أحياناً لا تفرك مرور الزمن إلا عندما تسمع صيحة الآخرين ،
مكثراً لفرء بلود سيارا ، وثمة خطاً فيها لا يتنبه إليه ، باب غير
محكم الإغلاق ، إجاز غير مثبت جيداً ، إلى غير ذلك ، ولا
بسه إلا إذا صاح به القوم من الخارج .

سهنتي تلك الرسائل من شباب يدور حول العشرينات ،
إسى أقترب من الخمسين ، وأن ما عشتها أيام حرب
الاستنزاف نفس عليه قرابة ربع القرن ، وأن حرب أكتوبر
سنتم للعام القادم عشرين عاماً ، من ولد لي عام ١٩٧٢
بناهب الآن للتخرج من الجامعة ، دخلوا طور الرجولة ، ومع
بوالر الحدائق ، ولحفظ الأزمان ، وسرعا الخبرات ، وهول
الأحداث ، أصبح ما شهدهه بعيداً جيداً ، تائباً جيداً ،
والمركب أنني ملغص ، هذه الرسائل تعكس حاجة شعبنا لأن
بحرف ، وأن يفهم ، وفي فترات الفن ، والشذاتك ، يكون
استعادة الفترات المضيئة ضرورياً ، فما لبال إذا كانت تلك
اعترات قد حياتنا ، وشهدناها ، ومن اکتروا بشذاتنا ما زال
معتهم بسعي .

عفا واجب انسى من الله ان يمتحن عليه ، ان انسى شهادتى عما
شاهدته بعينى ، وبحواسى كافة ، وخلال فترة غالية من نصالات
وطننا ..

لما التحرة الثانية الحصيد ، التى لا تزال مستمرة ، فهى عملى
فى مشروع ليلة القدر ، هذا العمل الذى أتقدم إليه منوطاً فى
كل سنة ، أولاً بدافع أداء ما ألتزم عليه من جهد لجهد الفطراء ،
لوثقتك الذين خرجت من صفوفهم ، وثانياً باعتبار عملى عفا من
القوى عوامل اتصالى بالواقع ، بمعرفة ما يجرى فى قاع المجتمع
المصرى ، وبالتالى إثراء لمخزنى الإنسانية ..



البداهة

عندما كنت أسكن حارة مرب الطيللاوى ، بقصر القسوف ،
قرأت لو سمعت عن ليلة القدر ، كان ذلك فى بداهة الستينات ،
عند أكثر من ثلاثين عاماً ، وكنت أسمع بعض الجيران يتحدثون
عن رسائل بعثوا بها إلى أنبياء اليوم ، يتحدثون فيها الحصول على
جهاز تليفزيون ، أو ثلاجة ، أو دراجة ، كانت تلك هى محاور
التيبات الناس وقتئذ ، ثم مرت السنوات ، وعملت فى دار أخبار
اليوم ، وعندما استأنف مشروع ليلة القدر سمعت إلى العمل به ،
ولكن رغبات الناس توافقت ، فتمت من يطلب مرتبة لينام فوقها
بعد طول وقاد فوق الأرض ، أو يطايقن لغو ، برد الشتاء ، أو
وسيلة زكى ، بل أن سيدة فى أقصى الصعيد طلبت دجاج لأنها

أول طعمه منذ فترة طويلة ، ما ينشر من ألبان القدر قليل جدا ،
ونكر كثير من المساعدات لا يجد طريقه للنشر ، إما لتبيل
المساحة ، من كل سنة تقوم بتنفيذ ثلاثين أو أربعين ، حالة ، كما
عنى عليها ، ولكننى لا أكتب إلا حوالي عشرة ، ومرات أخرى
تعهد ألا أكتب بعض ما لرد وأمايته ، وليس معنى استنادنا
«صفتى أمين ، ولننظر إلى الرزيلة خلف يحيى الشرفا على تنفيذ
أله القدر .

الطالب .

حدث أن خرجت إلى بر مصر اجنوس ، بصحبة زميلى محمد
تارىك ، والمرحوم محمد عبد الرحمن ، فلقد ان الذى كان يبيض قلبه
بعد وجعا للبطء .

وصلنا مدينة المنيا ، والبحث عن عنوان فى أزقة المدن
أصعب من القرى والنجوع حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً ،
وعندما نظرت سيارة الأخبار من إنسان ما ، واستطردت عن
صوت ، فزانه ينظر إلينا برؤية ، بشك همزة آلاف السنين ،
حانصة فى الريف ، لقد علمتهم التجربة الطويلة أن الخير كلما
بأنى من جانب الأعداء القدامين من البشر ، وكثيراً ما
سمعنا تلك العبارة بلهجات شتى «أنتم عاوزين منه إيه ؟ ؟ .

وفى الخالب لا أرى الإجابة إلا بعد فتأكد أن للسعى غيراً ، بل
إهم يستحبونا حتى باب البيت ، يكره الناس أن يكونوا أكلة
أشر ، ويغفلون أن يسعوا إلى الخير ، فكيف ، وصلنا إلى بيت لدم

منهاك في أحد أزقة المنطقة القبلية القديمة لقيها ، مشينا مسافة
 حتى تصل إليه ، وفي حجرة صغيرة ، ضيقة ، خالية من أي
 مفرد ، سلفها هو السلم نفسه ، أثناء التكوين بها تتعدد خطوات
 الطالعين أو التازلين ، لم يكن بها من أثاث إلا سور من الجريد ،
 ومرفد صغير يشعل بالكحول ، وطقب للزيتوم ، وكتب ، أما ساكن
 الحجرة ، فتساب يدرس بالجامعة ، ألقه في قبر القسري ، أبوه
 فلاح أجير ..

كان نجلاً ، متعباً ، لكنه صرح شهيد من الكبرياء ، كلفناه
 قبلة جدا ، ولكنم نكن في حاجة لكني نستفسر ، ونسأل تلك
 الأسئلة التي لميلنا تتحقق من الحياة وجدديتها ، كان عجولاً
 أيضاً ، ما زالت أواخر ملامحه ، وكأني أراه الآن ، لقد استعدت
 لخطوات صعبة صارت بها في حياتي ، ولكنها لم تصل إلى حد
 المتفاد الطعام لمدة يومين ، ونقاد القلوب لنا ، وعدم القفوة على
 القهاب إلى المحاصرات .

بعد أن فارقتنا ، التفتنا ألا نكتب عن زيارتنا له ، كانت الفجر
 تتفرق في عيوننا نحن الثلاثة ، وفي قدام فتالي توجهت إليه ،
 إلى نفس العتوق ، لم يكن قد أرسل إلينا خطاباً أصغر ، وكنت
 أفردى ، لكنني لم أجده ، وأخبرني الجيران إنه حصل على عمل
 في مسجد قريب ، وأنه يكمل دراسته ، وأنه يزورهم بين الحين
 والحين ، وأنه كان أهد في السلوك والإنسانية ، لم أثنق به قط ،
 ولا لفرى أين مفني به تيار الحياة ، ولكنني لم أفسر ملامحه .

ولا شرباً ولا معروفاً ، ولكنها ليست نظرة الوحيدة التي أنظر فيها
من أثناء عملي في ليلة القدر ..

شباب القاصد .

كان ذلك عام سنة وسبعين وتسعمائة وألف ، أي مئتي
سبعة عشر عاماً ، ومع تلك أستعيد ملامحها فكأنني رأيتها
صباح اليوم .

وحده جميل الملامح ، أحصيل الصورة ، يوظفه شعر طويل ،
حصب خيزر ، يخطبه مندبل فلاح ، يرتطلي اللون ، كانت
الحجرة نظيفة جداً ، ورغم تواضع أبنائها ، وكانت من اجلس إلى
حوار لثاقفة ، رائحة فواكه سرير نحاس من الطراز القديم ، كان
لدينا مثله في طفولتي ، وكان السرير يحلني نظرياً لثاقفة
المتطيلة ، اللقطة على الحقل الخضراء ، القصبة ، نصلها
الأسفل منطلي بلحاف نظيف ، منطلي بلحاف مشجر ، كان كل
شيء بسيطاً ، نظيفاً ، أليفاً أليفاً خاصة ، ورغم قلقلها شعرت
أن لمة حيوية شديدة في القرية ، ومرحاً علياً ، في البداية لم
أمر مصفوه ، ولكنني سرعان ما اكتشفت متبعه ، إنه شيباب
وعبوية هذه الفتاة الرائدة بجوار لثاقفة ، تنطع إلى الطيور
الخلقة في فرائحات قريب ، إلى الفرائح والفتاوى ، إلى الأخصان
المتطيلة ، طوال اليوم هنا في الفرائح ، تلك أنها لا تستطيع
الغمران ، نصلها الأسفل مشلول لثاق ، وهي لم تكد حاضرة ،
ولكنها كانت طفلة مثل كل الأطفال ، تجري واللعب والحلم

بالمستقبل ، وإحلال الشهور الأخيرة من حرب الاستنزاف ، بدأ
 الجيش في إقامة قواعد صواريخ لتتفادع عن الخطر القريب ،
 وخرجت هي مع بنات القرية وصبياتها للعمل في بناء القنطرة ،
 كانت تعمل على رأسها فصعة اللونة والفس في طائر العمل ،
 وهذا مشهد رأيتته مرارًا في الريف المصري ، القرية المصرية
 المكاثرة تعمل كعائلة بناء ، كانت أجرتها حنة بخمسة في
 اليوم ، في أحد الأيام أغارت طائرات الإسرائيلية ، تصفت
 للواقع الذي لم يتم بعد ، وطارت نطبة غشيلة ، صغيرة ،
 استقر في ظهر الصبية الصغيرة ، لبدا رقادًا سوف يستمر إلى
 الأبد ، وانظوم زوجة أبيها على خدمتها ، في كل يوم تساعدها
 على انشط شعرها فتأصم القنزير ، وكانها سوف ترف في الماء ،
 وانصكت بجوار القنطرة منطلقة إلى الفضاء الفسح ، كأنها تلم
 باجنبازه يومًا .

لذكر أنسى أنصبت يومين كاملين ، تشتريت جهاز تريكو ، وفام
 جهاز ماهر بإعداد مستد خاص ، بحيث يمكنها من العمل رغم
 رقادها ، الليفت بحماس ، ونظرت مشرفة الوحيدة الاجتماعية
 لتعليمها ، أما الراديو الذي حرمت أن يكون من أحدث طراز فقد
 استقر إلى جوارها ليساعدها في تديد وحدتها . .

ترى . . أين هي الآن ؟ ، هل غيرت الأيام من ابتسامتها اللينة
 بالفضائل والرخبة في الحياة ؟ ، لكم تبدواي دائمًا مفضلة ،
 ساطعة ، أقدار على العمل مع عبيزها من كثيرين . .

من التحفظات المؤثرة التي نطغ عنها باستمرار ، لحظة وصولي إلى أسرة منسقة عائلتها ، إنما بالوقت المتأخر ، أو الإعتناء الخاص ، وهناك أسر كنت أتربى عندها فتصدق القدي أسماها مع اعتناء الأب ، أذكر زوجة سامي في مصلحة البريد ، كانت تجلس حولها ثلاثة أطفال صغار ، لم يترك الأب فراغاً لهم أي شيء ، حتى العائش لم يكتمل لأنه قضى شأنها ، لم تكن زوجته تعرف الطريق حيداً عن بيتها ، كما أذكر أسرة أخرى في قلعة ، كان الأب يعمل حمالاً في الجمعية التعاونية ، ثم مرض ولم يستطع الأمر طويلاً ، فقد العائل حتى إتهيار سلف الثاني والمضوى ، وظروف على حياة الضياع الحليلي ، في مثل هذه الحالات أفضل إعتناء مشروع صغير لضمان الرزق ، ماكنة خياطة ، طائرة لبيع الحلوى والسجائر ، فقد أسبب زوج أم صابر بشكل متأخر ، وأصبح عامل للأمر القدي كان يصلح النفس لزراع الساعات حاجراً ثانياً ، ومن خلال مشروع ليلة القدر ، ومن خلال بعض الطبيب بدلت أم صابر لبحارة جاز (كيروسين) وأعترف أنني عملت تعليمات اسناداً مصطفى أمين مرة ثانية ، نفس تعليماته إذ من حصل من مساعدته من ليلة القدر لا يحصل مرة أخرى ، ولكنني قدمت إلى أم صابر مساعدته لعدة سنوات متتالية ، ماذا كانت النتيجة ؟ ، لأم صابر خمسة أبناء ، أحسنهم على تعليمهم جميعاً ، تخرج منهم اثنان من الجامعة ، ما زالوا حتى هذه اللحظة بدون عمل .

لقد أدت الأم الصاعدة لولا الإزاحة واجبتها تجاه المجتمع . ولكن المجتمع لم يؤد واجبه تجاهها . وما زالت تذكر عيوبها ولهجاتها الصاعدة . ولبعض يدعا . . . أنا قدمت لصر زوجهما نظيفاً . . . جملة زي البرد . . . لكن الأبناء علة عليها الآن . وأكبرهم الذي يحصل بتكالوريوس شهادة لم يحصل بعد .

مثل هذه الأسر يقضي معيها . ويقطن وتضعها وكأنه يتعلق بي . وأيضاً تلك الأسر الفقيرة التي تترقبها لربايها فجأة . لو علمه الأم الصاعدة في إحدى تربي علما التي اختفى زوجها في الكويت . ولم تسمع عنه عبراً منذ سبع سنوات . أحياناً أتذكر بعض المواقف التي لا تخلو من طرفة . في إحدى تربي الصعيد . وصلنا إلى أسرة لطيفة . كان الخطاب مكتوباً على لسان الأم التي فطنت زوجها . قلت أنها لطيفة وتطلع إلى مساعدة من ليلة القدر . وقد رد الأستاذ عطفي أمين عليها بطلب شخصي حملته إليها . أتذكر لولاه فيه . إن ليلة القدر لكل المصريين . وليست للمسلمين فقط . كانت ليلة نريد حماراً . حمار يمكن أن يساعدنا في عملها عند طعابها في القنيط . وإلى السوق . وبعد أن استفسرنا واشترينا الحمار . قامت القرية برفة كبيرة . فرحاً بالحمار الذي سيهمل حياة الأرحمة . أما هذا الأب الفرواني (عامل بفرافه) فلن أنسى حزنه على حبيبه أينا . لم ينجب غيره . وبعد أن حصل ابنه على دبلوم صنّاع سافر إلى العراق وحصل جرسوناً في مجلس . واحترق هناك . فدا في صندوق . وتركت الأب عن العمل . مع أنه لم يكف طوال

عده ، كان حزبه على وجهه يعقل الوقت كله ، ويعرض الأرض ،
وإنتاج السماء ، حزن كوني قطر نلس . .
الأعشى . .

من يعرض الحالات التي صورت أو صورت بها ليلة القدر ، سوف
يكشف لوضع الأمل على غير الثلاثين عامًا الأخيرة ، وأثناء فحص
الخطاب لا أتردد أمام من يطلب مساعدة لأخر ، فتمت قراءة لا
بمجرد القراءة أو الكتابة ، فهنوب عنهم الجيران ، أو (تأجل غير)
كما بين الترتيب ، كذلك أمام من يطلب غطاء أو مرتبة ، أو
وسيلة زول . .

لقد دخلت فترات أخرى إلى دائرة المحتاجين ، إن أنسى هذا
الأب الذي تقاعد بعد الستين ، وطلب مني أن أساعده في العثور
على من ينسى لولادة الثلاثة ، كان موظفًا محترمًا ، لكنه عجز
عن مواجهة تكاليف الحياة وضغوطها ، في حالة أخرى جاءت
روحة وكيل وزارة بالحفصة ، وترجمت للأستاذ مصطفى أمين
الغروب ، وتقرر لها بالفعل مساعدة . . ولنسأل أنفسنا ، كم يبلغ
ترتب وكيل وزارة الآن ؟

ما لا يحزن مما تقدمه ليلة القدر الحسان من مساعدة لما يحزن .
يكفي آلاف الطلاب الذين يتلقون مساعدات شهرية ثابتة ، وعلى
الأبنام التي بدأ العمل فيها بالفعل في مدينة السادس من أكتوبر .
بعد حوال استاذنا مصطفى أمين لحظات ليلة القدر الثلاثة كل سنة
مرة ، إلى أيام غدا . .

لم حاولت فنونك ألباب من عانيت . من كنت الوسيلة لتقدم
مساعدة غيرت مجرى حياتهم لا استطعت . ولكنكم لتعبر بالسعادة
عندما يزورني ابن أحدى الأسر بعد تخرجه وعمله . وكان ذلك
تتاج ماكنية عيالكه لو ماكنية تريكو لو مشروع بسيط تسهت فيه
ليلة القدر التي نعتبر من أهم علامات التكافل الإجتماعي .
والإنساني في مجتمع تتزايد فيه صعوبات الحياة .

بالنسبة لي فإن العمل في ليلة القدر من أهم قنوات اتصال
بالواقع . بالبطء الذين جئت منهم . فإنا ما أتحدث لي الفرصة
تسب تكون واسطة لتقديم المساعدة الإنسانية فإن ذلك بقدر ما يتبر
واحد . بقدر ما ينحرفني أتي أبيت بعضاً من واجبي تجاه أولئك
الذين لا صوت لهم . وأحاول قدر استطاعتي أن أكون صوتاً
لهم . .



روز × روز



.. تبدي أنني حسانًا مع القتراب موعد المنتاح للفرس .
اعتبارها نوع الأفلام ، الفكر ليس ، لمون الكتابية ، خاصة أنها
تسوي موعلة نواستها الإبتدائية ، وتدخل المرحلة الإعتدالية .
لزي مختلف ، والاستعداد أيضًا ، هكذا نفس الحياة ..

راحت تسألني عن أنواع الكراسيات ، الأنواع ، ثم سألت
فجأة .. « تعرف يا بابا أن ما استريحش إلا إنا كان عندي ورق
وكشاكيل كثير .. » .

نظمت إليها حسانًا ، مهنيا دعشتي ، هل تلاحظ حاداني ؟ هل
انتقل إليها متى بعض ما ألحوم به بحكم تلك القانون الخفي ، القوي؟
لورق ، الكشاكيل ، ألوان الكتابة ، بعد انصرافها وجدت
نفسى أطلع إلى ما فات ، وكانت عن لحدثي عما هو قادم .
ساج ، ثم بلفنا بعد .

في سنة تسعة وعشرين وتسعمائة ألف ، ولأسباب فاضحة لا
أجد لها تفسيرًا حتى الآن كتبت أول قصة قصيرة ، لذكر أنني
كتبتها على صفحات كراسة مدرسية ، كنت في الشهادة
الإعدادية وقتئذ ، كنت أكتب على فرجهين ، وبعد عامين عندما
تقدمت بأول كتاب إلى دار النشر للتأليف والنشر ، وكان
عنوانه « المساكين » تيمناً ونشأؤاً بعنوان أول كتاب أحسنه
ستروفسكي ، وكنت لرائه في المطبوعات الشرق ، تلك السلسلة
فرعية التي كانت تقدم الأسماء الروسي مترجمًا .

من هذه الدار الثلاث بالسيدة شفيقة جبر ، حرم الأستاذ عبد
فرحمن الحميسي - رحمه الله - ، ووالدة عبدقادر العسر أحمد للمهم
الآن من موسكو ، وسوف أنقص في حديثي عنها ، فهي تنسني
إلى عمدة قلوب الذين لم يكتسبوا ، ولا لأذكركم أنني في حياتي قد
أحببت لأفضل بقا ، إلا أيدي ، واليدى رحمتها الله ، ولحبيب
محبوط ، وشفيقة جبر ، وشيخنا عبد الوارث القسولي ، أمد الله
من أعمالهم الجمين .

نظمت إلى السيدة شفيقة ، ما زالت أذكر نظرتها الطيبة ،
الشغلة على صغر سنني ، تصفحت لورائل المجموعة ، ثم قلت أنه
من المستحسن أن أكتب فيها بعد على جهة واحدة ، لأن هذا
سهل للطبعة .

فيما كنت أصغر إلى كلمة لطيفة يقولها داخل فرحا ، ولكن
صدور المساكين لم يحدث قط ، أما لؤلؤ كتاب صدر بعد هذا اللقاء
شعاع سنوات ، وكان عنوانه « لورائل شاب عاتق مند كلف عام » ،
رحلة شاقا ، وعرا ، طويلة ، عانيت فيها للكثير ، ولكنني لا أزل
أقول من شعوري بالإمتنان لكل من ساعدني وعانني .

كانت القصص القصيرة التي تضمها المجموعة مكتوبة على ورق
مسطر مجوز ، وكان مصروفني اليومي فرسخ صالح ، وكان يكفي
بشكاه ما أحتاج إليه في يوم الدراسة الطويل ، ورغم ذلك كنت
أؤمر منه خمس طيبات لأشتري لورائل ورق مسطر من مكتبة
تصال الواقعة بجوار مجلس البنان على ناحية شارع قصر الشوق .

ما زالت تذكر رائحة الورق ، والحبر ، والأساتيك ، للمدرسة
برائحة الحلوى والسكرت ولعب الأطفال .

زالت المكتبة الآن ، ولا تمر بموقعها إلا ويهفو قلبي ، فقد كانت
من علامات عيالي ، خاصة في الأعياد عندما تتزين واجهتها
وتعلق قبايونات والقب .

لم يكن مسكننا الضيق يتسع لكتب ، فلفظ متفلسفة صغيرة تطوى
وتبسط ، أما كتبني غير المترجمة فكانت قليلة العدد ، يصطف
بعضها فوق لو في لرتبة الصوان فترعيد القصص للابن الأسرة .

كانت والفتى - رحمها الله - تفهم عني ، وتترك ما عندي
بدون لفظ بيتا ، ومنى إليها كإذ ينتقل ما عندي فأنتطح عصبيا
فأترك أنها فهمت ، وعرفت ، كنت أمامها كتابا مبسوطة ،
مفروحة ، وكانت هي ملحة بقله وحوائبه وما يخفي من معانيه .

كانت تعرف أنني أجد نفسي خلال تلك الإنجاعة الطويلة التي
لا يكون بين يدي كتاب مفروحة أو كرسيه غروس ، كان والدي
الذي نفسي سيكروا وهي طفلة شيخ القرية ، وأمام مسجدنا ،
وسالط فلراتها بالأحجية والتماويه ، وسداح الرسول ﷺ ، وفي
السنوات الأخيرة الكشفت مخطوطات نادرة وجميلة لابن عربي
والقاضي عياض وغيرهما ، في منزل جدي ورحمه الله . ما زال
المعشرون من ربع حسام الذين بجهينة الغربية يذكرون ملاحاة
حسونه ، ورقة إنشازة ، هل كانت الواقعة ترى في اتحناتي على
المرامة ترميدا لما شاهدته من أبيها في طفولتها البكرة ؟ هل ذكرها
جلوس إلى التفضلة به ؟

على استعمالات صورته وهي ترفيقي مستغرقتنا ، متهمكنا في
 الكتابة فكانت نقرب لتضع كوابل الشاي التليل ليعطر بالتمتع
 ويستعد في صمت لتجلس على مقربة مني ، لا تنام إلا بعدنا ،
 وتستيقظ لبنا أجمعين . . كوابل الشاي هذا هو الصانع الوحيد
 لمرحلة عذبي بالكتابة ، كوابل واحد لا غير لترهب في الماء . . لا
 أنرى ولن أعرف أبداً أي عسور كانت تصرفني على فعلها وهي
 رئيسي متكباً على الورق . .

وكثيراً ما كان الورق ينتهي ، ولا ينهي الكتابة ، فأبدي غيباً ،
 عندئذ تنس يدنا في عسورها ، ومن ميراتية البيت اليومية تعطيني
 نرساً لو التين لأسرع إلى مكتبة العسور وأعود بالورق الفولسكلاب
 وأواصل الكتابة .



في بداية السنينات ، وفي منزل الفنان الراحل عبد الرحمن
 الخميسي تعرفت على صلاح عيسى ، وفي عنه حديث أطول فيما
 بعد لتأثيره العميق في علاقتي بالثقافة والواقع ، ولكن ما بينني
 الآن رؤيتي لورق الصحف الفتت معه لأول مرة ، كان يكتب
 عليه بقلم جاف وخط دقيق ، منظم حارم ، لانا كمدلائته بالقرارة
 والكتابة والحلم ونفسه .

عندما عرفت طريقني إلى جريدة النساء ، بدلت أحصل على
 هذا الورق من الصديق العزيز عبد الفتاح الجمل الذي كان يفتح
 مسره وحباً للجميل كله ، وبدأ يدني بالورق ، هذا الورق الفتت
 انتخلف عن طباعة الصحف أنواع ، منه الحشن ولتاهم طباقاً

للمصنف ، فنقلتها كتاباً لوروسيا ، اللهم أنه حتى لم تكن
توفر الورق ، تم احتفوت فيما بعد وحتى الآن لم أكتب قصصى
عليه لأول مرة ، اسميها الكتابة الأولى ، حيث يكون الإطلاع
لتسجل ، ويمكن كتابة جملة واحدة ، وإذا لم تطلع من النفس
موقعاً حسناً ، عندئذ أمرزل الورقة وأبعا في أخرى جديدة ،
يشجعنى طبعاً وفترته ، في كل زيارة إلى عهد الفساح الجمل
كنت أطلب « شوية ورق » فيسحب من الفرج رزمة ويقول لى
« عهد .. » ، وأعود إلى البيت لأضع الورق الجديد إلى القدم ،
وأظفر إليه في راحة ، وكلما تزايد مخزونه كلما شعرت
بالاطمئنان ، والاستقرار ، وهذا ماين حتى الآن .

في عام ثلاثة وستين وتسمائة وكلف التحقت بالعمل رسالماً
ومصمماً للسجاد بمؤسسة التعاون الإنتاجي ، وتعرفت على أنواع
جديدة من الورق ، ورق أبيض ، وسطر ، ورق ستين جرام ، وأخر
سبعين جرام ، ورق مخليف شفاف اسمه ورق « ريز » ، كتاب
بمجموعة لكتابة صور الخطابات على الآلة الكتابة ، أما الورق الأزرق
السيك فتأخم ، والمسمى بلزوييه فتخصص للخطابات الرسمية
الصادرة عن مكتب رئيس مجلس الإدارة إلى الوزير أو العكس ،
الورق الأزوييه لاستعمال المستويات العليا من القيروتراطية فقط ،
ولذلك كانت بعضى شديدة عنفا التحقت بأختيار اليوم ، رؤيت
الخطابات للتبليغة مع الإدارة تكتب على ورق شتت من لوراني
العصف ، وفوق هذا الورق الترافع توثيقات موسى عيسى
ومعظمى أمين وسعيد سبل وجلال عويذر والدمير العام .

من التعاون الإنتاجي تعرفت إلى زميل ، موظف يعمل على
آلة الكتابة ، يدان المتعلم معه ، يكتب لي للساعات النهائية
من قصص مقاليل أهر زويد ، وقد أخذ هذا الزميل مخطوطة رواية
لي كانت منتفذة إلى الأبد لولا أنني سلمتها إليه قبل الاعتقال
لدى غلقت بسبب روايتين ، ولهذا تفصيل فيما بعد .

عندما أحصل من زميلي على ورق أبيض مسطر ، ناعم ، وكما
كنت أعمل مع عبد الفتاح الجمل ، يوماً بعد يوم أعود إلى البيت
ومعي مجموعة من الورق ، وكان والدي - رحمه الله - يحضر إلى
ورقاً من زملائه بوزارة الزراعة ، ومرة أخرى إلى برزما كاملة من الورق
المسطر مقلدة ورق بني اللون .

كنت أذكر الورق ، وكلمة تزايد مخزوني منه تطمأنت نفسي ،
وهذا دأبي حتى الآن .

في بداية عام سنة وستين كانت ثروتي قصص يوم كاملة ، من
الورق الأبيض المسطر ، وورقتين من ورق الرز الحليفي ، وثلاثة
ورق أبيض ، وكعبة أخرى فرط حوالي نصف رزمة ، وكعبة من
ورق القش ، والأخير مصغره عبد الفتاح الجمل .

كان لدى مخزون استراتيجي يفر لي الإحساس بالأمن الورقي ،
وكان باستطاعتي أن أكتب بدون الخوف من غلاد الورق قبل
إنهاء القصة أو المقال ، باختصار كنت مائتاً ، مطمئناً ، إلى أن
سكنت ليلة التاسع من أكتوبر من نفس العام ما كدر على صغرى ،
وأورث عيني حسرات .



في تلك الليلة باصفاً واثراً الفجر .

باختصار اعتقلت ، وكانت المخطوطات كمية كبيرة من كتب
لاخبرت تسنها من ثوني ، وكثافة ما لاخبرته من ورق .
كان الضابط يتفحص الرزم بعناية ، يتحسها ويقلبها ، وعندما
لمررت أنه سوف يأخذها قلت له إن هذا ورق كناية ، ساقا حتى
مصابته ؟

نظرتني مضيقاً عينيه ، قال باختصار ذو مغزى :

« طباعة المنشورات . . . » .

قلت مجدولاً :

« ولكن هذا ورق لا يشرب الخمر . . . » .

بالسخر :

« وكمان عارف ؟ » .

في هذه الليلة فلففت الحمول فعمسى الأولى ، وروايتين
مخطوطتين هذا ثالثة كنت قد دفعت بها للكتابة على الآلة ، كما
فلففت كثافة الصور المنقطعة لي من قبل حتى تلك الليلة هذا صورة
صغيرة تحدثت عنها في هذه اليوميات من قبل .

سجنت في القلعة ، وسررت بطرود عالية ، والغروب أنني في
الليلي أنني كنت لواجه ليها آلة الفسح الرعبية وحيداً ، متفرقاً ،
كنت لذكر الورق الصائم فأكد ليكني حزناً وحسرة ، الحزن عليه
بنفس القدر الذي أحزن على مخطوطات عمسى ، والورق
ورسائل ، وكأني أسمر على ما يكن كناية مستقبلاً على
سطوره ، ولذكر أنني في إحدى الليالي استمطقت على حلم

- قابوس - وأتت فيه رزم الورق الأبيض قتي فقدتها ، ألتا بنسج
أوضح الذي كانت عليه داخل الصوان ، وكنت في الحلم لصرح
بحاولاً دفع البعض الذين يحاربون مصادرتها أو الناس بها ، غير
أن صواحي لم ينتج عنه إلا بلفظي عاتر الأتلس ، مشهدنا ،
وعندي حزن عائل على الورق الضائع .



الكتابة الأولى على الورق الفتت

الثانية على الورق المسطر

الحمد لله ، عندي الآن ما يكفي من التوعين ، وعندى عقار
عوى ورقاً مصفولاً لامعاً ، يتوزن عليه قلم في يسر وراحة ، ورق
من فرنسا وأخر من إيطاليا ، ولكني لا أستعمله سخافة إن أعتاد
عليه ، من أين لوفره ؟ أتبع هذا الورق جانباً ، لا أكتب عليه إلا
رسائل الخاصة إلى الأصدقاء والأعيان ، الآن . . يمكن القول إن
الورق كان بنوعه الفتت والمسطر ، وكلاهما لوفره في بداية أخبار
نجوم بوفره وكرم ، لا أحتاج مزيداً من الورق ، إنما أحتاج إلى
وقت ، إلى زمن كاف لا أكتب ما لريد أن أكتبه على هذا الورق .
الآنين .

من أهم الأخبار قتي أحرم على مشاهدتها يوماً ما بشر عن
بعضات قبل ، هذه السنين قتي تزيدنا بحيرة ناصر ، ما
خلفني تلك السنوات قتي يشع فيها ماء التبل ، وتخطر إلى
أسحب من الخزون الأستراتيجي للبحيرة ، وإلى ما قبل بناء القد

كانت الحياة في مصر ترتبط بإنتاج المياه في الفيضانات العنيد ، خاصة قبل بناء الخزانات المتعددة مثل أسوان ، والقناطر الخيرية .

في القرون الوسطى ، وحتى القرن الماضي ، كان المائدي يطوف شوارع القاهرة يومياً ليعلن على الناس المستوى الذي وصل إليه منسوب الفيضان . فإما بلغ ستة عشر فراساً فوق الطول بالبساتين ، وتتم الفرحة ، وتهلل البساتين على المائدي الذي كان اسمه زمن ابن لياس « ابن أبي القروان » ، وإما نقص النيل عن ستة عشر فراساً سرعان ما تختفي السلع من الأسواق ، وترتفع أسعار الخلال ، ويبداً المجاعة ثم الأوبئة ، هذا مشهد يتكرر عقب نضج النيل طوال تاريخ مصر .

نيل يحل هو شريان الحياة ، لذلك كان بعيد في الزمن الفرعوني ، وكان الإنسان التوفي يلتمس في بداية رحلته عبر العالم الأبعد أنه لم يسرق ، ولم يزن ، ولم .. بلوث ماء النيل ، يفسد أننا نسبتا تلك الخطيئة البدئية بعد أن سيطرنا على مياه النيل ، ونصف إحساننا بالنهر إلى درجة إهانة .. بلقاء الخلقات فيه ، وحجبه عن قرينة بلبناء البساتين عليه ، وأعتنى أن يكون نضج النيل في السنوات الأخيرة سببه هذا الإعتناء ، لذلك يجب أن نعيد إليه عينه وأن نتهلل إلى الله لكن يتم القراء القديم ، للتجدد في مواعده لنا كل عام .



حديث فورا

الذاكرة

الوطنية



.. في برنامج تلفزيوني أذيع الأسبوع للنفس جرى حوار مع مجموعة من الشباب ، ولفوا كلهم منذ سعة عشر عامًا ، أي في أكتوبر ١٩٧٣

عندما سألت للذبح أحدهم عن عبد العاطي صائد الدبابات ، قال أنه لا يعرفه ولم يسمع به .

وعندما سألت آخر عن أشهر مطوك أكتوبر قال : إنها معركة حطين ! تاملت وجوههم ومبلاصهم يمزج من الفعالة والخيرة ، عندما جرت معركة العبور كانوا أجنة في بطون أمهاتهم ، لو يسلون سعيهم في الحياة الدنيا .

هل الرومهم ؟ أم الروم الظروف ؟

لذكر أننا كنا نعوس في المدارس الابتدائية والإعدادية فصولاً عن أبطال مصريين ، بعضهم من أبناء الشعب البسيط وقد عاشوا على إشتداد تاريخه ، من هذه العروس عرفت عيسى العموم الذي كان يصر النيل إلى معسكرات الصليبيين في صباط قبل أسر لويس التاسع في التصورة ، عرفتته قبل أن أقرأ مصادر التاريخ المصري الكبير ، مثل « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » لابن واصل ، أو « النجوم الزاهرة » لابن تقي برقي ، أو « بدائع الزهور » لابن ياسر .

عرفت أيضاً ابن القبائلي شهيد ثورة ١٩١٩ في سيفة زيب وقلت الطفل الذي لا أذكر اسمه والذي كان ينسل إلى إلى معسكرات الفرنسيين لسرق البنائقي والسلاح .

وشيخ زهوية العميدان الذي تزعم الثورة ضد الفرنسيين ، (م)
إعطاه حرقاً في النبل .

هؤلاء وغيرهم استنفروا في ذاكرتي نتيجة لظنك الحرص الذي
عرفته مصر طوال تاريخها على عيانة ذاكرتها الوطنية ، بدأ من
لمصر الفرعونى عندما كان الفراحة العظام يسجلون على الحجر
إنجازات جيوتهم وأبجائهم وجلال الأعمال التي قاموا بها .

كيف وصلنا إلى نقطة ناعت فيها ذكرى عظيمة لم يلفس على
مروءة إلا نسبة عشر جانا ؟

أكتوبر وللع عشته ، أيام تنسناها وننسنا ، مروءة بها ومروء
تا ، ظمنا تعيب التفاصيل ؟ ولما تبدو الروح التي سادت شعبنا
غريبة ، نأية الآن ؟

ثم يكن أكتوبر مجرد هذه الأيام التي استنزفتها الحرب ، ولكنه
كان لحظات مضبوطة في تاريخنا ، انصهرت فيها عوامل تكوين
الأمم في ظروف نادرة ، عوامل بعضها ظاهر معلن ، والبعض منها
يدخل في تكوين أمتنا العريقة ، وهذا ما تعبه بالتاريخ الطويل ،
والخضارة ، هذا ما هابتة وما شاعتته ، لم اقرأ عن أصالة وسالة
القاتل المصري الذي عبر القننا ، ولكنني رأيتها كشاعت عبان ، لم
أسع عن الفلاحين البسطاء الذين عاشوا على ضفاف القننا تحت
الضرب اليومي مباشرة وفي مرمى الأسلحة الحربية القوية ، ونفوا
مناورة أرضهم واستنفروا بزعمونها في الشط ، في كلر عامر ، في
الدهرسوا ، في أمي خليفة ، وحلى الكلاب والنبينة شمالاً ، لم
يكن النبات المسلي بدعاء الشهداء مجرد أفضان تنمو من

الأرض ، ولكنها كانت دلائل على روح عظيمة ترفض الظهور والموت ، وكان العدو يدرك خطورة هذا اللون الأخضر وما يحتمل من تحدي ، فاستحضر فطانت الفوسفور عصبها ليلصف الفروع ..
 وفي الفلاحون حتى رأيتهم صباح الأحد صباح من أكتوبر
 يصرون الفناء فوق الجسور التي تقامتها قواتنا المسلحة ، يحفظون
 عوائق فوقها طعام الإغطار والكتواب الشاي باللبن ، تحية رمزية
 للجنود يوم الصباحية كما أطلقوا على أول ليلة مرت على وجعنا
 في سبناه بعد رفع العلم المصري ..

ماذا جرى إذن ؟

لقد جرى خلال السبعينات ، خلال السنوات التي تلت الحرب
 تغيرات اقتصادية واجتماعية عميقة ، وعطيات عمرا واسعة لم
 يعرفها الإنسان المصري في تاريخه ، حيث جرى امتداده على
 أيدي الأشقاء ، وبذلك فجم أخرى تترسخ ، الأمانية ، والإنعاش
 المستمر من أجل الحصول على الحد الأدنى لمطالبات العيش ،
 بدءاً من مكان في وسائل المواصلات وحتى البحث عن فرصة
 عمل ، ومع الثورات الهائلة التي ظهرت في فترات وجيزة جرت
 عملية استغلال حداثة ، نتج عنها ظهور هذه الأعراض السلبية
 في حياتنا التي نعيشها الآن ، ولكن أخطر ما جرى على مستوى
 الوعي ، هو عملية التدمير البطيء للقائفة الوطنية ، لتكفل العناصر
 التي تراكت عبر آلاف السنين وحتى أكتوبر القوي .

لإزاء منطق دواتنا على ١٩ ، و ٢٠٠٠ ما هم سببك بلاتن كلام
 شعارت ١ ، لإزاء منطق الرغبة في الخلاص القوي ، ومنطق ١٠ ما

الله نفسى ١ . جرى إزواء اللحظات القسيسة فى تاريخنا حتى
تفرج ، وعندما نتحدث الآن عن الروحفة الوطنية التى ظهرت
خلال ثورة ١٩١٩ يبدو البعض دعماً ، وعندما نستعيد شعائر
لهلال والصلب ونقول أن النفسى سرجيوس كان يتخطب من فوق
المسرح فى الأزهر ، والشايخ فى الكتاتيب يصم النظر فسون من
الجانين لفنانهم .

وعندما تذكر السلس من أكتوبر فى المناسبة فقط فإنه يتحول
سريراً إلى ذكرى باعثة ، وما تثير عند البعض نظيف التراث منها ،
لأننا كالأغاني الوطنية التى وترد فيها اسم مصر بشكل يتخلو من
المعنى ، فلا تسهم إلا فى تسطيح التسامر ، هذه الأغاني التى
أرحت إلى كتابنا الكبير أحمد رجب بإحدى شخصيات بلغة
لدلالة ، عهد خريطة مؤلف الأغاني .

ما جرى فى أكتوبر يقول بكتير كل وسائل التصبير عنه فى
الإعلام ، فى المنشطات التى تصاحب الإحتفال به ، رغم كل
ما قيل وترد فإن جوهر تلك الأيام لم يتجدد لئلاً حتى الآن ،
ولن يتم هذا إلا فى إطار عملية شاملة لإحياء ذاكرة الأمة ،
تاريخها ، فنامح من سوانفها وهذا أمر لا علاقة له بلهى نظم
الخصامة أو سبابة بل إنه يتصل بضرورة استمرارية الأمة ، وما
نحن نجد أن هذا الدول الرأسمالية ، مثل إنجلترا وألمانيا وفرنسا ،
ومبرهم ، فنانهم يحرصون على ذاكرتهم الوطنية إلى حد
التمصب ، الصور أن الأرب والهن والإعلام ومناهج التعليم ، كلها
مروج وجهود يجب أن تتضافر فى إطار مناخ عام يسمح بالحفاظ

على ذاكرة الأمان ، وإحباط الجفوة الكائنات ، بدون أن يردد البعض
أن هذه مجرد شعائر باقية ، وحتى لا نصل إلى لحظة يجيب
فيها شاب جامعي قائلاً أن إحدى معارك أكتوبر عن معركة حطين !!
ولكن تحت الرماد قباتي هناك جسر ما زال متقد .. كيف ؟

علاقات الغربيب ..

.. بعد حصار استغرق مائة والرابعة وثلاثين يوماً فتح الطريق إلى
مدينة السويس التي أصبحت بحزن ومراً ، ما زالت لأذكر تلك
الصباح البكر الذي وصلنا فيه إلى نقطة سرور التفتت ، كنت
ضمن مجموعة من الصحفيين ، أول من يدخلون إلى المدينة مع
أجهزة الدولة المختلفة .

ما زالت لأذكر أعالي المدينة وهم ينتشرون الرشاشات والأسلحة ،
منهم من يرتدي الأفرول العسكري ، لو الجلباب البلدي ، كان
أجرباً بوناً ، واللقاء مؤثراً إلى أقصى حد ، الفصح في العيون بتأثير
الفرح والحنى الكامن ، الظاهر ، كانت حلى الرجال طويلة ،
كثيفة ، لم يكن هناك ظروف تنجح ترف حلاليتها .

والأسي لست غريباً عن المدينة ، بل كنت قائم التردد عليها
خلال حرب الاستنزاف وحتى أيام أكتوبر الحبيبة ، وحت أبحث
عن أعرافهم ، وسرعان ما رأيت بعضهم ، كاتبين غزالي ، أحمد
المطيطي ، عبد المنعم تاروي ، سوسو الحلواني ، تقدموا مني ،
واقدمت منهم ، تعالفتنا ، ما زالت لأذكر جلسة أحمد المطيطي
بمجرد أن تواجبنا ..

.. بلينا لسة ..

كان ذلك يعني استشهاد أربعة من فرسان أعضاء الجموع
العدائية التي لم اعتبار وجعلها من أعلى المدينة . ولشرف مكتب
الحارات الخربية على ترويضهم وتنفيذ عمليات ذات طبيعة خاصة
حدا بواسطتهم . وكانت بيانات تصرف مرفعة باسم منظمة سباء
الخربية . التفت بهم في وقت مبكر بخمام نساء وشين واستعمالات
وآلف . في مفرسة مهددة . وكان ذلك عقب عبورهم القناة في
منطقة الشط ورفعهم العلم المصري لفرق إحدى النقاط الحصينة
بعد انتحارها . لقد بدأت عملياتهم بهم وقتئذ واستمرت طوال
سنوات الحرب . وعملياتها استشهاد منهم عدد من أطفال وأنجع
أبناء السويس . كانوا كلهم منطويين . وما زالت أحفظ فرقة
مكتسبة بصورة أول شهدياتهم مصطفى أبو عاتق .

بعد فتح الطريق انضمت أبنائنا مدينة في السويس التي كانت
مدمرة تماما . لم يحدث هذا التدمير في ستانجراد ولا في أي
مدينة خلال الحرب العالمية الأولى أو الثانية . وخلال هذه الأيام
كنت أعايش وأحس . واليوم في كل ليلة مطعنا لما أصبح .
توقفت مطولا عند عبد العزيز .

عبد العزيز سائق عربة لنقل الصحف . في يوم الثالث والعشرين
من أكتوبر قاد سيارة نصف نقل تحمل الصحف ليتم توزيعها بمدينة
السويس . وحدث أن قطع الطريق عندما اندلع القتال غرب القناة .
ليبدأ طريق الجيش الثالث . وسرعان ما بدأت معركة المدينة الحارقة .
تخرج عبد العزيز بأعلى المدينة والحدود والضباط يهرعون محسوب
مداخل المدينة بعد العدو . وله أحمد العطيش وزملائه . سأله :

« تعرف ضروب نار ؟ »

قال بساطة :

« لم تضروب نار طول عمري .. لكنني يمكن أن أتعلم .. » .

قدم إليه أحمد مهنفاً من طراز لُر من جي . وعقدت لقاءت . وراح
بسرعة يشرح له طريقة استخدام اللدخ . صحبهم إلى جهة كوبري
الزاور . وهناك أطلق عبد العزيز لقاءت مبدعه . وكان ذلك لأول
مرة في حياته . والأمر مرة أيضاً . إذ استشهد عند الكوبري ولكن
.. بعد أن دمر دبابتين قلنا في مكانهما إلى ما بعد انتهاء الحصار .
عشت إلى القاهرة وعندي من الحكايات زاد كثير . ولكن عبد العزيز
راح يلح عليّ . هنكفاً شأني مع الشخصيات التي لعابستها . لو أتت
بها . لو أتتف هنكفاً . صرت لراه الماسي أيضاً ولبيت وجهي وكأني
كنت تعرفه وفابكته وانعدت إليه ونكوت ملامحه في فحني مع أني
لم لراه قط . كتشبت قصة احكايات الضروب « في ربيع ١٩٧٤ .
كنت متأزماً برفاعة استشهاد عبد العزيز . وكان تصويري عنها سريعاً .
فهناك وطاق أخرى لم ليونها بعد . رغم أنني عشت لفاصليها .
نشرت القصة لأول مرة في مجلة صباح الخير . ولحمس لها الصديق
قائد الصحفي رؤوف توفيق . ثم صلت في كتاب يضم مجموعة
قصصها كلها مستوحاة من حرب أكتوبر . وحصلت عنوان القصة
احكايات الضروب . »

ثمانية عشر عاماً مرت . إلى أن بدأت إنعام محمد علي .
القناة الخاصة والذموية في الإعتاد لتحويل القصة إلى فيلم ينتج

الليغزوني ، لحسن طرح القيش وقدم دهنه الثاني والعنوى ، وبعاً
محمد طمس خلال كتابة السيناريو ، واستمر العمل فى الفيلم
أكثر من عام ونصف ، خلال ذلك كنت أقرأ أخباره فى الصحف ،
فأنا أتسى إلى موقف يشبه موقف استاذنا محب محفوظ وهو أن
الأدب مسئول عن نصه الأدبى ، لما منحته إلى فيلم أو مسلسل
فهذه مسئولية كاتب السيناريو والمخرج بشرط الحفاظ على القصور
ورؤية الكاتب .

ومنذ أسبوعين عرض الفيلم فى تظاهرة الصحفيين ، وطلعت فى
مقاعد المتفرجين ، وما أن بدأ العرض حتى فوجئت برجة تهزنى ،
والضجاء رهيب يهزنى حتى أن أحاسيس شتى تنتشى إلى زمن
الحرب طنتت الذكراها إلها بها تستبسط ، وتنفجر لانا كما عشتها
بند تسعة عشر عاماً .

بكت طويلاً ، بكت على أسور شتى ، على الأيام المبهمة ،
على بساطة وحنق الإنسان العسرى ، على كل الذين استشهدوا
واقعدونا نحن ، ثم طوامم قسيان .

هذا العمل الجميل الشاعرى ألقط ما اندثر عندى ، برهاتنه
حنق القوية ، بروعة أداء المشاركين فيه من تالين ، وموسيلى ،
وتصوير ، ومن قبل ومن بعد هذا الإخراج المتمكن ، المصحوب
برؤية واضحة ، الفد جرت العادة أن يملن الكتاب والأدباء ، عن عدم
رضائهم عن تصوراتهم عند تحويلها إلى أفلام سينمائية أو
مسلسلات الليغزونية ، ولكننى أشعر بالناكر الشديد والأمتنان

للغليزيون ، ولكن من شارك فيه . . كنت طوال السنوات الماضية
لسال نفسي ، من يذكر الآن عبد العزيز لو استقله من رجال ونساء
مجهولين رحلوا في عنت .

وقد حاولت أن أعود للذكرى عندما اقتدمت على كتابة القصة
عند ثمانية عشر عامًا ، ولكن الفيلم الذي شاهدته الثلاثين ليلة
ليس لم يحمي ذكرى عبد العزيز فقط ، إنما أدخل إلى الطوبى كل
من رحل غربًا كمن ينسى وطن .. وينسى ذاكرته حيا . .
نصوه من نشي .

بعد حرب أكتوبر كانت هناك رغبة سريعة في التغيير عن
أحداث الحرب ، وبالنسبة لسينما فقد أخذت الحوت العظيم
لقايسها ونظورها ، هكذا جرى اتصال مشهد المصور بالأمم
كانت معنا قبل الحرب ، ولم اختار قصة (الرجاحة لا تزال في
جيب) للراحل الكبير إحسان عبد القدوس ، ولم نوجهها إلى فيلم
سينمائي أنقذ القوات المسلحة دعماً مالياً طائلاً لإنتاجه .
ولكن الفيلم لم يغير قط عن حرب أكتوبر ، السبب بسيط . . لأن
القصة مكتوبة قبل أكتوبر ، وليست من عماله ، الفيلم الوحيد
الذي عبر عن الحرب ، عن مرحلة حرب الاستنزاف بالذات هو
(أبناء قصبت) الذي كتب لغته سعيد طوبيا ، كذلك فيلم
(مواطن مصري) عن قصة يوسف القعيد ، هناك أفلام أخرى عامة
جدا لا تعرض للأسف لأنها أفلام تسجيلية ، هذه الأفلام عبرت
عن الحرب وحفظها فقط أثناء المماتك مثل (جيوش الشمس)
لشادي عبد السلام .

ما تريد أن تقول ، أن من يعبر عن الحرب لابد أن يكون قد عاشها ، لا يمكن أن يعبر عن تجربة مواجهة العدو من لم يتأمله ، ولا يمكن أن يصف صوت انفجار القاذرة من لم يسمعه .

عناك تجارب للمقاتلين ، ولقد استجاب عدد من المقاتلين لتداء صفحات أخبار الأناضول ، وكثيروا تجاربهم بتفلاتية وحمق ، وهناك أعمال لم نذهبها بالفعل إلى الهيئة العامة للكتاب لإصدارها في سنة ألب الحرب ولا أتوى لسر في عدم ظهورها حتى الآن .

عناك فواتح اليومية التي تتضمنها يوميات القتلى ، لتذكر أن المرحوم المرحوم قد كتبه محمد أنيس توجه إلى مدينة السوس وألقى فيها مدة طويلة على رأس مجموعة من الباحثين ، فتلقوا بأعلى المدينة وسجلوا ما جرى . . أين ذهبت شعار جهودهم ؟ ، لماذا لم تنشر ؟

الفواتح بلا حصر ، وحرب أكتوبر فيها أحداث كثيرة المرحوم ليس نصر فقط ولكن للأمة العربية كلها ، وللاأسف . . لأن ما تعرفه عنها لا يتل إلا فترات صغيرة من جبل موجود ولكننا لا نراه

القتال...

إن جرحي فيها ، أصعبت إلى قصوت الذي بدأ متردداً لكن ... هناك ما تدفق حماساً ، قالت أنها طلبت بالسة الثانية لإعدادها ، وأنها سهوت حتى ما بعد الثانية لكن ترى فيلم ؟ - مكاتبات المرحوم ؟ ، قالت مبرفت أنها تأثرت جداً مع أسفاتها بالفيلم ، وأنها تريد أن تعرف ، أين يمكن أن ترى الأسلام

التسجيلية التي امتدت عنها في الندوة التي أقيمت في اليوم ٢ .
قلت : إنها مع أشغالها وملاها في حاجة إلى أن يروا أفلاماً
أخرى تروي ما قام به الصيرون في تاريخهم المعاصر ، هذه
البطولات التي نغيب شيئاً فشيئاً عن الذاكرة . .

قلت ليرفت أن الأفلام التسجيلية معظمها موجود في المركز
الفرسي للأفلام التسجيلية وفي التلفزيون أيضاً ، وما أفتاد أن تذاق
هذه الأفلام في التلفزيون بانتظام وليس في المناسبات فقط ،
لكن إن تذاق أفلام عبد الحافظ صائد القذابين ، غيروي بشارة ،
و « التفتح رقم ٤ » لفرزاد قنبري ، و « جيونو الشمس » للراحل
شادي عبد السلام ، والعديد من الأفلام الأخرى المعاملة التي
أنتجت بواسطة فنانين شبان ، فصحوا إلى مواقع الإنترنت في الجبهة ،
ومرر بعضها خلال العمارك ذاتها ، هذه الأفلام تليق بحرارة
ووطنية ، لقد أجهضت لهما للحرية حرب أكتوبر حتى الآن ،
بانتشاء ثلاثة أفلام ورواية ، ثلاثة بالتحديد ، « أغنية على القمر »
للمخرج علي عبد الخالق عن نص مسرحي لعلو سالم ، ونبه
كان يشر بالحرب والنصر ، و « أبناء القصب » عن قصة سعيد
طوبيا التي كتبها قبل المنور وإخراج محمد راني ، و « مواطن
عصري » رواية يوسف القعيد وإخراج صلاح أبو سيف .

لم تكن مبرهنت هي الوحيدة التي أصغيت إلى صوتها اليوم ،
ومن بين أكثر من مائة مكالمة ، ترفقت طويلاً عند اثنين وعشرين
منها ، مكالمات من نلاميذ بالرحلة الإيهلندية ، أحدهم تلو

بين الثانية عشر والخامسة عشر ، كانوا متأثرين جدا بالقبلمرة ، وكان بينهم من له عم استشهد أو قريب رحل إلى الأبد في معركة شرف من أجل الوطن ، وكانت تتروى على شفاههم عبارة نطق بصيغ متغيرة ..

« عازرين نشوف أفلام ثانية زى حكايات الغرب »

وكان هذا يعني عندي أن الجوهر سليم ، وأن من يتلون للتسلل يرهقون لأن يعرضوا ، وغبتهم قوية وعارمة وموجودة ، وأن الذاكرة الوطنية سليمة ، لم تدمر ، وإذا كان بعض الشباب لا يعرف شيئا عن عيد العاطي صائد الدبابات ، أو غيره من أبطال أكتوبر ، فليس فلكل ذنبهم ، إذا المسئولية تقع هنا على المناهج التعليمية ، على الأدباء ، على الفنانين ، على أجهزة الإعلام بشكل أساسي ، وخاصة التلفزيون ، إن يعود للعمل الإيجابية الواسعة على حكايات الغرب بعد عرقه في التلفزيون في حاجة إلى وقتا ، وإلى تأمل ، وإلى عمل أكبر نستقيمه من أحاسيس الناس وشاعرهم .

المقدمة ..

كان الاحتفال الذي دعت إليه لجنة الوحدة الوطنية مهيبا وغير تقليدي ، تحدث الدكتور أحمد المنصور عميد كلية الاقتصاد والدكتور سيد طنطاوي الفنى ، ولبابا شرمسة الذي كان في حديثه حرارة وأسى لا يخفيان ، والدكتور ميلاد حنا أحمد دعت الوحدة الوطنية ، والكاتب الكبير خالد محمد خالد الذي حرص على

المشاركة رغم مرضه ، وكانت مشاركة الفن على مستوى الإحساس بخطورة الوقت الذي تتعرض له مصر في هذه المرحلة ، كلمات الشاعر الحساس ، الوطني ، سيد حجاب ، وصوت الفنان على الحجار القوي المبر ، كما كانت نسبة الحضور المرتفعة ، والتي بلغت حوالي عشرة آلاف تعكس إحساس الجميع بالخطر وضرورة الجاوزه . .

إنني واحد من يعرفون تاريخ مصر جيداً ، أعاشته ولا أفرقه فقط ، وللأسف أتمنى أن قصيدة التي توصل إليها الوطن في ثورة 1919 مهيئة الآن ، لقد تعلق الصليب مع الهلال ، وهو كل العزائم التي أعاشها الوطن في هذا القرن استخرج دم القلم بدم المسحس ، وقد رأيت بعيني كيف يستشهد هذا إلى جانب تلك ، ولكن بتأثير قوى التطرف المتصاعدة في مجتمعنا الآن يحدث تراجع عن هذه المفاهيم ، وما لا يريد أن يفهم أولئك الذين صموا لغاتهم وأبصارهم عن تاريخ الوطن ، وأصلوا السبب فيهم في ذاكرته الوطنية ، إن تطرفهم يؤدي إلى ما يريد العناء وطننا له من تقسيم وتشرفم ، سواء كانت قوى محلية أو عالمية ، إن الوحدة الوطنية موضوع يجب أن تكون له الأولوية الآن على كافة المستويات ، فالحق كما يتطلب الأمر لخوض حرب شرسة يهتد فيها عضو أئسرس وجود الوطن ذاته ، لقد كان انتقاد هذا الإقرار ذو دلالة عميقة على وجود المخلصين المتعاضدين عن وحدة الوطن الأولية ، ولكنه كان يعني أيضاً أن الجميع يدركون خطورة الوضع الآن ، وما يجري حلياً على أرض الواقع ، وهذا ما لا يره للأسف المتصيين ، المتطرفون .



زمن الزلزلة..



.. عطلة ، شغلة ، عهد كوني ، مصدره الأرض والسماء ،
 معاً ، أصوات مجهولة ، ولقد ما يخيف الإنسان ما لم يعرفه من
 قبل ، ما ليس له مرجع ، صوت غريب بينما البني يهتف ، وكأننا
 فوق مركب يبحر عبر البوم وليس في منسى شاطئ من الخمرسانة
 يرتفع أكثر من عشرة طوابق .
 بدأ زمن التزلزل ..

زمن آخر ، يلتقي كل وقت عهد ، يبدأ من الجهول إلى الجهول ،
 كما لا يدري الإنسان لماذا ولا من أين ؟ لا يدري أيضاً متى
 سينتهي ؟ لأن كل لحظة فيه يمكن أن تكون لنهاية الأبدية ،
 يجمع زمن التزلزل كل الأزمنة ، البداية والنهاية معاً ، نفس
 والمطلق ، إنه زمن فنأرجع على حافة القهقريه فنتى لا يعرف مدلعا
 أحد .

ربما يستغرق الوقت ، ربما عشر ، ثلاثين ، مئتين ثانية ، ولكن
 تلك الثواني أو عشرات يبدو الوقت نبتاً بلا نهاية ، أهد لا حدود
 له ، ما من علامة بداية ، بينما كافة الاحتمالات قائمة ، ماثلة .

إذ ينشعب زمن التزلزل يتشقق إلى داخل النفوس ، إلى الفروع ،
 إلى المجتمع ، يشمل كافة جوانب حياتنا ، ويقتسب التزلزل الاكثين
 بالفتن فؤاد وفتنها لم ينه بعد ، حتى وإن عصفت هذه التوابع
 لنا ، امتدت إلى حياتنا وهدت البيروقراطية المصرية ولوضاعنا
 كلها كما لم يحدث مع أي زلزال أخرى .

إعلاء المسئولية..

البيروقراطية في مصر فلسفة ، وأسلوب حياة ، رؤية تسرى في
وإنما بالمتعار ودولة ، لأنها كما تسرى فنون ترى لتطرحها عن
التي من أركانها الخصبية ، وما من حفت كسيف البيروقراطية
بأساليبها وتكتيكاتها مثل الرقابة الأخيرة .

من البيروقراطية مبادئ عدة استلزم عبر آلاف السنين ، أحدها
سما « إعلاء المسئولية » ، أي على الموظف صغر لو كبير إن
يصرف باستمرار على أساس أنه إذا حان وقت الحساب الصارم
يكون بريئاً لأنها من أي مسئولية ، ولذلك نجد صيغ التأسييرات
على الخطابات والمذكرات الرسمية تفت حصة مائة . نقرأ مثلاً :

« للنظر » ، « للمعرض » ، « رجاء إهداء النظر » ، « بعد

الدراسة والفحص » .

أما كلمة « لوائح » الخياصة فلا تلي إلا من مستوى رفيع ،
على المنصب ، ذو نفوذ على الجسم ، وفي الغالب يكون مستوحاً ،
لأنه ظهر قديماً

لم كيف تصرفات الحكومة من خلال هذا المبدأ ؟

من قليلة الأولى كانت البيانات الرسمية عن المصالحات والتنازل
التيارة لكل بكثير من الواقع ، لم نحو البيانات التي أتتحت إلا وفقاً
بدور حول الثمانيين منزلاً .

عندما ظهر وزير الإعلام على شاشة التلفزيون أكد أن الأثر
سلبية ، خاصة الأثر الإسلامية .

بدا واضحا من تصرف الحكومة ، انها معنية لساعات بإخلاء
مسئوليتها ، ولكن المعارضة هنا ملابرة ومضحكة ، لأن إخلاء
المسئولية يتم بالنسبة لطائفة طيبة لا قيل للحكومة لو غيرها ، أو
أي قوة بردها أو إيقانها أو تقليل من تأثيرها .

كثارت الحكومة تريد أن تخلى مسئوليتها ونفذا للمنتقن
البيروقراطى ، وفى الجانب الأخر كثارت المعارضة لتصرف أيضا
ونفذا لتقن بيروقراطى آخر (البيروقراطية تشمل الكل) ، إنه
منطق لتحميل للمسئولية ، ألا يصح الوظيف المتين فى وجه محدثه
واقعا : سوف أحملك المسئولية .

هكذا تصرفت المعارضة ، من بقرا صحفها سيجد أنها تريد
الضغط على الحكومة باعتبارها المسئولة عن وقوع الزلزال ، حتى
أن جريدة الوفد أراحت إهانة حكومة سابقة عندما كتبت أن السيد
العالى مسئول عن الزلزال ، ورغم كل فتاكيدات من علماء مصر
والأمريكا واليابان ، لكن ما زال هناك من يصر على مسئولية السيد ،
لجهد أن السيد بناء جمال عبد الناصر ، وهذا تصرف بيروقراطى
مسيب ، الفرض منه تحميل المسئولية لطرف غائب ، نخرج دائما
من « الصلحة » لكن بينه وبين البعض حاجة

إتذ تصرف الجميع بمنطق إخلاء المسئولية أو تحميلها ، هذا ما
كشفت عنه زمن الزلزال ، الذى كشف أيضا عن مبدأ آخر من
مبادئ البيروقراطية المصرية الفرعونية العتيبة .

في الصورة .

عندما تسرى الأبناء في أي مصلحة يروون ونسبها لو مدبرها ،
بحر من الموطنون كلهم على التواجد في موافقتهم ، لكن نفع عيني
سيادته على هذا وثقل أثناء سروره السرح ، ولو لو ان . . اللهم ان
يكون الجميع في الصورة .

من كثير من التاليفات الرسمية التي حضرتها على مستويات
مختلفة ، كنت ألاحظ تدافع كبار الموطنين وصغارهم للظهور في
الصورة ، على أمل أن نفع عيني للستول الأكبر على كل منهم ، بل
هناك من يتمسكون الوقوف وتطلب الكلمة بأي شكل ، والحديث في
أي موضوع أمام الستول الأكبر على أمل تثبيت الاسم في ذاكرته ،
من إذا جاءت فرصة الاختيار ، عندئذ . . لعل وهسي .

انهم أن يكون الإنسان الموظف في الصورة ، وما من مثال
بحسب مبدأ ، في الصورة ، مثل اختيار الخواص ، من يلبس
من أجرم ضابط صغير ، ولكن هذا لم يفضل توجيهات القدم
ملاك بناء على تعليقات العميد فلان الذي لم يتحرك إلا بناء
من . . . اللهم ان يكون الجميع في الصورة ، صحيح أن الزلزلة
لمسحت من الصورة ، فكل مشهود إلى اعتبارها ، إلى قوة
روابعها ، إلى آثارها ، إلى ما نتج عنها ، ولكن كثيرين حاولوا
الانسحاب من هذه الصورة ، بل ولذا جعلها ليحلوا مكانها ، اللهم
أن يعجبوا في الصورة ، هل أضرب أمثلة ؟

كثافة في الصورة ..

لعل الفن ، الذين حرصوا بعضهم على اصطحاب مصوريهم معهم ، وانتظار الوضع المناسب لمواجهة الكاميرا .. اللهم ان يكونوا في الصورة ..

وزارة البحث العلمي ، وهي وزارة باعثة الحضور ، ويكفي ان من يتولى مسئوليتها وجعل داخل لا علاقة له بالبحث العلمي ، إنما مجال عمله تصاريح والاقتصاد ، لم تكن أخبار الوزارة بلزمة ، لو احتل مؤلفاً متميزاً ، ثم وقعت الزلزلة ، فأصبحت في مقدمة الصورة ، من الطبيعي ان تسمع أصوات خبراء الزلازل ، يقال ان أنفسهم طفت إلى السعودية ، ولكن بعد ظهور علماء مرصد حلوان ، وبخاصة الدكتور صبحي فريحة الذي يمكن القول أنه تكلم بشكل واضح ، بعد ظهوره في التلفزيون مع عدد من زملائه ، هنا يشير المستوي الأعلى بالقلق ، لأن واحداً من اثنين بعدما تطهر في الصورة ، عندئذ يتقدم مصفراً لوضعه ألا يتقدم أحد إلى قلب الصورة عند ، من هنا نظراً سطرين أو ثلاثة يومياً يحرصون الزويز على إعلانها بنفسه ، من ناحية الشكل الوضع صحيح ، نهر المختص ، ولكن هناك مظهر المرصد ، وخبراء الزلازل .. عندما أجرى أحمد سمير حواراً بالأخصار الصناعية مع العلماء الأمريكيين ، ظهر اثنان منهما ولم يظهر وزير البحث العلمي الأمريكي ، (كان إلى جوار أحمد سمير أستاذ جامعي بكلية العلوم وطلب منه ان يعلق على حديث العالمين الأمريكيين ، فعلق

دساجة طويلة ، قال بعدها إن الناس لو عرفت فضل الزلزلة لظفروا
كل يوم واحدا أو ولم يفل شيئا مفيدا مع أنه كان في قلب
الصورة .

انتقل إلى المعارضة لتوى كيف تصرفتم ، بحيث تصبح في
طلب الصورة ؟

من نقابة الأطباء التي يسيطر عليها التيار الإسلامي السياسي
خبة تسمى « لجنة الإغاثة الإنسانية » ، ولها ملاحظتان عديدا
على عمل هذه اللجنة التي تعلن عن نفسها بسخاء شديد ،
وتكثرت لتعصر على الزلزلة الأعباء ، ولقد لاحظت سلسلة من
الإعلانات المكثفة ، ليس في الصحف المصرية فقط ، ولكن في
صحف الخليج العربية ، حملة إعلانية تتجاوز تكلفتها الملايين ،
تطالب الناس بالتبرع ، ويصحب الإعلانات صور لا تعرف أين
انطلقت ؟ ، وإذا كان هؤلاء القوم دعاء حقا ويمثلون لوجه الله ،
وهؤلاء المساكين المشردين ، ألم يكن الأجدى أن يتحموا عملهم
الخيري حقا في صمت وهم لا يتلفون إلى من يولهم سواء أعطوا
أو لم يعطوا ، فلماذا يتلفون الملايين للإعلان ، ألم يكن الأجدى
والأصح توجيه تكاليف هذه الحملة الإعلانية المكثفة مباشرة إلى
الضارين ، المساكين مباشرة ، بدلاً من دفعها لتكاليف إعلانات
تحت الناس على التبرع .

ولأنهم رجال سياسة وليسوا دعاة حقيقيين فإنهم يدفعون من
التبرعات التي تصلهم لكن يعطوا عن أنفسهم ، ويستدعون

المصحفين الأجانب لتصوير عدد محدود جداً من الخيام نزولوا بها إلى فضحائها ، كل عيمة مكتوب عليها « الإسلام هو الحق » ... على هذا وفاته ؟ ، ولكنهم أيضاً يريدون أن يصبحوا في الصورة ، والحق أنهم أصبحوا رغم الحدودية الشديدة لما قدموه ، بسبب لمرتكبهم النظم القديم لكني أصبحوا في بزوة الصورة ..

وللأسف ، لم يكن تصرف الحكومة تجاههم ذكياً ، لقد اتى التعهيم الذي فرض على ما قدموه إلى فضحائها للمبالغة في حجمه ، أحد كبار المسئولين في الدولة أخبرني أنهم قدموا إلى المناطق الشكوية أربعين عيمة فقط ، في المواجهة لم تظهر في الصورة لأنها آلاف الخيم التي نعتت في ساحات بواسطة قواتنا للسلطة ، وحجم الساحات الذي نعمته تلك الجهة التي تعد ركناً أساسياً لأمن هذا الوطن والاستقرار ، ولقدوا أخطار شتى تهدده .

القوات المسلحة .. هي الجهة الوحيدة التي كانت على مستوى المسئولية ، قدمت في صمت ، بدون إعلان أو تصحيح ، أما الحزب الوطني وأحزاب المعارضة العنقبة وقوى المعارضة غير العنقبة ، الإسلامية وغيرها ، فكلها لم تكن على مستوى مواجهة الكارثة ، لأن الجميع يهمهم أن يبتلوا في الصورة .. بعيداً عن الصورة .

تتولى الأيام ، وتبين التواضع أو تتوقف لنا ، لكن ما يجب ألا يتعب هنا ، ضرورة محاربة هذا الفساد الذي استشرى ، تواضع

من قطاع البناء ، ما ظهر منه عرق البيروقراطية المصرية الشبه الكفوف
بنا ، هذه البيروقراطية التي كان من المفروض أن تنظم والحسن
الاساس ، فلما بها تكاد تودي بحياتهم .

لقد افترج الأستاذ جلال حويدار لعينين وزير مسئول عن
مراجعة آثار الزلزال ، وهذا صحيح لنا ، فالواجب يجب أن تتم
أكبر قدر من المرونة ، وبعبارة عن تعديلات وأساليب
البيروقراطية ، لتتذكر أن البناء على الأبراب ، وهناك الآلاف ما
يقول في الخيام ، سبلت وأنات والطفال وعجائز مسنين قطعوا
إطار حياتهم ، البيت ، وأصبحوا نهباً الظروف غاية ..

ما أتمس قلبي خلال الأيام التي أعقبت الزلزال ، رؤية البناء في
الأحياء الشعبية وقد جسد من المفترض البسيطة ، كل ما خرج من
من الدنيا بجهولهم ، وعن في انتظار المأوى ، فالتساؤل ، إنا
نعرض إنسان لكارثة فليحاول المراء أن يتحمل نفسه مكانه ، وما
من أحد بعيد لو نأسي عن تلك الظروف في زمن الزلزال .

ما أتمنى ، ولوجع قلبي أيضاً .. ما جرى لأثارنا الإسلامية ،
عند الآثار التي هابتها بناء ، بناء ، ونفساً نفساً ، لا أستطيع
الآن رؤية قمة متدانة السلطان القوي في مدخل الأزهر وقد سقط
جسديها .

كيف لمر غير مبالغ أمام قبة تلاويق التي أخلقت أمام الزلزالين ،
وقد كنت أفضدها كل أسبوع مرة على الأقل ..

عندما تذهب التكنة وتختفي أنتعز بلقي حليلي ، فالتعب
 العصري من سماته الأساسية السخرية التي تساعد على
 إجتياز مصاعب الحياة التي يمر بها ، والتكنة أحد أسلحتها في
 مواجهة الظلم والفساد والظروف الجهمية ، واعتقاداتها حتى أن
 حيلة من الكتابة تهيمن وهذا مطلق جدا .. والغريب أنه بعد
 التكنولوجيا الكبرى سواء كانت طبيعية أو سياسية ينشط هذا
 الجنس الشاعر ، وما زالت أكثر طروفاً التكت الذي ظهر بعد
 يونيو ١٩٦٧ ..

بعد أيام من الزلزال ، قابلني صديق ، عيسى في تونس :

- ما خبرك .. متى اعتزلوا التي عمل الزلزال ..

سكت لحظة ثم قال ..

= واعتزل كمال ..

ضحكت ، وفي الأيام التالية سمعت عدداً آخراً من التكت ،
 كلها تنور حول الزلزال ، ولربكت أن أحد العناصر المكونة
 لشخصياتنا المصرية بدأ يعمل في مواجهة الكارثة .



فن الجان...



.. في عمان الخليلي ، الأستاذ أستاذهم عن قريب ،
وعملت معهم أياً حرافك ، يونيو عام ١٩٦٧ وما تلاه من كساد
جسيم حط على السوق العربي ، وأدت بعين كيف تهدم طائفت
قوية طامعة بسبب الكساد ، خاصة بعد إغراق قناة السويس ،
كيف يتحول نحات لائل ماهر إلى بيع الفول والطنسية ، كيف
يخرج نقاش نحاس موهوب إلى الشارع وقد ينه إلى من لا يعرف
بعد تلك الوقت .

عرفت في تلك شخصيات التي لن أجيل الحديث عنها يوماً ،
مثل في مجموعها صناع الفنون ، بنات حضارة ، وروثة تقليد عربية
تولونوها عبر طيقات من الأزمنة المتوالية ، وأسرار حرف كانت
مقلدة على أصحابها .

ما زالت لأذكر حرمي عم مصطفى نقاش نحاس الذي تجاوز
التسعين الآن على زيارة المساجد والتحف الإسلامي ، واليطير ،
ينامل فنون الساعات طويلاً ، يحفظها في ذاكرته ، ويحود أيضاً
عنده لو يتعبه هو «أعلق .. من «خلق «أي «إبداع «، الآن
عم مصطفى كلف بصره ، ولكن بصيرته الداخلية ما تزال مضيئة ،
إذا جلس لينحني على صهنية لينقشها ، أو يورق نحاسي لو
نفس ، تتلفق للزخارف من بين يديه ، من ذاكرته العسرة ، من
ذاكرة بنيت عبر آلاف السنين ، عبر ملايين الفرضيات الصغرى
المترابطة عبر تفاصيل لا حصر لها ، استلها واستوحيها من
سوق المساجد ، وجدواتها ، ومفردات الأعراس وحشوات

لرحام ، وصناديق الحاسب للطلبة بالصفوف والمراج ، من الخشبية
 انخرط ، ولاكثره عامراً بلقن ، ببيروت أجددهم النظام ، هذا مثال
 من ، على ما يرونه البعض بدون أن يعرفوا المنزى أو الفسوس من
 حضارتنا التي تعد آلاف السنوات ، وهذا ما يجعل من عصر حلة
 عامة ، وخاصة جداً ، وهذه الحضارة هي ما يستهدفه الإرهاب
 الأسود الفتيه الذي يسطر على الآن على أرض الكنانة ..



أعود إلى أزمة عمان الخليلي ، إلى ما تبلى من قيتاء الذي شيد
 السلطان الفسوي ، القائم حتى الآن في سكة البيانسنان ، إلى
 الرجوع الفسوية التي تشكل الختان الآن ، والتربها إلى تلبس روح
 السلطان الذي شيد في العصر العثماني ، أنضبت فيه عشرين من
 عباتي ، وما زالت أعتره سجسما للحرف والفنون .

فيه تعرفت إلى صديدين عزيزين ، صالح وثمان الصدف ،
 وأحد الفلاس في هذا الفن ، أحرف منتجاته ، حتى لأميزها في
 فائزات الكبرى ، كما كنت أميز صناديق والطبال الحاج سعيد
 رحمه الله - ، وغيره من الأعلام .

كما الصديق الأخر فهو الفنان فتحي ، للتخصص في الفسوة ،
 يرجع عتس بجما إلى حوالي الثلاثين عامًا ، وما زالت أعتره ورشة
 صالح ، وسعره فتحي في قلب الختان من لركاني الأمانة ، التي
 أمضى فيها وقتاً طويلاً ، عامراً بلقن والصفحة ، والبيد عن
 سعادته المنقنين !

فتحى بقترب الآن من الخمسين على ، ما زال يحمل بيديه ،
وزيارته للمستحف المصري ، والمسوعة توث عنج لمون بالفت لا
تقطع ، أما قوة نشاطه الإبداعي فتكون في الحرف ، في هذه
الفترة ينقل إلى نفسه كثيرا ، وفي الشتاء يعرض في واجهة متجره
الحرف والملازمات الجديدة ، قطع وقبلة ، وجسيلة من الفن
الأصيل .

بالتة هناك سؤال تقليدي منى . . . ماذا عن سوق لسوق ؟

طبعاً تكون سعيدة عندما تشعر أن اصطفاء العصر راضين ، لسوق
هنا حساس جدا ، أي عزة سياسية في نفس لركان الأرض يكون
لها تأثير محسوس ، هذه الأزمات والحوليات ، هذه الفوضى الضخمة ،
التاجر القديمة العاصرة بالأسرار متصلة لوقت الاتصال بما يجري في
العالم ، سوق حساس جدا ، خاصة بالنسبة للتطورات السياسية ،
ولقد رأيت عن لرب الفترات المرجحة ، وأخص منها مرحلتين ،
الأولى ما على عزيمة يونيو ، والثانية ما على بداية أزمة الخليج في
الغسطس ١٩٩٠ ، ظهر أن فترات الإزدهار النسبي تعبرها في عمر
لسوق ، أكثرها نوعياً الشهور الأولى من هذا العام .

سألت أحد اصديقاتي في الحان عن الأحوال منذ حوالي خمسة
شهور ، قال راسياً : « ولما بنعمة ربك فحدث . . »

يعنى ازدهار الحان ، صعود الفنون التقليدية المرتبطة به ، إن
الحرفى المصرى ، النقاشى ، الصدفى ، هناك الفضة لو الجلود ،
هذا الحرفى الذى يعش بوتاً يوم ، وأسماله فيه وموهبته ، لا أحد

بريد من القوية ، ولا من أجهزتها ولا تلين بحسب ، هذا
المدرس ، إنما ما شعر بالاستقلال فإن الغضب يشغل من بين
السياسة ، كما أن قوته على التجرد تنظم .

مد أسبوع قال لي فتحن وعلامات القلق على ملامحه :
الأحوال بدأت تتغير . . .

مرة أخرى ظهر القلق في السوق ، انسحب إلى الأضلاع المأهولة ،
إلى الورش التي نتج قنأ وحضارة ، السبب في هذه المرة فقام من
الداخل ، بعد تصاعد العمليات الإرهابية بجماعات التأسلم
السياسي (كما أطلق عليها محل الدكتور وقعت السعيد) هذه
الجماعات المتأسلمة ، اتخذت من القباط مصر وجهتها ، ومن
قباغ الأجناب وجهتها أخرى .

مرة بنتجه العنف إلى الألباط .

مرة بنتجه الرصاص إلى قباغ الأجناب في عمل غير مسبوک
من تاريخنا ، وغروب لنا على سلوك المصريين ، كما الخطأ
الطري والأيدولوجي فتقدمه جبهة الشعب ، وحزب العمل ،
الذي تحركه الآن جماعة الإخوان المسلمين ، تسبق محكم
وتوزع ماهر لنا للأموال ، ومعارضة تتجاوز المعارضة إلى التخطيط
الإنتلابي الشامل لتغيير المجتمع ببعثه ، بالقوة . . . المدير
الحضري ، له أصابع هنا ، وفي الخارج ، إتخاذ السباغ وجهتها
سابقة .

١٠ لا .. هناك فرق ، إنما التفجيرات قنبلة في أمتداد مثلاً فلو أنها تستهدف المواطن والأجنبي .. لكن هنا السباح الأجنبي هدف ، أي أنهم يصوبون الرصاص إلى الأجانب المسيحيين فقط .. هنا فرق كبير .. » .

حاولت ضبط انصافى وأنا أزد متحدثاً عن سماحة الإسلام ، واحترامه للأديان الأخرى ، وعن سيدنا عمر الذى رفض أن يدخل فى الكنيسة حتى لا تتحول إلى مسجد ، وعن صلاح الدين الذى أرسل طبيباً لعلاج عصفه وبمشاورة قلب الأسد ، وعن علاقات فتاوى بين المسلمين والأقباط فى مصر .

قلت السيدة المعجزة مرة أخرى مطاطة ..

« ولكن هؤلاء يقولون إن الإسلام انتشر بحد السيف وليس بالدعوة .. وأنهم يريدون السيرة الأولى .. » .

وسرة أخرى بذلك التحدث عن الدعوة بالحسنى ، وعن الجهاد الحسنى ، وعن سماحة الإسلام فى مواجهة الديانات الأخرى ، حتى التفكير ..

الحق أنسى لم أكن فى مواجهتها أقول ما لا يستقر فى وجدانى ، لم أكن أقوم بدور دعائى ، لم أعلما ، ولكننى كنت ألتجئ عن دى ، وعن إسلامى ، وعن قناعات ظنن عليها ، كنت ألتجئ عن عظمة الإسلام وسماحته ، ليس فى مواجهتها من الأوروبية ، فنى قد يحصل وعيها لغيباً ، إنما فى مواجهة أولئك الذين

أضحت عقولهم وفلوبهم وراحوا يلتمسون على أعمال لا تضر أوطانهم
محبوب وانطلق بها إلى القمار ، إنما تضر بدينهم لنفسه الذي
يرجعون ومصاصاتهم باسمه ، ألفت في الحديث ، وفي لحظة بدأ
تردد على وجه الألمانية المجهز ، لكنها سرعان ما قلت :

« .. وما ذهب هذه الممرضة الإنجليزية التي لمخبرت من مرتبها
لقتل لتلغى أجازتها في مصر وشاهد آثار مصر .. ثم أين
لبطلها من لم يلق بها قط ، ومن لم يعرفها قط .. ولكنه يظن أنه
رفع راية الإسلام .. »

نظمت إليها صامتاً ، أردت أن أضع حداً لتلك المناقشة التي
كشفت لي عن كثير ، قلت مازحاً :

« ولكن رغم فرحها من أراك في مصر .. غير عاتبة .. »

سألت : « .. إنني أحب بلدكم ، والشاس من الطبيب
تتموب .. وبالنسبة لي هناك سب خاص .. »

سكنت لحظة ثم قلت : « إن شطيلي مات هنا .. مدفون في
طيرة لا أعرفها بالقيط .. هناك في العلبين .. وكل سنة أهب
لأزوره .. وأبع باقة من الزهور .. »



حوار عابر في معرض صحابي كشف لي عن أسرار كانت
غير لي - ما هي تلك الأسرار ؟

لا شك أن هناك اتجاهات عنصرية في الغرب معادية للإسلام ، كما حاله ، لن أنسى أبداً خلاف مجلة هولندية رأيتها في فبراير ١٩٩١ ، كان الخلاف مصححاً كبيراً ومن بين صفحاته يخرج كتيل قنبلة يدوية مشتعل .

هذه العناصر توية ، وضاعة ، وحقان في المقابل توى اخرى تؤمن بالنعاش ، والقدرة الإسلام وحضارته ، بعد قرينة الأخيرة . . من تقدم ليضع خطة لإصلاح الآثار الإسلامية في الجسدية ؟

لم يحسن من حكام المسلمين الأثرياء ، ولا من الغنماء المسلمين الذين يدعون الحركات الإزهابية ، بل جاء للشروع من فرنسا ! ومع ذلك يجب أن نشبه إلى القوي الكارثة للإسلام ، للغرب ، والعنصرية تصاعد في الغرب .

فإننا كنت أسأل نفسي ، لماذا يحسن الغرب توى التطرف في العالم الإسلامي ، ها هو الشيخ عمر عبد الرحمن يلزم في أمريكا ويجمع التبرعات في اجتماعات عشية ليرسلها إلى التنظيمات الإزهابية في مصر ، ها هم قادة أسرون في لكابا وسويسرا ، ها هي وسائل الإعلام الغربية تركز على قاداتهم عنا وتعد الأرقام عنهم ، والإنذاعة البريطانية تركز على الأوجين عيمة التي قتلتها نقابة الأطباء التي يسيطر عليها المتأسلون عنا وكان الدولة لم تقدم أي شيء في المقابل ، بل إنه كثير من الوثائق الرسمية التي تزور مصر يصر بعضها سراً للإنتفاء بلقاء الجماهعات ، سواء العلنية أو السرية . . لماذا ؟

في رأي هناك سببان ، الأول انهضاري ، ينطلق بالضرب
ومصالحة ، ومحاولة الاتصال بشوي .. ربما يكون لها وضع في
التفليل ا

أما السبب الأخرى والأخطر ، فهو التركيز على هذه الجماعات
الإرهابية باعتبارها واجهة الإسلام ، وتصوير أعمال القتل
للسباح ، على أنها من تعاليم الإسلام ، فكيف يتم تخصيص
التطرف والهداية له في الضرب للوصول إلى هدف أخطر وأهم ،
هو تنوير الإسلام نفسه وتمحيب الفكرانية ضد الإسلام ، حتى
يتخذ الإنسان العادي مثل ما نطقت به السيدة الألمانية في
حوارها معي ..



نعم .. بدأت حركة السياحة تتأثر ، هنا محسوس في السواحل
الغربية ، ربما يكون الإرهاب نوع مؤلثاً في إحداثت فسيحة
للسباحة ، في غراب بيت ثمانية ملايين مصري يعيشون من
عوائقها ، ولكن أخطر ما ينتج فيه الإرهاب هو جرحه القوية
وفسوى الاستنارة والفلسوى الوطنية إلى أرضه ، فكيف تتراجع
فيه بويات .

ناقش .. السياحة خلال أم حرام ؟

الفن .. خلال أم حرام ؟

الإبداع الأدبي والفن .. خلال أم حرام ؟

وتلعب أجهزة الإعلام في الخطأ ، مجرد السماح بالتناقض فيه
تراجع في مواجهة الإرهاب الذي يتحرك بقوة السرعة والعنفة في
واقع عملا نظريًا من أي قوى سياسية مضادة ، هذا أجهزة الأمن
التي تلت بمفردها لنا في الساعة ، تؤدي واجبها بطولها مطلقا ،
بينما المجتمع كله ينأى ، ذلك أن ثمة عوامل أخرى تقوى
الإرهاب وتعزده بشكل غير مباشر ، أهمها في رأيي ، انتشار
الفساد ، وانحطام مفهوم العدالة الاجتماعية ، وغياب الأمل ،
والغلق الأبواب في وجه الشباب ، ونقص الرؤية ..

أسباب عديدة تضاهي ، التدفق وطننا كله إلى عاروة نغمر قاعها ،
لرأعنا ذاتها للرب ما ننصرو ، عاروة قد تدفع بنا إلى تقن عميق ،
لا يعلم إلا الله .. كيف سنخرج منه ، ولكن .. لذلك حديث
آخر .



زميلة

صحابية كبرى



بعد أن قدم الطليزيون في أكتوبر الماضي عليهم حكايات القريبها
القائمة عن نصفي القصيرة التي كتبها عام أربعة وسبعين ، ورحب به
العديد من العلماء والكتاب ، وكان من بينهم الأستاذ محمد صالح ،
وهو من أصحاب الأعلام الذين أحترمهم ، وأعرض على متابعتهم ،
بل واسترشد بكثير من أرائه فيما يتعلق بتطور الإنشاعة والتليزيون .

في البداية كتب مقالين رحب فيهما بالقيام بزميلة حارًا ، ثم
كتب يقول إن سائق عربة الصحافة ، بطل القيام هو في الأصل
من المؤسسة التي يعمل بها الأستاذ محمد صالح ، وأنه ظهر في
القيام متمسكًا إلى مؤسسة صحفية أخرى ، تصغر عنها زميلة
صباحية يعمل فيها المؤلف جمال الخطاطي ، ولهذا نسبت البطولة
إلى مؤسسة أخرى ، ولأن العاملين بوزارة النقل في المؤسسة التي
يعمل بها الزميل محمد صالح طالبوه بإعلان الخليفة ، وبالفعل
بانظر الرجل مشكورًا إلى نشر صورة السائق الشهير عبد العزيز ،
والتي نسبة إلى كانت المرة الأولى التي لرى فيها سلامحه ، وقد
قطعت الصورة التي نشرت في « زميلة صباحية كبرى » بكتب
فيها الأستاذ محمد صالح مقالاته المنازاة ، وقصحتها في ملف
أحفظ فيه بصور الشهداء، الذين عرفتهم شخصيًا ، والذين لم
أعرفهم ، وكان مؤثرًا بالنسبة لي أن لرى صلاح بطل الذي
حدثني عنه أبطال مدينة السويس ويزيت فسره ، وقولان عليه
الغالبية مؤثرًا ولم أكن أعلم عنه شيئًا إلا اسمه وما قام به ، وما
حركه لي القدراتي بطل أحمد الخطاطي أحد أبناء منظمة سباء،
العربية ، وأحد أفراد المجموعة التي حسب أبحاثي القائل مصير

معرفة السوس واستشهد عليهم إبراهيم سليمان وأشرف عبد الفتاح
 ومحمود عواد في معركة الأوجين ، ثم خلق بهم الفتاح عبد العزيز ،
 ثم نشر مجلة شهيرة رائجة تعقيباً عن الشهيد وعن أسرته ، والمجلة
 تصدر أيضاً عن المؤسسة الكبرى ، التي تصدر عنها أيضاً الزميلة
 الصباحية الكبرى التي يكتب فيها الأستاذ محمد صالح ، وسوف
 تكون أكثر وضوحاً من عندما انتشر إلى علي في زميلة الصباحية ،
 ولي المؤسسة الأخرى (يلعب أخبار اليوم) ، سوف لشرح أكثر ، رغم
 عني من اعتبار هذه السطور إعلاناً عن المؤسسة التي يعمل بها
 الأستاذ محمد صالح والتي أنتم إليها تشهد عبد العزيز ، فقول
 إن أول حرف في اسمها « ك » وآخر حرف « ميم » ، وإن اسمها
 مأخوذ من أثر عظيم يعد من عجائب الدنيا لسخ ، والتي إليه تقوم
 من كافة أنحاء المعمورة لينظروا إليه وينبهروا ..

يكفي ذلك القدر من التصريح ، لو فتاح شديد ، طبعاً
 انتهاء الشهيد عبد العزيز إلى الزميلة الصباحية الأخرى صحيح
 لنا ، وعندما أصبحت إلى تفاصيل الواقعة منذ تسع عشرة سنة ،
 لم أتوقف طويلاً عند المؤسسة التي ينتمى إليها عبد العزيز فعلاً ،
 ولكنني رأيت في التفاصيل تلك الجوهر والمعنى الذي أبرزه الفيلم
 جعل ، لغزة الإنسان المصري ، بسيط ، على العطاء بغير حدود
 ولما و ذلك الخط الرعسي الفاصل بين أن يكون الإنسان عادياً ،
 بسيطاً ، وبطلاً عظيمًا ، تنقل سيرته من جبل إلى آخر .

عنا نقول - بعد أن تأكدت - للأستاذ محمد صالح السبب الذي
 جعل الجبل في الفيلم يظهر منسباً إلى مؤسسة أخرى تصدر عنها

زميلة صباحيا يعمل فيها المؤلف (الأعبار طبعا) ، السبب يا سيدي هو المؤسسة الكبيرة التي تصدر عنها زميلة صباحية كبرى أول حرف في اسمها ألف وآخر حرف اسمه ميم .

عندما بدأت القناة إتمام محمد علي الإعداد لتصوير الفيلم ذهبت إلى المؤسسة الكبرى التي كان يعمل بها عبد العزيز ، وكانت قد علمت مني ومن أختي السوس حفيظة التماسك ، وطلبت تصريحًا لتصوير لقطات يقوم خلالها الفنان محمود الجندي بلباسه عربة الصحافة التي تحمل اسم المؤسسة الكبرى ، وعرضت دفع للبلغ المتفق عليه في مثل هذه الحالات ، ولكن المسئولين الذين اقتضت بهم لم يقدروا إليها أي مساهمة ، ورفضوا برغم أنها شرحت لهم طبيعة الفيلم ، وأكدت لهم أن لقطات كان يعمل في المؤسسة الكبرى ..

والغدا ..

عندئذ اتصلت وطلبت اتعلا الإجراءات اللازمة لتصوير اللقطات في المؤسسة التي أحصل بها والتي أشار إليها الأستاذ محمد صالح باعتبارها « أخرى » ..

ولقد رجعت أعبار اليوم ، من المسئولين عن الأمن إلى إدارة لقطات ، إلى العاملين في التوزيع كل مساعدة ممكنة .. وهكذا ظهر الفنان محمود الجندي وهو يمسك عربة توزيع الأعبار ، وهذه اللقطات لم يكتبها زميل قلمي اتصل بي وعمل في مجلة شهيرة تصدر عن المؤسسة الأخرى بالنسبة للمؤسسة التي أحصل بها ،

بعكفا . . أرجو أن أكون قد لوضحت للأستاذ محمد صالح
الغلبة التي أثار لسألاً حولها بقلمه اللامع على صفحات الزميلة
الصباحية الكبرى . والتي أرجو ألا أكون قد لحت إليها أكثر مما
يجب حتى لا يعتبر ودي هنا ترويضاً على صفحات الزميلة
الصباحية الأخرى بالنسبة للأستاذ صالح . للزميلة الصباحية
كبرى بالنسبة لي . .

في الحجاب -

. . طفتنة النظر تلك القصيدة التي تصاحب إعتزال بعض
الفتيات المتشابهين . . ولن أعرض في الظروف التي تؤدي إلى
ذلك . فإلا شك أنها تختلف من فتاة إلى أخرى . بعضها
شخصي . وبعضها نتيجة بلوغ مرحلة من العمر يمل فيها الإقبال .
وبعضها عن اقتناع . . ولن أعدد أيضاً عما يتردد في الوسط الذي
من جهات خارجية تدفع لسؤال طاللة للبعض حتى يتحجج ويعلن
إعتزال الفن . وتشر أصابع البعض بوضوح إلى مؤسسة تتخذ من
مدع عرس تطبق مفرقاً لها . لديها فائض عائل من الأموال . تؤكد
نفاير عديفة مشفرة عند من يعرفون خلفيات الأمور والحقائق
والظواهر أن جسراً لا يأسر به من تلك الأموال بحسب في تويل
الإرهاب . هذه المنظمة تسمى منظمة العالم الإسلامي .

لن أتوقف عند هذا . فإنيك أسور لها لغتها . والمتحصن بها .
لكنني أسمن النظر في تلك القصيدة الصباحية لتجيب فتاة ما .
والتي تستجيب لها بعض وسائل إعلامنا بشكل ساذج عندما
تشر هذه الأعياد باعتبارها تربة . باعتبارها موقفاً إلى الطريق

القيم ، الصحيح ، القويم ، وكان دراسة الفن منو للدهارة ،
والمكفر ، والإباحية .

هذا هو بالقياس الهدف الذي تحركه أيدي عقيمة في التفاصيل أو
الخارج ، أيدي تحركها عقول تستهدف الثقافة المصرية ، ويقتل الفن
الإنساني المصري الذي هو جوهر الوجود المصري منذ القدم وثقوته .

نحن لسنا دولة عظمى عسكرياً ، ولا ثقافياً ، ولكننا دولة عظمى
بميراثنا الثقافي وعمورة في المنطقة الذي هو أصل كل الأعمار الأخرى ،
سواءنا الثقافي بمناصرة المثقفة ، الفرعونية والمسيحية والإسلامية .

هذا فنون تارسة من خلال المصمومين الروحي مصر ، والذي
ينعكس في الفن ، في الأوب ، في الفكر .

المعكوب خلال العهد الأخير إصعاق مصر ، لتجديدها ، سواء بكتابة
اضطرابات داخلية وهذا ما يقوم به الإرجاء لها ، أو تسرب دورها
الإنساني وإصعاقه ، والقوى التي تقوم بذلك واحدة ، قوى لم تنس
بعد التراجع التي تصعد فيها مصر وتصبح قوة مؤثرة في المنطقة .

إن . . شيئاً قشرباً تردد هذه المعاني ، القوية عن الفن ، العمود
إلى الطريق الصحيح بلقاء الحجاب ، يوماً بعد يوم يتسرخ هذا
المعنى حتى تصل إلى لحظة يصبح فيه النشاط الفني سواء كان
الاستغناء بالسببنا أو المسرح أو الموسيقى مرادفاً للمكفر ، وللهارة ،
ولست بحاجة إلى الإشارة أو التنبيه إلى ما في هذه المداخل من
مخالفات فادحة .

هكذا أصبح السببنا حرام .

والسرج حرام .

والنحت والتصوير حرام .

والإذاع الأئسي أيضاً حرام إلا إذا تم وفقاً لشروط يضعها صيغة سهلة ، أو منحصرين فقط ، وهكذا يسود الظلام وتعم العتمة للعرف الأوطان حضارة وثقافة ، لنا كما نسود بعض الأنظار الأخرى القوية .

إن زرع هذه اللغزاهيم العكوسة يتم بشفوح وعيث شديدين ، منهم أن تتأخذ فتاة ما أو تحجبها لمر شخصي لنا ، لنا بصور وكأنه عورة إلى الإيمان ، وهل كان الفن عروجاً عنه ؟ إن الفن من أرقى صوره تعبير عن علاقة الإنسان بالكون وعلاقى الكون ، لنا أن التركيز على النبوة ، خاصة على أيدي بعض مشاهير الشايخ .. الخ .

عنا يكمن تلك الهدف الأبعد ، غروب الثقافة المصرية .. ولكن مصر كما تقول ولأنا ، وفي كل يوم تدفع بالزيد من الواهب الأصيلة ، من السيتا ، من الأعب ، من النحت ، من الفن التشكيلي ، ومرحياً نتعجب وتتأهد بعض الفنانين أياً كانت الدواعي إذا كان الطريق ينتج لواهب أكبر ، وأروع ، وأنصح غلط بركة الفيلم المصري الأخير ، له يا بنفسج ، للمخرج فتشاب وخسوف لكثافت بتشكبه قسي وأبغله ، لكن شعرت بالسعادة والإطستان ، إن أي عمل فني جيد يظهر هو سلاح مضاد للإرهاب وتلك القوى للتخطئة التي تستهدف الثقافة المصرية ، وجوهه لوجود المصري ، سواء بالتواصل بالبين ، أو فرض الخجل أو دفع الأمور .

١ .. والناس حنقول علينا إيه ؟

كم مرة تتردد هذه العبارة يومياً ؟

لا أبلغ إذا قلت أن كل منا إن لم يتخطها بلسانه فهو يرددنا بين
و بين نفسه ، سواء عند إلتفاته على جليل الأعمال أو صغيرها ،
على ارتداد ملابسه أو الشروع في عمل جليل .

يقول لائل الشعبي : كل اللي يعجبك والبس اللي يعجب
الناس . وهذا جميل ، لأن يخلق الإنسان حريته عندما يكون
بفردته ولكن عند خروجه إلى المجتمع ، لمواجهة الآخرين فإنه
يجب أن يلتزم بما استقر عليه العرف في هذا المجتمع .

ولكن منظرنا الناس حنقول علينا إيه ؟ عند أحياناً يصبح
مختلفاً في كافة تفاصيل الحياة سواء الإنسانية ، أو الاجتماعية ،
أو الاقتصادية ، وحتى السياسية ، عندما نبدأ نولد مختلفاً
جهوداً كبيرة لتحسين صورة أوضاعها أو لتشويه صورة دولة أخرى ،
ألا نطمح تلك مبدأ أو نطمحون هذه الجملة السارية في حياتنا .

أحياناً يسمي طرف إلى سلوك معين يستهدف خصمه حتى
يقول الناس عنه أنه مختل ، أو مهتر ، أو ناقص تربية ، اللهم ..
ما ستفعله الناس في النهاية .

والناس هنا في لغتنا وتعبيراتها الشعبية كلمة شاملة جامعة ،
ولهم ضمورها وسخاوتها عند عرونها .

الناس يمكن أن يكونوا الجيران في نفسية الجارة ، فإذ ارتفع صوت وب الأسرة خلال القلبي تشير الزوجة إلى حيث يقطن الجيران ، تقول محاولة تهديته : « الناس يتناول علينا إيه ؟ »

وهنا تشير الجملة إلى بشر مختلفين معروفين بالاسم تقريباً ، إنهم جيران السكن ، أو جيران الجارة ، ولكن أحياناً لا يمكن تحديد التصود بالناس ..

في الطرق المزدحمة ، وأثناء ركوب بعض وسائل الواصلات العامة ترى رجلاً أو امرأة ، ينفذ كل منهما عربة من أحدث طراز ، ويملك عجلة القيادة بيد ، وساعة تليفون سيارة بيد .. يحيى حبيبت ؟

ومع بعض الوقت تبين لي أن البعض يضع جهاز الهاتف فقط في السيارة ، أي أنه يحط ويحس غير متصل بالدائرة البلاستيكية ، والأمر مجرد عفة ، اللهم .. إن تراء الناس وهو يتكلم في الهاتف الخاص بالسيارة .. يا ترى حيلوا عليه إيه ؟ وحتى في حالة الهاتف الخليوي ، يجري البعض مكالمات - أي كلام - مجرد أن يرفع سماعة الهاتف ويراها الناس .. فحيلوا إيه ؟ مع أن الناس المكتملين في عوالم الواصلات العامة ، أو المتواجدين في الطريق أو على لوصفة القاصي ، لا يعرفون السائق ، أو صاحب السيارة ذات الهاتف ، مجرد صلايح ، ولكن جزء من منحه هو أن يراء الناس ، حتى لو كانوا بجهلته ، وعنده حالة تتداخل مع حالة أخرى اسمها « النظرة » ومنها القبول « بمنظر » ، ولي معه ولغة أخرى .

حدثني لبيب موعوب ، فقال أنه لا ينزل إلى التمدينات الأدبية
وأماكن الجمعيات الأدبية إلا عند نشره القصة في مجلة أو ظهور
كتاب جديد ، يظهر أنه جاء بالصفحة ، أو ليمس ونفا أو
لبايل بعض الأصحاب ، وعرف في الخليفة جاء ليمس ، الناس
حنقول له : عن نصته الجديدة أو نصيته .

لردي الأتي أجمل ما لديها ، وتلف طويلاً أمام القراء ، وتنتظر
إلى نفسها بالمواجبة ، والحنوب ، وتعقل شعرها ، أو تسلفه ..
كل هذا قبل خروجها إلى الطريق ، عرضاً على ما سيلقيه الناس
عند رؤيتها أو عند مرورها أمام منهن ، أو دخولها نادي ، أو
مكتب تعمل به ..

كثيراً ما سمعت امرأة تصبح نادبة حظها ، وإذا تيفاً للولولة لشدة
شعرها ، تصبح : الناس حنقول عليها ٩ .

على مستوى آخر نجد فنون الصنيرة والكبيرة تعرض على
المظاهر التي تؤدي إلى بث الإحساس ببيئة الدولة ، وفنونها .

يصف و ليس غرنا أو لانيا أو غيرهما في الأعياد الوطنية
يتعرض بعض الوحدات العسكرية ، منهن الانضباط ، منهن
الحرم ، طبعاً ، الناس حنقول له ، موضوع في الاعتبار ، لكن
في الدول القديمة ، الأعيال ، أو المعاصرة ، يتقابل إلى حد كبير
ما يراه الناس ، وما يملونه ، وما هو عليه الأمر بالفعل ، ولكن
في العالم الثالث يتحكم منطق ، الناس حنقول له ، في كل
شيء ، ويصبح هدفاً في حد ذاته ، وكلما كان الناس قلبي حنقول
إلى أعجاب كانت كلمتهم مسبوحة أكثر ..

أحياناً يرى بعض أبناء الوطن الخطر ، ينهبون إليه ، يشبهون
نقالات وعطبات وأحاديات ، وإذا كانوا منضمين إلى الحزب أو
غيايات يصفرون لبيانات ، ولكن الحكومة لا تبالي ، لأن من
طين ومن حزين ، لأن الناس التي حثول إلى هنا من أبناء البلد ،
ولكن إذا قيل نفس القصص من منابر أجنبية خارجية ، فسرعان
ما تتحرك الأجهزة ، وتتفحص المؤسسات ، وهذا الجسم ، لأن
ناس التي قلت في هذه المرة أجناب ، وإذا كنا نتحمل الناس
نفس السؤال أو لا نهتم بهم لأنهم في النهاية منا وعلينا ، فإن
الأجانب لكلامهم وقع النمر .

ثم مرة نشرت الدراسات إلى خطر الإرهاب الكامن في مناطق
الإسكان العشوائى ، في عين شمس ، في إسيية ، في عزبة اللواد ،
في منشية ناصر ، ثم تحليفاً نشر عن لوكاؤ الإرهاب ، وعن الذين
عبوا أنفسهم لفظة ولواء وهم إلى البلطجة القرب ، ولكن ما من
صدى جسم . .

ثم حدث أن نعب بعض الصحفيين الأجانب إلى هذه المناطق ،
وبدأوا يلتفتون بزعماء الإرهاب ، ويبدو أن مجرد ظهور صحفي
أجنى وفي يده جهاز تسجيل يفتح الطرف الآخر في حالة استمها
« وفتح التصريح » ، وعندئذ يتبادل الوضع سواء كان لتحدث إرهابياً
أو معارضاً ، ويقول ما يشاء ، ويصرح « الله متى جم لغاية عندما ؟
» وهذا معنى أنهم للواء ، والناس يتقول عليهم في الخارج . .

ما أرجوه والله ، أن نصل إلى يوم يتم فيه النظر إلى ما يكتب في صحفنا
بنفس الفكر الذي يتم فيه النظر إلى ما يقرؤه نفس الأجانب هنا .

مرة أخرى لننكر في مفهوم الناس ، من ناحية اللغة والمجتمع
والسياسة ، وطوال تفكيري هذا وسحابة النشاط هذا التوسع
وأطراف الفكر طبعاً : يا ترى الناس مختلفون له ؟
السلامة...

رأيت الأستاذ محمد دأود الهضيبي خارجاً من مكتب الأستاذ
جلال فويدر ، جاء في نفس اليوم الذي علمت فيه الأستاذ جلال
على تصريحاته إلى مجلة الإكسبريس الفرنسية والتي نشرت تحت
عنوان : « لقد ضد السياسة » ، قال أن لومياً وقع وأن هناك عدم ثقة
في الترجمة ، كان مضمون حديثه نفي لما ذكرته الإكسبريس .
يوم الجمعة الماضي لست الأستاذ جلال إلى نفي الهضيبي لشعوري
في أثناء زيارته للأخبار عصر الثلاثاء ، ولكن .. ما لم ينسأ إليه يوماً
فقد للأستاذ الهضيبي : « يمكنك أن تكتب توضيحاً ونشره في
الطبعة الأولى » .

أجاب الأستاذ الهضيبي ، أنه سوف يكتب وفقاً يوضح فيه الموقف ،
ويجوز إرساله إلى اليوم التالي لأنه مرهق ، وسوف يرسل فرد للكتاب ..
وحسني الآن لم يرسله ، وبالتالي لم ينشر ، وهكذا لأوس
الإذواجية ، كلام جميل في الكتاب المتلفة ، وكلام آخر
للصحف الأجنبية ، ومواقف مختلفة عند الإعلان عن الآراء
والأفكار .. بلنا نسى ذلك ؟
الأربعاء...

قال اللواء محمد عبد الحليم موسى لتمام مجلس شعوري في
حديثه عن الإزعاج أن الشراعت تفر بالخطر الداعم والإعطاء لحقة

واعتاد نوع من الخطية ومن هنا تحركت أجهزة الأمن حركة واسعة واستطاعت بجهود فائقة وتصحيحات فعالة أن تحصل إلى أكثر من 74% من مرتكبي حوادث العنف . ثم قال إنه يتحدث عن الظواهر والأعراض وليس السبب والأسباب . ومن هنا يجب الإعراف أن ما تحفظه قدرات الأمن هي مواجهة الظواهر على السطح بينما تبلى أسبابها في الأعماق فالتفكير على سطوحها تطوير ومواجهة النشاط . .

عنا ما قاله وزير الداخلية . والحل أن نلبي مع أجهزة الأمن التي نحصل الآن طائفة عاتقة ونتائج أوضاع هي غير مثبثة عنها . أوضاع نتجت عن التسبب والإهمال . ونقص الإقارة . وخلو مساحة من أي قوة سياسية مؤثرة وفعالة في مواجهة قوى الإرهاب المنظمة جيداً . الممولة جيداً . والتي تستثمر أوضاع البطالة ومحدودة الأحوال الاقتصادية . وتستثمر عبثاً في أعمارهم بين الرابعة عشر والسابعة عشر . جيل كامل ولد في ظروف عبثية تسبب ألامه مستمرة . ومعظم أقرانه سيمهولون لأجهزة الأمن . من معروفين . هذا الجيل ضائع الآن . ويجب التفكير في أوضاعه من خلال خطط نسبية شاملة وحلول عملية جادة . .

نعم . . إن للمعالجة الأمنية ضرورة على المدى المباشر للإرهاب . ولكن هناك ظروف أخرى اقتصادية واجتماعية تلعب في نطاق مسئولية أجهزة القوى في الدولة . وفي المجتمع . ومن هنا تأتي ضرورة التحرك الشامل وفقاً لروية عامة تستهدف كافة عوامل التصور التي تؤدي إلى تفريخ الإرهاب .

في الأسبوع الماضي علمت ان مستولاً لمتباً كبيراً قال ان قوت
الامن قامت بتطهير مناطق باكسلها من الإرهاب ، أي أنه من
وجهة نظر الأمن أصبحت نظيفة تماماً ، ولكن لم تستخدم أجهزة
الدولة الأخرى للقيام بواجباتها في هذه المناطق .

هذا كلام عظيم ، والدولة المركزية القوية يجب ان تكون قوية
على كافة الجبهات ، وعندما يتأكل أحد هذه الجوانب فسرعان ما
ينظم الإرهاب لينفذ منه ويحاول التمكن .. ولهذا حدث بطول .
الكلام والعقل ..

.. في دراسة السياسة لا يقال كل شيء عند التعلق بالقول ،
وكثيراً ما يكون التصريح أكثر من التصريح ، لهذا أعتني جداً بلهجة
الحدث ، ونبرات الصوت ، ولتعلق للامام عندما يقدم سياسي
كبير على الحدث ، أو خطاب الآخرين ، في مؤثر جماهيري ، أو
صحفي ، أو في لقاء عام أو خاص .

أحياناً تكون هناك مسافة بين القول ومضمونه ، وكثيراً ما تحدث
الكثيرين يفتنون جهداً حتى ان بعضهم يتصب عرقاً ، فالتوك
على القراء ان يتظاهر بما هو متاير لمؤمره ..

الرئيس مبارك صريح وبسيط ، ولكنه كترجل سياسة واضح
أحياناً ولا يصرح ، وبالطبع الاعتبارات التي تحكم رجل الدولة
عديدة ، وهناك لغة يمكن وصفها بأنها ، لكن ما لركز عليه أثناء
جلوس أمام التلفزيون ، في بيني لو في ملهى شمسي ، الطريقة
التي يقال بها الكلام ، أحوال التفتاة إلى ما وراء الظاهر ، خاصة
في المحطات المخرجة .

في المؤتمر الصحفي الأخير الذي قتلني فيه الرئيس برجاله
الإعلام الأجني أجاب عن أسئلتهم بهدوء رغم جنوحها إلى
الاستفزاز أثناء حديثه عن الإرهاب والسياحة . قال نجاة إلى
الأمام وقال ما مضوته :

« هم صعب عليهم إننا نتمردنا للصح السادة نلتك .. على
الدين .. » .

وعلى الفور انتهت إلى قلوجة . إلى التمهيد الذي بدأ على
اللاج . قال الرئيس « هم » . لم يستدعم بالضغط . لم
سهم . وجدت نفسي أنكر :

لوي من هم الذين صعب عليهم شرانا للصح لنتك . من
حيلة لمرال السياحة . فمعوا إلى غربها ؟
من هم ؟

من جهتي حاولت التناهي . على هم بعض القوي القوي التي
تعهد صياحة العالم الآن ؟ . تلك القوي التي لا تريد مصر أن
تكون عضوة قوية . عموماً من جوعرها وغورها ؟ وما تكون لمرينا
محمد على الكبير . وجمال عبد الناصر . لا تزالان مائلين .
وعنالك من يرى في الجانب الآخر أو الجوانب الأخرى أن مصر إذا
نومت . وحلت مشاكلها . فإنها تبرز كقوة يعمل لها حسابها .
بدد فمن الأفضل إنهاكها باستمرار . إما بالمشاكل الاقتصادية . أو
بعدم جماعات الإرهاب المتسورة بالدين . أو كثرة اللذائل حولها .

لكن هناك احتمال أن يكون « هم » بعض الأقارب في المنطقة ، الأقراب والأصدقاء ، والذين يسعون إلى التبرؤ كطيرى مؤثرا في المنطقة ، وفي العالم ، وأي دور يتحقق لهم يجب تحقيقه على حساب القوم المصري ، ولتأمل جيدا الحظفة المصرية ، القسوة التي تتعرض لها المنطقة المصرية في بعض الصحف العربية الصادرة في العالم العربي وأوروبا ، ألم يوم أحدكم كان يكتأفرا في جريدة عربية عقب الزلزال مباشرة يصور فيها أنهم الأكبر (عقدتهم الأيدي) مشروخا وفوقه كلمة واحدة تطلق « خربت » ..

للك فوق وجليظة سجانية للحد الأدنى للمخاطب العربي الذي كان لو نقرأ عنه في كتب الأقدمين ، كان تلك ولدت أن عرج العالم كله ليرأس الكنانة .

هل يعني الرئيس عزلا ، ؟ لو أنه يقصد نوري من الضاحل لا يعنيها لانسك هنا الوطن واستمراره ، بلع ما يحتويه الوصول إلى السلطة ، هذه القوى التي استبطلت الولاء للوطن ، بالولاء للأشخاص ، لو القرائي ، لو القزويني ، ولتقرأ أدبياتهم المشهورة جيدا ..

هل يقصد الرئيس عزلا ، ؟ ألم يقدم بعض الصبيبة التتمون إليهم على نخل السباح ، لضرب الصغر الذي أتاح لنا شراء وخيف الخبز تفسدا ، وفتح أمن الفصح صليفا ، أستعرض كخاتمة الاحتمالات ، وأستعيد إلهام الكلمات والملاحح ، لعل وعسى نلهم على معرفة عزلا . !!



فوا بر
مصر الجنوبي



السبت

توقف القطار القادم من الجنوب لنا ، توقف بعناء وصيف
محطة لا تلك عليها القطارات السريعة أو القاصرة ، لحمل اللاندا
اسم « بنى حسين » ، يتم استبدال المحرط الحديدية ما بين
لسيرط والتبا ، تلكت يحدث التأخير ، كانت الساعة قد تجاوزت
الثانية عشر ظهرا ، فوق الرصيف اللطيل لمع عدد من الصبية ،
بما عشرة ، أحدهم ما بين الثالثة عشر والرابعة عشر ، وانصح
أنهم يمشون بعض الوقت بعد انتهاء اليوم الدراسي ، منهم من
يحمل كراسه وكتبه ، وآخرون استنوا حباتهم إلى امت شجرة
عتيقة ، كانوا يتساحكون ، ويشتاقون ، بعضهم يرتدي قميصا
قطر بدون يزر أو جياكت ، مع أن برد الصيف فارس جدا ، تهازأ
وليلاً .

يبدو أنهم اتسبها إلى القطار ، بدلوا يشيرون إلى كتابه ، ثم
التفتوا لجد لطفة تقع مقابل نافذة في العربة التي أوكبها ، أشار
أحدهم لآلأ : « اجنسى .. اجنسى .. » .
صاح أحدهم : « علو » .

لوح قصير منهم بيده ، بينما أخرج أحدهم لسانه ، رفعت
رأسى ، لمحت شابا أجنبييا يرتدي نظارة ، إظهارها معدنى ، وقف
ملوحا لهم ، كان ينسى ، وعندما صوب أحدهم حذاء صغيرا
في اتجاه القطار ، أسفل السارية ، راحوا يصفرون ويضحون ، لم
تسبها فجأة إلى أن هناك من يرتطم بالعتماح ، فتمحووا إليه .

فكلنا أخرج أعضائهم لسانه ، بينما لوح أعضائهم لم يهدفنا ، ليستمر
خزائن صوابهم ، لم أبتسم ، ولم أبدأ غضباً ، وإنما رحمت أحسب
من ثبات ، والعديد من الأفكار يتوالى عليّ .

من المعروف أن الشخص الوحيد يتردد في القيام بفعل عفواني ،
ولكن إذا صاحب شخصاً آخر فإن كل منهما يشجع الآخر ، هنا
تولد شخصية ثالثة غير مرتبة يمكن أن تقدم عليّ الأذى ، وكلما
ترابذ العقد تولى الإحتمال ، وربما يحدث هذا كله فجأة .

من الواضح أنهم فتية ظراء ، يبدو ملائمتهم قوية متواضعة جداً
في مواجهة البرد والآخرين ، يبرون بحالة فراخ بعد انتهاء اليوم
الشمسي ، وربما كان بينهم من لا يعمل له ، مجال القلعة الصغيرة
محدود ، مما من نشاطاً رياضياً ، أو ثقافياً ، مما من مشروع
انصافى يمكن أن ينص هذه الطائفت الفتية ، إنهم لا يلتفتون عليّ
فربصيف في العراق ، بل ، عند مغربي طرقي ، فإما أن ينص كل
شيء ، كما ينصن الرء ، وإما أن تصفت الفاجات والتجنيات
الخاتمة .

من يفكر ، من يخطط ، من يلهم المشروعات لهذا الجيل من ؟
هل عليهم أحد احترام الغرباء ، بدلاً من هذه التصرفات التي
تخالص مع كل موروث المنطقة القائم على احترام الضيف وعاير
السيل !

على فتاحية الأخرى هناك قوى خفية ، لا تعرف أين تنتهي
مبوطها ، تستر بالدين ، تولى نشطة تستهدف هذه الأعمار

بالحديد ، وتدفئها بالطين ، والحداد ، والفرعيب ، وتقبل من
القال ، إلى الإرهاب ، وهذا الجبل الذي يبلغ عمره بين ثلثثة عشر
والرابعة عشر هو الربع الخصب للإرهاب ، وهو الجبل الذي يجب
أن يوضع في اعتبار أي خطة وأي بيان حكومي .

كنت ما زلت أثبت البصر لتمامهم عندما رحبت أسدال عن
احتياجات كل منهم ، وكيف سنلس ، وأين سيكون كل منهم
بعد عشر سنوات ، بعد عشرين . . ماذا سيعمل بهم الزمن ؟
والى أين سنطس مصائرهم ؟

قلوب أحدهم عجزاً لخاص ولم يرمش لي بطن ، بالتفويج بما
انسحابهم ليطن ، في خطات ابتعدوا ، عاد أحدهم ، كان
نصبراً ، غامق السمر ، ابنم ملوحاً لي ، عندك رفعت يدي
مبتسماً ، دار حول نفسه ، غريب جذع الشجرة بلغمه ومطس
مبتعداً ليلعن بصحة ، مغارقاً فراغ الرصيف .
السبت ظهر . .

ومطس نظار الجنوب ، هذا الطريق نفسه الذي قطعته مرات لا
أحصى عندما عبر عسرى منذ أن ولدت في جبهة ، ومع عصر
أرحل هنا وهناك ، وأبلغ مناطق جد نائية من العالم ، وأساتر
الساحات الطوال بالقطرات ، لكن ما من رحلة تنير عندي
الإحساس بلسفر مثل الرحيل إلى الجنوب الحبيب ، ويبدو أن
الإنسان مع تقدمه في العمر يحن إلى النشأ ، خاصة بلغة
الأرض التي خرج فوقها إلى الدنيا .

كنت ألتفت بعيني الخائفة إلى السبوط ، وسراج ، والحطاب .
 وسألتني إلى مدينة السبوط ذات الحضور التاريخي فكنت
 وأفصو للتحدث من الزمن الإقطاعي ، والطرق المستقيمة ما بين
 الخيل والقطر ، لا تذكر السبوط على مسع مني إلا ولري بيوتها
 ذات نخس ، ملانة .. لا ترى ؟ ، لقد ارتبطت عندي بهذا
 الوقت ، كما أنها محطة حتى لو كنت فيها زمناً ، فلقد كنت مدخل
 إلى خطها ، إلى سراج ، إلى جبهة حيث ألقى وسقط رأس .
 منذ فترة تعيش السبوط ظروفاً متغيرة بسبب الإرجاب ، ولا أعني
 أني كنت أسافر وعندي نسي ، من حفر ، أنا المنتهي إلى المنطقة
 روعياً وجسدياً ، فما ليال بالأجنى القادم من بلد بعيد ليحس
 أحارة ، ويترقب على ثلاثنا وأثارتنا ، حفاً .. لماذا تعجب لا يملك
 الذين اشتعروا عن الحضور بعدما سمعوه ، وما قرأوه ، لكن بعد
 الخروج من المحطة إلى الشوارع ، بعد دخول الحياة اليومية العادية ،
 كنت على الفور حجم البثنة فيما ينقل من تفاصيل ، باختصار
 تنهد لتسير إلى حدة نقاط عامة ، ألح في بعضها ولا أصرح ،
 بصورة موجودة عند كافة المستويات في الدولة على مختلف
 المستويات ، والمعلومات المتوفرة أقل ، ولكنني أتحدث عن الثقافة
 التي لا توجد في الظاهر ، ولا أجهزة العلوم ، المنطق الرمادية
 التي تكمن خلف الظاهر ، سواء كان نصحاً ، أو كلاً .

هناك نور يطول لأجهزة الأمن ، والمشرقة التي تواجه الإرجاب
 سردها في الميدان ، بعيداً عن أي مسانعة سياسية ، إن فنور

الذي تقوم به أشبه بالجراح ، لكن بعد الجراحة ، تأتي العناية
الفركرة ، والتعويض في القضاء دور عظيم ، والتعويض هنا يجب
أن تقوم به جهات الدولة المختلفة ، من تربية وتعليم ، وصحة ،
وتسليم ، وخطط لاستيعاب البطالة ، يجب ألا يكون حضور
الدولة مثلاً فقط في جهاز الشرطة الذي يواجه بشجاعة دائرة
مصابك الإرهاب الأسود .

يجب وضع العزيمة الخاصة للعصبة في الحساب ، ومن هنا
أرى مشاركة القوى التقليدية والمعاملات المريلة في العمل ضد
الإرهاب ، مع عودة نظام العمود ، تلك أن العمود كان يحل
مشاكل الناس اليومية بطريقة ونظرة إدارية ، وعندما انعكس حل
مكانه ما يسمى بأمر الجماعة ، وهذا يتدخل لحل مشاكل الناس ،
ولكنه يقدم من أجل هدف سياسي يخلق بالدين .

بالنسبة للموضوع في أسبوط بالوقت ، أقول بصراحة أنه لا بد من
فك الاشتباك بين المحافظ ، وأعضاء الحزب الوطني ، لقد جهلت
في المدينة ، وأنضيت وأنا طويلاً مع أسفقاء الناس منهم مواطنين
والهزار والديار والسائفة ، وجلست يطامس أعينها وركبت عربات
أجرها بالنفس ، ومن كل المواطنين البسطاء ، ولست على صورة
إيجابية جداً لحافظ شريف ، يدرك رجل الشارع نظامه منه ولله ،
وجهد الخلفى ، من أجل خدمة المواطن البسيط ، وعندما يوزن
سراج التي أطس بها زماناً نصيراً سمعت سيرة مطرة ، حل من
المعقول في محافظة حساسة ، يستهدفها الإرهاب ، ويفجرو

لجنة الطائفة أن يواجه المحافظ أصحاب النفوذ ونوى المصلح .
وأن يشغل الوقت نتيجة لذلك .

في محافظة كهنة ، يجب تضامر كل الجهود ، التنفيذية ،
والأمنية ، والتنشيطية ، والسياسية ، ولكن الوضع الخلفي خطير ،
وتحولها بوضوح ، والأسباب كلها معروفة ، بل إن بعض القوى
دان النفوذ والمصلح تستخدم الفتنة وكل الوسائل في حملتها غير
التزيهة ضد المحافظ ..

هل هذا معقول ؟

إن تتعرض دولة بأكملها ، ولبنان شمس بالقطعة ، إن يتعرض
وحتى بأكملها لخطر الحريق لجرد أن بعض أصحاب النفوذ والرباب
المصلح لا يحبهم المحافظ ..

هل هذا معقول ؟

من أجل ذلك أرفع الصوت بضرورة إنهاء هذا الوضع ، وأكتفى
بالمصلح .. حتى وإن جاء بدرجة الصراخ .
استعداد الطائفة ..

وبعض النظائر صوب العاصمة ، وذلك الساحات يلعب ما هي
رحلة في الكفاح ، تعد رحلة في الزمان أيضاً ، زمنى أنا الخاص ،
تستعيد وقتى ما بين لسيوط وسوهاج ، في العاصمة تارقت لسيوط
عسبة علاج شريد المشول عن الثقافة الجماهيرية بجنوب مصر ،
يسعد عبد الرحمن ، مدير الثقافة بلسيوط ، في الليل الجنون ،
تنت أبلل حماسها ، وجهتها ، وتنت أبلل .. في كل مواقع

هناك من يشبههما في لغاتهما الفصحى ، ويمثل هؤلاء ، بـسـمـر
الوطن .

توغل السيارة في المكان ، والفكرة ، واتعالمب في مجال الرؤية
للمشاهد الجنوبية ، كتأخذ التعليل ، القمصان الأسطوري ، خلال
الجبل البعيد ، رحيل قليل ، اللقائى الصغيرة ، عروة الرجل فوق
الخصير ، وثوب البطني عند ناحية ما ، العمائم والجلابيب
السواحبية ، لكل ناحية تصحبها ، تروق بالأماكن التي تشكل
أركانها كالتري ، طهيًا ، المرافعة ، جزيرة التتوييل ، يتوى حضور
أي - رحمه الله - واستعيد سعيه في الحياة الدنيا ، هنا في كل
مكان أثرته وعبره !

أصل مدينة سوهاج لبلأ ، يستلقتنا عبد الجابر يهلون مدير
الشفاعة وأدياء سوهاج بترحيب وعواطف تباشير تشعرتني
بالذنب لتلصصيري في التردد على موطنى ، وعند المسهر في
قليل القبارد الذي يبد صليبه ذلك الأصدقاء ، عبيد شعراء ،
سوهاج محمود بكر هلال ، والشاعر الكبير محمد الربيعي ،
وجميل عبد الرحمن الذي جاء من السننلى ليلقانى ، والسيد
رشاد شاعر العمامة الرابع ، والقصاص محمد محمود عثمان ،
والسيد رشاد ، والصدىق العزيز الدكتور نصار عبد الله الأستاذ
بجامعة سوهاج ، وأخوه الذي ينتمى إلى أسرة كلها شعراء ،
والعديد من الأصدقاء الذين وجدت فيهم ما لا أحبه في كثير
من منلقى العمامة !

سوهاج بالنسبة لي كانت نقطة عبور إلى جهينة ، وربما كانت
لبعض الأولى تلك التي ألقيناها في القدينة ، مدينة عادنة ، جمال
الطبيعة الجنوبية يبلغ ذروته هنا ، حيث الجبل والنهر ، وغضيرة
الحقول .

سوهاج عادنة أيضًا ، ما من حوائط عتف ، لا طائفة ولا
إرهابية ، كل من طبيعة الناس هنا ؟ ربما . ولكن لا شك أن
الوقال بين محافظتها شديد الحنكة الذي عمل خمسة عشر عامًا
سديرًا لمباحث أمن الدولة ، وبين أعضاء مجلس الشعب ،
والسؤولين من الأجهزة الشعبية ، هذا التفاهم له أثره ، عندما
دخلت مكتب المحافظ كان أعضاء مجلس الشعب يجلسون فيه ،
صانحت بترحاب شديد حسن رضوان ابن عم الزعيم محمد عبد
الحسين رضوان وزير الثقافة السابق ، وأحد الوجوه البارزة من
الإقليم .

خلال حديث المحافظ ، والأعضاء الذين كانوا في مكتبه كنت
نهيًا عميقًا لكيفية مواجهة الإرهاب في إطار إنقاذ الطبيعة
الخاصة جيدًا للصعيد ، وهذه الطبيعة التي لن أمل الإشارة إليها
يجب وضعها في الاعتبار دائمًا ، إن الجنوس لديه إحساس قوي
بنفسه ، يمكن أن يمنح حياته فاتها مقابل كلمة طيبة ، أو عن
التفاهم ، ويمكن أن يضحى بها إذا عين ، لو ناله ظلم ، والتأثر نسبة
عظيم على مختلف المستويات ، وهناك حكايات عديدة تُروى .

والسار بالفكرانة فتوي الأسباب الحركة للفرقة من الفناء ، لو يوجد
عولمة .

عكفا تبدو سوحاج عادية .

صباح تاتي أهلي بها سلكت الطريق النسرني الطسوح الذي
يذكرنا بأعمال الفراعنة المتكلم . بدءا الفراء محمد حسين عطشوي
بفكرة سرعان ما أصبحت ، يهدف إلى ربط سوحاج بالفرقة ،
وجعلنا نورا الجبل القريب ، تطلعت إلى النيل الأخضر من نهر إلى
نهر ، إلى الطبيعة المصرية الخصب ، السمحة ، والنسم أن ما رأته
من جمال لا مثيل له فيما ظلمه بصري ، إن في أوروبا ، لو أني
بمعة من المعالم خلقت بها ، هنا جمال خاص ، له عمق من
الزمن والجلال والأسرار التي لم تدرك بعد . . لهذا يطول الحديث
عنه ، فلأرجت إلى يومك ثانية . .



كتاب الفيل



.. لعلنا سمعت اسمه ، لكننى لم أعرفه شخصياً ، ولأننى قرأت عنه ، وعن جهوده العلمية التى يعرفها الآن ، ولأن اسمه طالعنى أكثر من مرة ، عندما اعتاره عبد القاهر ليكون عضواً فى البرلمان عن الأقباط منذ عام ٦٤ وحتى ٧٦ ، أى لخمس سنين سبوت فى نفس الموقع خلال حكم الرئيس السادات ، ولأننى سمعت أكثر من صديق يلقبه بلقب الجيولوجيين المصريين ، فهو الأقدم ، والأخضر علماً ، وهو مكتشف فوسفات أبو طرطور ، لأسباب عديدة ، لم أتردد الأسبوع الماضى فى تلبية دعوة صديقى الدكتور سعد الدين إبراهيم لثقافته ، خلال زيارته لمركز ابن خلدون للدراسات ، رغم ضغط العمل الذى تخوضه وتقوم به فى عالم أخبار اليوم هذه الأيام لإصدار « أخبار الأدب » ، أول صحيفة عربية عربية ، تصدر أسبوعياً وتحوى أربعين صفحة كاملة من الثقافة ، لقد طرقت العجطة بالفعل بعد أن اتخذ الأستاذ إبراهيم سعفة قراره الجسور ، واليوم صباحاً سوف يقدم النسخة الأولى من العدد التجريبي الأول إلى الرئيس مبارك عند افتتاح المعرض ، وخلال فترة قصيرة سوف نصل أخبار الأدب إلى القارئ المصرى والعربى لتغير الكثير من المفاهيم السائدة فى الصحافة والثقافة .. غير أن الحديث عن هذا الإصدار الجديد لأخبار اليوم بطول ، لكننى بلا شك واقع تحت تأثيره ، بطول الأسابيع الأخيرة لم تعرف قنوم إلا ساحات ثقافية ، خاصة فريق الرسلاء المحبوبين ، والفنيين الذين يزدحم الفنان سعيد إسماهيل ، العجلى ساهلين ، ومضيت إلى موقف الأنوبيس المزدحم وسط المدينة لأصعد إلى المقطم ، هذا المرفق الصخرى الذى نسميه جبلاً ..

كنت حريصاً على الاستماع إلى الدكتور رشدي سعيد ،
الجيولوجي المصري ، المقيم في الولايات المتحدة منذ عشر
سنوات ، وسبب كل هذه الخلفية التي ذكرت بعضاً من ملاحظاتها
نشرت أنني أحرفه منذ زمن طويل ، رغم أنه اللقاء الأول الطويل ،
بد فابلته في برلين منذ سنوات ولكن الدقائق . .

رشدي سعيد عالِمٌ مصري صميم ، وأصيل ، ومصر . . هذه
الكلمة المجرى التي نعتي بها الوطن والإستواء ، اعني عنده هو الأرض ،
حفظ رشدي سعيد اللامح والفضول ، والصحارى ، والجبال ،

ومصر الأرض بك عتيق ، أقدم صنوره وأجملها في جبل أبو
رشدي ، وفي مكان اسمه فيا الحيسة تطلق بتفارس جيولوجيا
مريخة ، أما الجبل الأحمر الذي يقع في مدينة نصر فيعتبره رشدي
سعيد من أنرى وأغصب الأماكن الجيولوجيا في العالم ، وهو من
الأماكن الأولى التي عاشر فيها الإنسان المصري منذ ملايين
السنين ، وكان يوجد به ثانويات مياه حمراء اللون ، وفي الجبل
الأحمر بقايا بركان قديم .

الدكتور رشدي سعيد كتاب عام سوف يصدر خلال ساعات ،
تدبه في الأصل بالإنجليزية ، ولكن التمام الوطني أس عليه أن
يحل مسترثاً عن قارته المصري ، فترجمه وجاء إلى مصر ليشرح
على إسطاره من عار الهلال .

حدثنا عن النيل ، عن علاقته به ، قال إنه بدأ يهتم به منذ
صف قرن ، متابعه ، مسجده ، مساراته القديمة ، ينبع النيل من
جباب الحيسة ولديها كانت مياه تتجه إلى المحيط الهندي ، والأم

ما ، والأسباب جرت في الأمانة التفضية تبدل مجرى النيل ، وبدأ يتجه شمالاً ، متفرقاً بوضع خاص بين كل أنهار العالم التي تجري ناشأ من الشمال إلى الجنوب ، هذا نهر النيل الذي أصبح حلة خاصة وفريدة ، وبالفعل أصبحت مصر حلة خاصة ، فكلما نزلت في تاريخ الإنسانية وما زالت .

بدأ رشدي سعيد يتتبع المجرى القديم للنيل في الصحراء الغربية ، والشرقية ، المذكورت حولت متفرقة قرأتها في المصادر المملوكية للتاريخ المصري ، عند ابن إياس والمقريزي وغيرهما ، فعندما بدأوا حفر أساسات مسجد السلطان حسن عشرتوا على بطاها قارب قدم ، وعندما حفرتوا الأرض لتشييد سبيل كاشفاً يذكر الجيوش أنهم عشرتوا على احتجاب قارب مدفون ، ومن وصف المقريزي للقاهرة في التصور الوسطى نكتشف أن مجرى النيل الحالي كان يمتد في ميدان رمسيس .

أعود إلى رشدي سعيد ، إلى حديثه عن مسارات الأنهار التي تبدو ثابتة ولكنها تتحرك في حياة دائمة للتغير دائماً مثل البشر ، من يصدق أن المحيط الأطلسي كان منذ ملايين السنين في مساحة البحر الأحمر ، ثم بدأ يتعاقد الأرض ، القارة الإفريقية والأمريكية ، ومن هنا نشأت أسطورة القارة المفقودة أطلانتس ، ولكن الجزء اليابس من الأرض لم يستقر دائماً ، البحر الأحمر يتسع ، في كل سنة تباعد الشواطئ المصرية عن الإفريقية فب بقتار لسان مظهرت ، يعني ذلك أن البحر الأحمر سوف يصبح محيطاً بعد ملايين السنين ، أما القارة الإفريقية نفسها سوف تنشط ، وفي الزمن القديم كانت الجزيرة العربية جزءاً من القارة الإفريقية .

هذه الأرض التي تبدو ثابتة في حالة تغير دائم ، كثيراً ما كانت
تقول للناس ، الزمان متغير ولكن المكان ثابت ، ولكنني بعد إحصائتي
إلى وشدي سعيد لتوكت أن المكان ما هو إلا تابع للزمان ، وصورة
منه ، وما يبدو ثابتاً ، أيدياً ، في حالة تبدل باستمرار بلطخ
تحت وشدي سعيد عن الزلزلة ، لم يكن معقولاً ألا تسلكه ..
جبل أبو قبياب ..

الأرض في حالة اهتزاز دائم ، لكن هناك مناطق تهتز أكثر
من الأخرى ، ومصر من البلاد النامية التي يمكن تأريخ
إزالاتها ، فقد دون المؤرخون أوصافاً جديدة ومنها يمكن تحديد
توقيتها وفقاً للقياس وعشر الذي أصبح مادة أساسية في
تقنيات المصريين وتقدمهم الذي أعجب الطاجعة .

قال وشدي سعيد أنه يمكن تحديد زلزلة وقعت عند بناء
معبد أبو سمبل ، كذلك وقعت زلزلة في منطقة معبد الكرنك
سنة 27 قبل الميلاد ، في عام 1976 ، أحضر وشدي سعيد
أجهزة حديثة للقياس الهزات الأرضية الدقيقة في مصر ، وفي
شهر مايو من كل عام تنهض البعثات الجيولوجية من
عسكها في بر مصر ، تعود لشكيب نظايرها ، الأجهزة الخاصة
لحناج إلى تكيف هواء ، ألتروح ونسجها في تلق داخل جبل
مقل على البحر الأحمر جهة ادفو ، الأنفاق داخل الجبل
كانت باردة ، بعد شهرين عاد مع الجيولوجيين فوجدوا
مجمداً ، انفتح أن الجبل تنشط جداً زلزالياً ، ويوماً يفتح داخله

من ٦٠ إلى ٧٠ زلزلة ، وهكذا أفرك وشدى سعيد وزملائه سر
تسمية الجبل بأبو دهب ، لأنه يسمع منه ددبة ، يقول :
هكذا نسبا لبحث عن مجازي قبل المدينة وبدأنا العمل في
رحم الجبل الزلزالية ، انضح أن جبل أبو دهب هذا منطقة
نشطة جدا ، نعم .. في مصر مناطق نشطة زلزاليا ، ولكن
الزلازل الكبرى لا تلح إلا مرة كل قرن ، أو قرنين ونصف ..

أخانى رشدى سعيد في الحديث عن البترول وإمكاناته في
مصر ، عن تجربته في صحارنا ، عن علاقته بالسياسة ، عن
وضع الأقباط في المهجر ، والحديث طويل فو تسجون ، ولكن ما
أريد التوقف عنده ، كيف تهمل وجود هذا العالم العظيم بيننا ؟
إنه في مصر منذ أكثر من شهرين ، ولم أسمع بجامعة استضافته
أو برنامج تلفزيوني استضافه لو إننا في ، لم توجه إليه الدعوة إلا
من مركز ابن خلدون فقط في حدود ما أعلم ، وإن كانت
الجيولوجيا تذكر بالجيولوجيا ، فإني أحترم عالما كبيرا فاروق
قبار ، وقد سمعته في أكثر من محاضرة ، وتحدثته في أكثر من
برنامج تلفزيوني مهم ، ولكن .. لانا تتجاهل عالما كبيرا مثل
رشدى سعيد ، وسوا العرى أقول إننى لست في مجال الظلمة ،
لو للتأخلة ، ولكننى أذكر فقط بعالم أسيل ، وأكرر أن رشدى
سعيد الذى يبلغ من العمر ستة وسبعين سنة ، والتفهم حليا في
الولايات المتحدة ، بعد باعتراف الجميع .. وبالتفهم نفسه ، الأب
فروعى وأستاذ كل الجيولوجيين العرب .. وليس المصريون فقط ..



وصل .. يصل .. وصولاً



.. فابتغى صاحبي في ميدان الحسين ، منذ فترة لم أقتل به ،
مختصص هو في تنظيم الحشبة بالصفوف ، ابتغنا الود ، ثم
سألته عن زميل له كان يعمل بصنع صفيحة لصناعة ألعاب
الطعنة ، ابتسم قائلاً :

« يا خلاص وصل يا عم ... » .

ثم أبيع نوبه : فربما فتح عليه واستأجر ورشة في حلوة الصالحية ..
الحلوة قديمة ، قمرت الزور عليه لكثيثة ، كان يدعو مسروراً ،
سعيداً ، راضياً عن الدنيا ، أصراً على جلوسه أمام قد كان قصير
الذي لا تزيد مساحته عن مترين مربعين ، ودعوتني إلى شاي ،
راح يشير إلى محتوياته القليلة ، ويحدثني عن الشؤون الطويل
الذي قطعته منذ أن أوقف والده بورشة المعلم صالح بريح السطحين
لينظم أصول الصلحة ، وكيف أفضى سنوات لا يتفانى أجراً ،
ثم بدأ يتفانى فروعاً قليلة راحت تتزايد مع الزمن ، ثم تنقله من
ورشة إلى أخرى ، وتعاونه مطلقاً من المال ، دفعه خلفاً لهذا الركن
الفضيل المستمر تحت بيت قديم وقد إلى زماننا من القرن الماضي ،
لديم ، منهلك ، لكن أسال صاحبي نوري لمتته ، لقد حلق
استغلالية ، وبعد أن كان يعمل بالأجرة أصبح سيد نفسه ،
وعنده حسي صثير لا بد أنه ينطع يوماً للوصول ، إلى أن يكون له
ورشته الخاصة .

فارت صاحبي وأنا أستعيد اللاني بأحد زملاء الدراسة ، ما أن
رأني حتى صاح متفهلاً ..

« ميراثك يا عم .. والله وصلت .. » .

« وصلت إلى أين ؟ » .

« رأيتك في التلفزيون .. » .

البنسنت شاكرًا ، متسائلًا بيني وبين نفسي ، هل يعتبر مجرد ظهوري في التلفزيون خلال برنامج حابر وصولاً ؟ ، وصول إلى أي شقة بالضبط ؟ ، صحيح أن التلفزيون يلعب دورًا هامًا في الحياة المعاصرة ، اجتماعية كانت أم ثقافية ، وبالخاصة .. السياسة ، وهناك زعماء انتطروا حروبًا ، وقاموا بأعمال أحدثت فرتحة كثيرة ، وفي رأيي أن أحد ما حركهم هو الظهور في التلفزيون ، خاصة إذا كان تلفزيونيًا عالميًا ، مثل CNN أو غيره. وهذه الفوائد المستجدة ربما يوليها القارئون عناية في المستقبل ، لكن .. هل ظهوري لدقائق في التلفزيون بعد وصولاً ؟ ، إذن .. ماذا يمثل الأمر بالنسبة للقارئ القشرة أو بلطفه البرامج حيث الظهور يومي ومستمرًا منذ سنوات قابلت أحد أصدقاء المهني ، فرك يديه بسعادة ، فقال إنه يحمد الله ، إذ وصل أميركا ، استطعت حتى أقدم نهيتًا ، قال أنه اليوم .. واليوم فقط حصل على جهاز هاتف من المصلحة ، خط مباشر ، يمكنه من طلب أي رقم فورًا دون الرجوع إلى التحويلة ، طلب متى أن أكتب الرقم ، وأملأه على عناية ، ثم تأكد من صحته ، وقال أنه سوف يطبع بطاقات جديدة عليها اسمه ورقم هاتفه في المكتب ، فقال إن تلك مؤتمر هام للحصول على المنصب الجديد ، هناك ونهيت له اليوم

الذي يحصل فيه على هاتف السيارة ، حيث يجلس في المقعد الخلفي متجهماً بسبب ثقل المشوية ، ويتحدث في الهاتف غير سيال بالذرة والمتنظرين عند المحطات ، رفع يده ، قال إنه مكثت بقلبك ..

في سهرة جمعتني بعدد من الأصغفاء ، قال صاحبنا الذي يعمل في مجال الإعلانات ..

« ماذا أريد أكثر من تلك ؟ عندي شقة في القاهرة ، وأخرى في برانيا .. اخمد فـ .. وصلت إلى ما أريده .. »

شقة هنا وأخرى هناك .. هنا نوع آخر من الوصول ، تفكيرك لغيرنا القلة التي نرد على ألسنة بعضنا عند الإشارة إلى بعضهم ..

« أصله وأصل يا عم ! »

هنا الإبداع يعني أن الشخص المصنوع لكن من الأتروب من أحد مراكز سلطة ، أو شخصية عامة ، أو أحد مراكز اتصالات القرب ، وقد يكون هذا الوصول نتيجة للكفاءة ، أو الأنتهازية ، وهنا نلاحظ قلة الوصولية المشتق من « وصل » أو « وصول » .

« وقد يقال .. » « ربما يفتح عليه .. » « وأصل خلاص .. »

شهر الجملة بتركيبها هنا إلى الطريق القوي ، إلى الوصول الذي يطلب المرادف المتعمقة التي يجب قطعها من مجاهدة وكشف وتجل وأحوال شتى ومطامع عديدة ، وهذا الوصول لا يلقفه إلا القلة الجاهلة ، الضاربة ، غير أنني أنشئ إلى العنى الشاح بين أبناء شعيتنا المصري ، وهو معنى انحصارهم أو بعد سياسي ، لا يخطر من

فقد سبطن ، أو سبطية مكتومة ، وأحياناً يعجلب فتوح بحسد ، أو
بما إذا كان التعبير بضمير المتكلم ؟

لما الوصول نفسه نفسى ، ربما يكون استلزام لزوم ، أو الظهور فى
تظلماتيون ، أو السكتى فى شقة متسعة ، أو استلزام وكان ، أو
الموصول على قد كشوراء وبلغ الأستغناء التى تلتضى فرجة من
فرجاة ، وتبهر اللامح ، والحديث على مهل . . الوصول نفسى إذن .

تكن ماذا من اللغة العربية نفسها ؟

فى « لسان العرب » لابن منظور ، نجد أن الوصول ضد الهجران ،
ووصل نفسى ، إلى نفسى ، وصولاً وتوصل إليه انتهى إليه وبلغه ،
أما التوصل من النساء فهى نفسى تصل شعرها بشعر غيرها - أى
تتخذ الشعر المستعار - ووصله وأتلاً وصيلة وواصله شواصه
ووصولاً ، كلاهما يكون فى خلاف الحب ودعائه ، وكفلك وصل
حبه ووصولاً ، وصله ، قال أبو نؤب :

إذن وصلت حبل الصفا قدم لها وإن صرته المتصرف عن لسان
وكال ، وصل فلان رحمه ، وتوصل إليه ، وفى الحديث النبوى
« من أراد أن يطول عمره فليصل رحمه » ، كناية عن الإحسان
للأقربين .

وبذل ، هنا رجل ووصل هنا ، أى مثله .

وبذل أرضى وصيلة أى الأرض الراسعة البعيدة كأنها وصلت
بأخرى .

لما ليلة الوصول فهي آخر ليلة من الشهر لاعتادها بالشهر الآخر .

ومن أسماء الرجال ، «واصل وموصول ..»

غير أن عالم يتخذه لسان العرب تلك الصياغة التي ترد دائمًا على لسان المصريين ، ونعبر عن رؤيتهم للحياة ، وفلسفتهم العميقة ، الطويلة لإثبات الواقع وتفسيره ..

«احمد واصل ..»

«مبوك يا عم .. لمبوك وصلت ..»

لما الوصول نفسه يقابل نسبيًا كما ذكرت ، يتوقف على نوعية الطموح ، والامتياز .

لكن .. ماذا يعني بالنسبة لي ؟

إنني أخصي بدعثة إلى من يحدثني برؤى عن وصوله .

الوصول بالنسبة لي يعني الفناء ، يعني العدم ، فإنما استقر في وهي الفرة أنه قد وصل . سواء كان ذلك يعني هدفًا ماديًا أو معنويًا ، فإن ذلك يعني انتهاء الطموح ، انتهاء السعي .. أي

الفرق . وما كانت الرحلة الوحيدة التي أشعر فيها بالرؤى لحظة الفراغ من عمل لذي استغرق من وقتًا وجهودًا ، غير أن هذا الرضا لا يتوهم ، إذ سرعان ما يتجدد الطموح والرغبة في التجاوز ، وإنما استقر في وهي الفيدج أنه «وصل» ، إلى السلوب ، إلى شكل فني ، إلى مستوى معين .. فهذا سائر للموت ، القصد تمام ..

لما عن الوصول بالحق الذي يتداوله شعبنا الساخر ، المنهكم ، فاحمد فقد أنه لا يفتنى .. لا من لرب أو بعيد .

في يوميات سابقة تحدث عن لقاء جرى بالمعلم الكبير
 رشدي سعيد ، الجيولوجي المصري الذي يعرفه العالم كله الآن ،
 ويعد أهم صفا كتابه عن « النيل » ، الذي خرج من مطابع دار
 الهلال مع المعرض ، ولا أبلغ إذا قلت أن هذا الكتاب مهم سوف
 يحتل مكانة جليظة في المكتبة العربية ، ولي وثيقة أطول مدة ،
 لقد تاملت في نهاية اليوميات عن أسباب عدم الاهتمام بحلقة
 الكبير الذي جاء إلى مصر في زيارة للإشراف على صدور كتابه .

وسرعان ما تحرك الإذاعي فلاح عمر بطيشة ، وسجل حلقتين
 من برنامج « شاهد على العصر » ، أتبعنا على مدى الأسبوعين
 الماضيين ، وتعدان بحق وثيقة عامة ، حيث يتميز هذا البرنامج
 بموضوعية شديدة ، وصراحة تامة في الموضوعات السياسية
 والاجتماعية ، ولا تخضع للعاهم الرقابة التقليدية .

خلة رسائل ومقالات من القراء تدور حول تفسير الكنتوريين
 لرشدي سعيد ، أعتقد بعضاً ما ورد في رسالة الدكتور فليبي
 رطله ، دكتوراه في الجغرافية ، ومدرس أول مدرسة التوفيقية سابقاً ،
 يقول :

« فإنه يسرني إطلاع بعض ما درستته على استاذي الدكتور
 رشدي ، وكان متشككاً من كلية العلوم إلى معهد الدراسات
 السودانية ليكني محاضرات عن جيولوجية مصر في العام الدراسي
 ١٩٥٦ / ٥٥ (معهد يسمى الآن معهد الدراسات الإفريقية) ... »

ثم يورد معلومات قيمة عن الأنهار عامة وعن النيل خاصة ،
في أن يقول في نهاية خطابه :

« لما قولتكم كيف تهمل وجود علم كهذا ، فإنه كان من
المتكبر أن يقللنا نالتنا لولا أنه وجد نلسه محتاطاً بضائقات
أثناء إشرافه على عمليات القوسفات في الصحراء الغربية فأثر
السلامة شأنه شأن الدكتور مجدى مطروب وغيرهما كثيرون ينطبق
عليهما وأمثالهما قول الإمام الشافعى : ما فى المقام لطفى عقل
وذى لعب . . من راحة فذبح الأوطان واغترب . إى وأبت وفوف
لنا بقسه إن سال طالب وإن لم يجر لم يظ . سافر . . لهد عوفاً
عن لمارته . والعصب (لى اجتهد والعصب) فإن لهد العيش فى
العصب . وقشر كالعرب علفى فى أمانته . والقود فى أرغفه نوع
من الخطب . . »

الطريف . . أنى ما إن فرغت من قراطة خطاب الدكتور فهاب
حتى رنا جرس الهاتف . قال مجدى - لا أذكر اسمه - أنه سعيد
فى كلية العلوم . وأنه قرأ ما كتبه عن . . رشدى سعيد وإن له وأيا
فيما كتبت . ثم فوجئت به يتهاول بسباب مفلح وشاتم شنى .
قلت له يهدوء أن هذا لا يليل بالعلماء . وإذا كان له نقد على
نظريات الدكتور رشدى سعيد فليكتبها . و . .

إلا أنه وصل سبابه . فالمصنوت صانئاً . وعندى لسى . . إذ
ولفت مباشرة على أحد الأسباب القوية لنى للأولمنا . ولعمل
توايقنا يهجرون الوطن أ



فنون المسافر خليفة



غروب القطبلاوى

شارع قصر الشوق

على البيان

مسجد سيدي مرزوق الأحمدى ، وإلى جواره منزل الشيخة ،
 هذه المساحة من القاهرة القديمة تعد الركن الثاني ، الأمن في
 بيانى ، ولو أننى شرعت في تفسير ذلك لأجبت إلى صفحات
 نوزى عند نجوم الهجرة !

هذا المنحنى عند بداية شارع قصر الشوق ، حيث يدخل حارة
 غروب القطبلاوى بالنسبة لى هو المركز ، منه أنطلق وإليه أنسى ،
 وعنده أركن ، مفتاحاً عما مضى منى ، ومستجيراً بما قد يحتاجنى
 من كرب ، والسلا فى الأنى .

فى هذه الحارة أودعت طفولتى وفوتوسى ، زمنى الأول ، أحفظ
 أحجار بيوتها ، ومداخلها ، وأسئلتى فأكثرنى لأستعيد ملامح
 البشر الذين مروا بها ، الذين غابوا ، والذين غيرت مسنولت من
 ملامحهم .

نسبه الحارة عريقة مصر ، فقد من الدخول فى خط نسبه
 مستقيم ، لتخلقه التحولات لا الخط ، لم تفرج إلى تسعين ، ما
 يشبه قلنا ، إلى اليسين تستمر الحارة حتى عطفة باجنيد ، وهنا
 عشت ، تطلنا ما بين منزلين ، أما الفرع الأسير فبنتهم بقصر

كبير تروند اسمه في مسعى منذ الطفولة ، السفر عمارة ، لو
المسافر عمارة ، إليها أنقى اليوم .

أهم الأعداد عادة لعظمة عند كبير من المناجر ، أما التهارات
الرمضانية فنحن من الأبدية ، بما لا يمكن للأبصار أن
تتركه .

السطر في الحرارة التي عرفت لحوالات الضوء ، والظل على جدرانها
وأرضها في كل لحظة من لحظات الليل أو النهار ، أنقى إلى الماء
صديق عزيز وثالث كبير ، أجد نفسي في كثير مما يبدعه من
لوحات ، كما أنه أحد أبناء جبلنا الجديد ، جبل الطموحات
العظمى ، والإحباطات الأعظم ، جبل التسينات ، في إحدى
غرف العصر القديم يستقر مرسوم عظمى بوزن لطف ، غير أنني مع
الخطى أستعيد وأعلى للمسافر عمارة ..

كنا ونحن أطفال ، نلعب في الفرج الأيمن من الحارة ، وكان
حدود عالمي كله أقل بكثير من ستهن متراك ، من عطفة باجتهيد
وحتى قرن الحاج ناصيف الذي قام فوق أنقاض بيت كبير والد
ببه الثمان عبد الوارث عسر في القرن الخامس ، كان اجتهيد
القرن يعني السرين ، أولهما الانسحاب من الفرج ، من شارع
نصر الشوق حيث عربات الكارو ، وعربات نقل الرمال ذات
العجلات الخشبية واسمة القطر ، وهذا خطر ، إتساعه إلى
الخرباء ، العابرين ، كان ظهور سيارة في هذه المنطقة نائراً ،
للأسف نردحم هذه الخواري وشوارع الجمالية الآن بكل أنواع

المركبات ، بما فيها التللي ، وبمضى هذا تهديد التلثة ومبانيها الأثرية ، وزمنها ، حيث المحافظ التلث عصر عبد الأخر عصر فراق باعتبار هذه التلثة ، بما فيها شارع المزم منفلة ثامًا على هبات بأواعها ، أعود إلى سحابة الطفولة .

كان الفرح الأيسر طامعًا ، فهناك المسافر عمارة ، قصر قديم سهجور ، غير مسكون ، تحيط به الأساطير ، ليس بين الأطفال ، ولكن عند الكبار أيضًا ، فثمة من يقول إن داخله غرف بعدد أيام السنة ، وفي الزمن الأقل كان صاحبه يمتلك ثلاثمائة وخمسة وستين جارية جميلة ، كل منهم تنظره يومًا واحدًا في السنة ، وأخر يقول إن الطفولة تستمر داخلها وأنها ترمي بالأطفال الصغار تحفظهم وتزق عقابهم ، كنت أرى المسافر عمارة من فوق المنزل الأول رقم واحد ، عطفة باجتهيد ، أذكر من تلك الزاوية ملقف الهواء المائل ، وهذا الملقف يحدد لشكل العام من ناحية نوب المسط أيضًا ولكن من أسفل ، وليس من أعلى .

كانت المسافر عمارة تعني بالنسبة لي الضموض وربما كانت من قنطاط قتي نجرت عيالي في الطفولة ، ولم أدخلها إلا بعد عام تسعة وستين وتسعمائة وألف ، عندما أتيت قد كثرت ثروت عكاشة في زمنه القضي للتلالفة المصرية ، على الاحتفال بلقبة القاهرة ، ولم أرمم عند كبير من الآثار القاهرة ، من بينها المسافر عمارة ، ثم لم تخصصي غرفها كمراسم للقائين الحائزين على منح لفرح .

ولمى فلك تعاقب وجهه فربما على الحارة ، الخندية ، بعضها
 يدخل منحجها ، أو منحجها بأجانب ، ليل في الحارة الكثير ،
 لكن .. ظل هناك حجاجز سوى بين الفنانين الذين سكنوا
 الساحرة ، وأعلى الحارة ، والتظلة ، لم يكر هنا الحاجر إلا
 الفنان ، الفنان عز الدين نيب عندما لقم فترة في المكان ، والفنان
 عطلي رزق الله الذي أصبح من معالم المكان ، سواء اسمه القائم
 في الحارة ، أو جلوسه بطنى الفنان ، ولهذا المقهى في حياني
 شأن عظيم أيضاً سوف أتحدث عنه يوماً ، يعرف الأعلى عطلي
 الآن بظهرة الحامس ، الحينه ، وهو يئانه ، بظهرة شب
 الأوروس ، وشخصه الذي تمت إلى ابن بلد عطلي ، متزوج
 في المكان والزمان ، ولعطلي في سيرتي منزلة خاصة ..
 بدايات لا تنسى ..

في عام ثمانية وستين بدأت أفكر مع صديق العصر يوسف
 القعيد في ضرورة طبع كتاب لكل منا ، كنا بدأنا نشر في لواتل
 السينات ، خاصة في الملحق الأدبي للعدد الذي أشرف عليه
 الفنان عبد الفتاح الجمل ، ولقد من خلاله جيشا كله .

كان مدخوري في تلك الوقت خمسة وعشرون جنيهاً وكان ما
 بدخره يوسف ثلاثين جنيهاً .

تعرفنا بدعوة الأستاذ نبيب محفوظ إلى الأدب سير لنا الذي
 أجعل مكانه الآن بعد انخفاض من الحياة الأدبية ، كان منحجاً ،
 جرياً ، حدثنا عن مشروعه لإصدار سلسلة كتب بعنوان «كتاب

الطبعة ، بقا تلك مبهرا ، نعمنا له ما نلتك من جنهات اللبلة ،
واتلفنا على إصدار مجموعتي القصصية الأولى « لوراني شاب
عاش منذ ألف عام » ، اثر يوسف ان تبدأ بها التسرع ، ومنى
سحب إلى طبيعة بدائية في التسرع فيولا قبا ، كانت لتكلفتنا
تجاوز المائة جنيه ، نعمنا ما لدينا ، أما لتبلى فنعهدنا بسدانه
بعد طبع الكتاب الأول ، لكن .. ملنا عن الضلاف ؟

هناك أسئلة ، يمكنني تحديده للقاء الأول بهم ، وهناك من
يتزوجون بلحظتنا فيصحب التمييز ، ومن عزلاء ، عطلى رزق الله ،
لكنني بالتأكيد كنت على صفا وثيقة به عندما دعينا إليه في
مكتبة مدار الهلال ، وطلبنا منه ان يصمم ضلافين ، الأول
لكناني ، والثاني لرواية يوسف الأولى « الحفاد » .

التسرع ، نطخ إليها من تحت عيوننا التي لزمنات سمكتنا مع
الأهام ، طلب ان امر عليه بعد هذا الأهم ، في اللقاء فتلى ، قدم
إلى الضلاف ، وهناك راج بشرح كيفية تنظيره ، ثم قال إنه يهدى
إلينا هذا الضلاف دعما للتسرع ، شكرناه بالمتان وعجلى ،
وأخرجت أحمل لوك ضلاف لأول كتاب ، ولا أبلغ إننا قلت أنه
من أجمل الأطفلة التي سمعت لكتني ، لقد طبع « لوراني شاب
عاش منذ ألف عام » حتى الآن أحد عشر طبعة ، لا يمثل في
نعتي إلا لوحة عطلى رزق الله الأولى ، ليس لأنه الكتاب الأول
والأهم ، ولكن لأن اللوحة تعكس مضمون الكتاب تماما ، نفذ
إلى جوهر ما كتبت ، وعظا إحساسنا بما فابلني فيما تلا تلك
من سنونين ، ومع صدور العديد من الكتب .

بعد صدور أولئك شباب حملنا نسخة ، ثمنا على الأصدقاء والأقارب ، تباع النسخة بعشرة قروش ، وحصل المؤلف ما يلزم من مائة نسخة ليسبغها الرمالاته والغازيات وأبناء جهينة ، ومن عصابة قبيح ، سعدنا القبطي ، وبنات طياعة رواية « الخلد » ، وفتى صغرت بغلاته كلفنان عطلى وزنى الله أيضا ، ونوفت بعدنا مشروع كتاب قطيعة الذي بدأه زميلنا المذامر الطيب سحر نفا ، عرب السنوات وتبعثت الأمور ، سافر من سافر ، وطلبى من طلبى ، واستمر عطلى فى فرنسا لمدة ثمانية أعوام ، أصبح فنانا مرموقا ، نظام معارفه فى أوروبا ، ويكتب عنها كبار النقاد ، ثم أصبح أستاذا فى كلية الفنون ، ولعله العربى الوحيد الذى بلغ هذه الرتبة حتى الآن ، برغم هذا كله . . . ثم العودة إلى مصر ، لم يستجب إلى مغربات العالمية التى لوتت بواجب كبيرة فى الألب والفن ، وما لتوك أنهم فى الغرب يسعون إلى ما يريدون هم ، بينما نليل نحن برغبة حقيقية فى التكامل الفنى ، فى الجوار ، القول وما لأنسى لم أخص معه فى الحديث حول هذه الفترة ، ويشعر هذا تصفا ، للمعنى فى كونه الماثية حتى ليغيب إلى أحيانا أنه يرسم بفضوه ، بغير هذه التفاتية أجد فى حديثه أحيانا جدا تعكس سراجت باطنية خاتلة ألق فى مواجهتها صامتا .

لم يعد عطلى فقط إلى مصر ، وإنما لمر أن يعيش من فنه ، من روحانه ، وأن يهجر الصحائف التى عمل فيها سنوات طويلة ، وكانت لمر عليه دعلا لا بأس به ، خاصة أنه صاحب تجربة

طريقة في الرسم للأطفال ، واحتراف أنتي أنتسي إلى الجانب المقابل الذي يمثل الطبيعة الساكنة في المجتمع المصري ، الشهري ، القديم ، ربما تاج فرعون عمل يمكن حتى ربح مال ولهم مناه ، لكن المصري لا يميل إلى المجهول ، إلى المفكرة ، اللهم أن يكون هناك مرتب ما ، في نهاية الشهر ، أو داخل ماله موعده محدد ، بعد حتى الحصول ويحده ، والميرى طبعًا هو الأضمن ، ألا يقول مثل الشمس ، إن سابتك الميرى الرخ في ترابه ، لأن له طبيعة ثابتة ، الضمان ، وخلال نظري في أعمال مختلفة كنت لاحظ ذلك القلق الذي يبدو دائمًا على العاملين بمكافآت ذاتيًا بنشاطون :
 ينشئ ١٩

والدرجات التي يرفق إليها الموظفون أدق تعبیر عن هذا التناحر ، أو توفر الضمان ، من الممكن أن يبدو على نشاطي أصحاب المرتب الثابت ، ولكن مهم جدًا هذا المبلغ الضخم الذي يأتي في موعده معين ، دائمًا مثل فبضان النيل السنوي ، صحيح أن هذه المقاييس اهتزت في السنوات الأخيرة ، فالمرتبات مهما ارتفع شأن العمل لا تفي بالضروريات مع التضخم وسائر كوارث الاقتصاد ، لكن اللهم أن هذا المرتب الشهري يضمن لسفهد الثابت ، من إيجار بيت ، واستهلاك كهرباء ، وبعض الفستون الصغيرة ، قد تكون جنهات قليلة ، لكن اللهم أن تأتي ، والأهم .. تلك الموعده الثابت ، صحيح أن معظم الموظفين أصبحوا يعتبرون هذا المرتب الشهري مثل

الإحسان ، بعد انتهاء يوم العمل يسارعون إلى غسل إيمانهم لير
 نشاط آخر يفر ما يساعد على مواجهة العبء الهيكلي ، أما
 العامل الذي لا يتقاضى أجرًا ثابتًا ، ويخصص منه اليوم إذا
 غيب فيطلق عليه « ظهورات » ، ولا أخرى أصل التسمية ،
 أما إذا كان بلا عمل ، ويطلق بوزنه يومًا بيوم فيسمى « أوقاتنا »
 من السعي وراء الرزق .

نعم . . . فمن ألقى أنواع النشاط الإنساني ، وحياتية الفن عرفوا
 أنواعًا شتى من شطف العيش ، بعضهم ماتوا جوعًا ، والآن تباع
 لوحاتهم بعشرات الملايين ، ولكن هؤلاء لم يهجروا مهنة غسلوا بها
 جوعًا كما نرى على عندما نتأمل بطرارة من .

في فراق مرسىه المثل على فناء المسافر عانة حيث الهدوء ، قادم
 من الزمن العتيق ، حدثني عن تجربته ، عن السنوات الأولى
 الصعبة ، عن تفهم أسرته الصغيرة للفرار ، عن ولقاء زوجته إلى
 جواره .

طلبت منه أن يكتبها إضافة إلى ما كتبه عن تجربته في فرنسا ،
 نشرها بالإصدار الجديد لدار أخبار اليوم « أخبار الأتق » ،
 فالتجربة غنية ومثيرة ، يمشي على الآن من فته ، الحمد لله
 مستورة ، لقد نجح إصداره ، وأثمرت قوة إرادته ، ولكن الفضل
 من قبل ومن بعد تجربته الفريدة ، وعالته الذي يتجسد في العديد
 من اللوحات الرائعة ، كل منها كقول متكامل ، فيه رؤية فريدة
 الواقع ، للمرآة ، لتضاهي عناصر الوجود ، يحلق ما السعيته

التصريف باللون ، ، التفتت إلى الجمهور ، إلى حقائق الوجود من خلال علامة صعبة جداً ، هي الألوان الثلاثة ، ألوان مضبنة ، مشعة ، مرلوغة كالشوارذ فولرنا على القلب .

من هنا كنت أصفي أحياناً إليه ، وأنطلق إلى الفرج الحاريس من خلال فرجلت الشربة ، محاولاً تفادي النظر إلى الفناء الذي تطل عليه جدران الجزء القبلي من المسفرة خائبة بما تحمله من شروح بارزة وحالة صعبة بعد الزلزال ، كنت أحاول الاستعانة باللون التي وجدت فيها جوهر الشعر ، ورقة ما لا يمكنني التبرج به ، كنت أرحل إلى زماني في حلوة توب الطيللاوي ، زماني الأول الذي تلف فيه المسفرة خائبة وكثاً ونبهاتاً ورمراً خاضعاً منيراً للخيال ، ومعهمي الأمم أن هذا الزمن لن يعود أبداً ، لكنني أجاهد دائماً ، وبالكتابة كي ألتصق ببعضاً من ملامحه ، وإذا حلت لحظة أتكف فيها ، فإن تلك حتى صممتي الأبدى ، والاعتقالاتي الشاحب ، الغريب ، بلانما كما أحد هذه الألوان التي يصعب عليّ إيمادتها في إحدى لوحات هذا الفنان الكبير .



کلمہ .. یکلمہ .. تکلیما!



طلعت في صباحه :

عندما التقى الأتوبيس القادم من القامى متجهًا إلى العباسية
عن طريق الأزهر ، عندما التقى من تحت المنحدر إلى الأزهر
مسي مباشرًا مواجلاً سيره في شارع الخليل أو بورسعيد كما
يسمى الآن .

كنت من ملهى ليلًا ما جعل عدد من الواقفين يتظلمون أثناء
تناولهم للقهوة ، تجاوزت الزحام إلى السائق مستأثراً عن
سبب الذي جعله لا يدخل إلى الأزهر ؟

نظر إلى ثم إلى الطريق الخالص بالمركبات والباعة الجائلين والقرارة ،
هذا الزحام الذي يتزايد قبل الإفطار الرمضاني ، قال بلا مبالاة ..

« لن أدخل الأزهر .. طلعت في صباحي أمشي من هنا .. »

لم أجابه ، وانتظرت حتى بلوغة ميدان باب الشمعية وتوقفه
بعيداً عن أي محطة ، بدأ مستهيباً ، ساعياً إلى الشجار ، لم
أظاهر بعد نزولي بشيون ولم تسيرة كما يفعل بعض الأندية
الذين يتظاهرون بالأهمية والتمتع مظهر السلطة بأي درجة من
مراجعتها ، لم بعد لتلك رجة ، وإنما كان الأندى مهتماً حفاً فلما
لم يركب عرباً أجراً ، وإنما كان مهتماً حفاً ومصابيح جاء فأين
عرت الحاسة ؟

كل ما فعلته أنني عدت اقرأ اللانة المعلقة على الأتوبيس ، لم
أطير ، القامى - الحسين - العباسية ، فكرت في العبرين
يتظلمون عند محطات الأزهر والدراسة ، لكن الأتوبيس لن يصل
سبب بسيط هو أن السائق طلعت في صباحه ؟

الجمعة إلى شارع السهر الجيوش مهوداً طول المسافة التي يجب أن
 نطرحها حتى يبلغنا الحسين بمروري في شارع القصر ، والذي ينتشر
 خلال عميلة ، ونهب عبره سمات الناس بعيد قبل الغروب ،
 نطش أتي من زمني للتفطس بلحظة بهجة أطلت ، لكنني لا بد أن
 أسرع فتنة لصفاء يتظرون وأنا المستول عن الحيز في مطعم القديان
 لشهر . رحمت استميد لهجة القديان والاستهانة ، وسلاخ السائق
 لرحلة وملايه البالية ، ثم بعد السائق لنقل العام أو الفصلين لزياد
 خاصة بهم ، أو حفاتب جلدية مغطاة بجمعون فيها الإبراد ، ورحمت
 نكاد نفس : ماذا طلع في دعائه بالقبض ؟

لقد حاد عن خط السهر المحدد له وسلك طرقاً أخرى ولم يحباً
 واحتجاج بعض الركاب لو نظرات القليل في عيون بعضهم ، إنه
 جلس وراء المقود عفا ساعات يوماً وسلك نفس الطريق ، ومهنة
 لسائق في الوعيدة التي لا يمكن معها الكسل أو التزويج أو القول
 لشهر ، فونت عليها بكرة . . . ، هذه مركبة ، سواء كانت حربة أو
 ترام أو قطار نطسوم من مكان وتصل إلى مكان آخر ولا يدخل ،
 ذاهبك عن زحام المدينة الذي يجعل بعض المسحاب العسرات
 الخاصة يضحون من القيادة لساعة أو بعض الوقت ، ما لبث أن
 هو مزروع على كرسي القيادة لمدة سبع أو ثمان ساعات ، هل أريد
 لسائق أن يخرج عن المسار المحدد له مرة ؟ هل هو نوح من التمرود
 نخض ؟ هل هي فكرة مفاجئة واتته ، ألا يدخل شارع الأزهر
 يخض من شارع آخر ؟ ، لقد كان محققاً ، واضحاً وهو
 يقول لي : طلعت في دعائي . . .

لكنه إذا لزم التحدي فأين من يتحدها ؟ ، زمان كان الملتقى
 يبعد إلى تلك المركبات وكان ظهوره ذا عيبه ، عند الركاب وعند
 الفصل والسائق ، نائراً ما لزمي الآن أحدهم ، وإذا ظهر فإنه يبدو
 رت الهيئة ، متعب اللامع ، لا يتسل مظهره مع كلمة «ملتقى» ،
 زمان .. كانت الحلة الصفراء ، وغطاء الرأس يعطيه عيبة ما ،
 إنك .. من يتحدى هذا السائق ؟

الركاب ؟

معظمهم بظاء ، لا رغبة عند أحدهم في التسجل أو إثارة
 المشاكل خاصة في هذه الساعة التي تسبق الإفطار وكل منهم
 حريص على الوصول في وقت مناسب قبل الغروب ، أما الواقفون
 على الحطّات التي لن يهلها الأتوبيس فمن يسبح شكواهم إذا
 رفعوا الصوت .

من بعض الآن ، ومن يسبح من ؟

بل .. من يحاسب من ؟

هل يعي السائق تلك حقاً ؟ هل يعي أن بعض الكبار ينظرون
 ويسبح عما افتروا ، لكننا لا نسبح عن حساب جرى أو عقاباً ثم ،
 وماذا يعنى الأمر بالنسبة لما نرده الإشاعات المفزعة إذا ما تورق
 الأمر بمجرد خروج مركبة عامة عن الخط .

لا .. لم ألتج ، يبدو أنني أتمسك للسائق حقاً بتأثير تعاطف
 رومانسي قدم مع الطفلة العامة ، وماذا عن الآخرين المتطرفين بلا
 حدود عند محطات لن يمر الأتوبيس عليها ؟ وجدت نفسي
 مدخراً إلى القارئة ، في العواصم الأوروبية التي زرتها كنت أقرأ

مراعيه الأتوميات مدفونه على لوحات مثبته إلى الحطاط . توضح
ساعة والدقيقة ، بل وأحياناً الثواني ، وكثيراً ما كنت أطلع إلى
ساعة متحدثاً ولكن .. في الوقت المحدد لنا يصل السائق
الأتوم الذي يبدو عذراً ، وأتلفاً وهو يلود المركبة ويقوم بتدوير المحلل
أيضاً ، وليل بلوغه الحطة يعلن في مكبر الصوت عن اسم الحطة
التي ستحل فيها المركبة .

عند بلوغى نية فلارون اجنست ، قلت لىسى . هل ستعمل
مثل البعض ؟

تذكرت أحد المعارف ، بعد سفره لأول مرة إلى الولايات المتحدة
تسبب بالقدارة ، فإنا رأى صفتها بدأ ساعطاً لم يذبح الحديث
مناسبة وبدون مناسبة إلى القدارة ..

« هل رأيت الزبالة في الشارع ؟ .. هنا لا يمكن أن تراه أبداً في
أمريكا .. »

« هل ذلكت طعم الزبائى الذى يعلنون عنه .. هل تسمرت
بمرارة .. مثل هنا لا يمكن أن نجده في أمريكا .. »

لا .. بالتأكيد لن أصاب بداء القدارة هنا ، وإنما سأحاول أن
أفهم في ضوء ظروفنا ، عشت إلى السؤال الجبر . ماذا طلع في
دماغ السائق ؟

استبصرت كل ما دار بخاطري عن الحسرة الداخلية
والاجتماعية . لا داعى لتضخيم الموضوع أكثر من اللازم وإعطائه
أبعاناً فلسفية . إذن .. ماذا ولماذا طلع في دماغه ؟

هل تساعدنى اللمعة ؟

وحت استعبد ما عرفه عن كلمة « طلع » ، المقصود بطلع ، طلعت الشمس والقمر والنجوم والطلع : الموضع الذي تطلع عليه الشمس ، وذلك : نسمُ العُبا من حيث يُطَلَعُ القَبْرُ . وطلع فلان علينا من بعيد ، وطلعته تعنى وزيته ، يقال : حيا له طلعتك ، وطلع عليهم : اتاهم ، وطلع عليهم تعنى حيا أيضا ، وطلعت الرجل تعنى شخصه وما طلع منه ، واطلع رأسه إذا شرف على شيء ، واطلعه على الأمر : اطلعه به .

المعاني عديدة يتسوق عنها المجال ، لكن ما نؤون في القواميس القديمة ، لابن منظور وابن سيده والفيروز أباى لم يقدم إلى أى مساعدة في تحديد المعنى الذي أوجهه السابق ، خاصة أن الخروج لم فى دماغه ونجاء ، مرة أخرى استعملت ملامحه ، وعلى البعد اكتشفت فيها تحدياً من نوع آخر ومغامرة ، بل ، واستهانة .

التحدى لنظم مستقرة أو مقونة ، بجسدها الخط الذي يملكه الأنوبيس والعلن عنه من خلال العديد من الفلاتشات ، سواء بالخطات أو على الأنوبيس نفسه ، وهذا الخط جزء من خطة وضعها الهيئة لتغطية القاهرة بشبكة مواصلات .

إذن .. فالتحدى موجه إلى هذا التسلسل ، إلى تلك الخطة ، وعندما تقول أن فلان « طلعت فى دماغه » فإن ذلك يعنى الخروج عن الخطة ، عن الإطار ، وهذا لن يجد السابق بطرقه ، بل كتيرون وعلى مختلف المستويات ، بدءاً من القيادة العليا فى تاريخنا العربى القديم والحديث سنجد أنها بشكل أو بآخر «طلعت فى دماغ أحدكم» ، أثناء خطوة أحدكم أو عزائه أو اجتيازه المجال الجوى لبلد ما ، يتساءل أحياناً بعض القراء فى

يريد الصنف من سبب التفسير المفاجئ في وصف شارع إلا
تفسير الأسفلت بالحجارة ٩ ، وكثيراً ما يكون وراء بعض هذه
الظواهر والتفسيرات - إذا استبعدنا الصلحة - سبباً أدى إلى
ظهور الفكرة في الدماغ .

وإذا كان الظهور المفاجئ يعني الحيد عن النسق ، الخروج عن
الخط ، فإنه يعني أيضاً الاستهانة ، وعندما يضعف مبدأ
السلطة ، عندما يهب الروح للمخارج عن الأعراف ، عن المجتمع ،
عن القيم ، عندما يتخلى الحساب ولا تسمح عن أي جزاء ، ثم
توجه على القطن ، عندما تتعدد حالات الخروج ، غير أن الظهور
المفاجئ في الدماغ أمر مستحب في الإبداع ، وما من فكرة غبية لم
تسرع إليها إلا وعرف صاحب هذه اللحظات المباشرة التي تعد
كالبريق الحافظ ، وخلالها تتبلور فكرة ، لو يكتمل حل . غير أن
الظهور إذا لم في شأن بعض المجتمع أو الناس ومصالحهم فإنه
يصبح مريباً ، مثيراً .. لأننا كخيرتي إذاً السابق الذي قال بكل
سلطة واستهانة بزوجة يتحدى خاصي ..

« طلعت في دعائي أمشي من هنا .. »

حياتنا لقد من الحمر الظهور المفاجئ في الدماغ .

لهم!

جرت الحوار بين صديقتين ، وأصغيت إلى بعضه صديقة ثم
انصرفت إلى أفكاري الخاصة .

كانت الأولى وهي شابة تشكو لصاحبها ما جرى من زوجها ، إنه
يعمل في أحد البلاد العربية وبعد غيبة تطارب العام عاد ، وعندما
ولغا في انتظاره باسمه ، وقد اتخطن كامل زينتها صاح خاصياً ..

إليه نه .. إن كنت تعمل فيها فبلم ؟

كانت ليرتها شاكية فهي لم تسع إلى إخطابه .

لذا يكون حيداً محجوراً في سواد الحموالوي ، ولقد سباب
بجملته ، أعرفه بالتمام للخطر ، أخذ كل منهما على الآخر ، فجاءه
صاح الشاب :

« نهارك مشي فاهت .. ما فعت ناوي تعمل لي فيها فبلم .. »

« في عربة ميكروباس راح أحسد الركب في النوم ، لرتفع
شخيره ، كان شاباً يفترب حمرة من الثلاثين ، بدأ مرحلاً ، عند
اقتراب السيارة من مستشفى العمازي لسك جاره بفراجه ، بدأ
يضح .. »

« اصح يا أخ .. مش قلت إنك حاول تنزل المستشفى .. »

بدأ الشاب فاهتاً من نوم عميق ، كان ير بهله الطحظات
ففاصلة بين قبيلة والنوم حيث تساهي الوجوه والفتحات
الزخبات وعملها وما يفتد الإنسان وعيه بالزمان والمكان ، غير أن
شباب صاح متحسراً ، متأسفاً ..

إليه بس كده .. ما القيلم كان بالألوان وأخر حلاوة ، فطعوا

القبلم الخلو ووجعوني للقرق ناني .. »

ثم نلت حوله بسرعة وطلب من السائق التوقف وغامر العربة
مهولاً إلى مكان واحد ما .

« في ميدان السيدة نفيسة قرب منتصف الليل ، حيث لا
تقطع الحركة ويأتس الزبون بالتمام الطاهر ، يجلسون جماعات
حول المنشد الصغيرة يجلسون قشاي والكهوا ، قرب مدخل

المسجد جلس رجل في منتصف العصر ، وكان يتحدث إلى سبعة أو ثمانية أشخاص ، بدأ واضحاً إنه يتألم شيئهم ، وأنه سألته في طريق الصلوة ، كان يتحدث عن المراحل والسلوك واللبس لطرف ثم يكرر ..

« أما الدنيا وما يجري فيها فيلزم لها قول آخر .. هنا فيلزم لا علاقة لنا به »

ويقول في موضع آخر ... « بعد تلك دعواتنا من هنا فيلزم .. »
كان لفظ فيلزم يعني هذه الأمور الدنيوية وما يجري فيها ، ولكن اللفظ يكتب دلالة مختلفة طبعاً لطرف الحوار والمكان والتحدث ، وفي جميع الأحوال لا يعني الأمر المعنى المباشر للكلمة ، إنما يخرج بها إلى دلالات أخرى يمكن تحديدها بعضها أحياناً ويصعب ذلك في مرات أخرى .

يقول الصديق الفرح توفيق صالح إن كلمة « فيلزم » حلت مكان لفظ « حدوتة » في الزمن القديم ، لأن الفيليم أصبح حدوتة العصر الحديث ، وهذا هذا التفسير معقولاً إذا تذكرنا العبارات التي تقول :

« إنك تتعمل لي حدوتة ؟ »

أو « سبنا من الحدوتة دي .. »

نعم ، فيلزم هو حدوتة العصر ، هو بديل الحكاية ، وهكذا تستجيب اللغة العامية بحساسية عالية للتغيرات ، وظروف الواقع ، ربما يبدو هذا التفسير معقولاً ، إلا إذا كان هناك تفسيرات أخرى ، فربما بلغت بعض أسرار حياتنا حدك لا يصلح من

اللامعقولة فرأى فيها القوم أسورا تستعصي على التصديق
والاستعجاب فظنوا أن التوضيح كله عبارة عن « فهم » ، لكن ..
إذ صح هذا التفسير فإن متقول اللفظ لم يحدد مفعله ، ولا توجهه !!
وهنئ بدالها ،

قال سلم الخليل : صار إلى أبو العنابة فقال : جئتك وإرا .
فقلت : مليون منك وشكروا أنت عليه ، فقلت : فقال : إن هذا
ما يشتد علي . قلت : ولم يشتد عليك ما يسهل علي العمل
الأسب ؟ فقال : لعرضي يقين صدرك . فقلت له وأنا أخصك
وأعجب من تكابره « رمى بدائها وانسلت » . فقال : دعني
من هذا واسع مني أبدأ . فقلت : عذت ، فأشدني :

تعرض الموت كل لغة عبيد	يا قومى للموت ما لوحد
عجبا أنه إذا مات نبت	عذ عنه حبيبة وجفد
حيثما وجه أسرى ليغوت له	حوت فالوت واقت بحفد
إنما النسب لا ين لهم ناع	قام من عارضته تم نعد
من نعى الحى فأعرق فيها	مات من سهل إن ينال عذ
ما أذل أسيلا من أخصر لنا	س لا لاله وما النسب
إما تنظر العيسون من لنا	س إلى من تزجوه لو نعد

ثم قال لى : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن
لداؤها سرفنة .

فقال : والله ما يوحى فيها إلا الذى زعمك فيها .



المطبعة الدولية



الطريق الحافى لدرجة الإبراهيمية ، السبابة تنجده جنوباً إلى
عمل قصعيد ، التخييل ، الحضرة ، الجبل يبدو على القصة
الأخرى من خلال الفزاهات الأبدية . الملح لالتة عشبية ،
خضراء اللون ، عليها كتابة بحروف بيضاء .

« اللهب السياسي الدولي »

إدارة الحاج أحمد عويس وأولاده

طلبت من سائق سيارتنا التي تحمل علامة واسم نفوسا .. اختيار
اليوم أن ينوقف ، تراجع قليلاً ، توقف أمام اللهب السياسي
الدولي ، نطلع إلى مسائلاً :

« هنا ؟ »

كانت لهجة استنكارية ، تعني .. هل ستجلس هنا ؟ ، أشرت
إلى الثلاثة ، قلت :

« أقم تقرأ .. إنه سياسي ودولي .. »

كان اللهب عبارة عن وكن بسيط مقل على الدرجة خضراء ،
الظلال ، حمرة جدران من البوص ، داخله ثلاثة مقاعد عتيفة ،
ودكتين من الخشب ، وكانت رائحة الشاي القوية ودخان العسل
الذي يقدم في ثلاث لوجيلات فقط متواضعة ، موقد قدي ،
أكواب قليلة ، كان الحاج أحمد هو الذي يعد الشاي ، ويوقد
الخمر من اللازمة للمحفل ، ويغسل الأكواب ، لم أر شخصاً غيره
في المكان ، رحمت أنامل ملامحه المبهمة ، أسئلة عديدة راحت
تنداعني في ذهني ، لماذا أطلق الحاج أحمد (بعد حوارتي معه
علمت أن الحق عنده ما زال أسنة لم تتحلق بعد) هذه الأوصاف

لقد تعكس مبالغة لا شك فيها ، فاللهي لا هو سبحانه ولا
مولى ، لكنه قال في الانتصار وبكلمات لليلة أن بعض السالحين
الأجانب الذين يجوبون قبلاة مشيا أو يستخدمون وسائل
المواصلات الرخيصة ومعظمهم من الطلاب أو الشباب الذين
يحملون أمتعتهم وزيدهم معهم على ظهورهم يجيئون إلى اللهي
أحيانا ليحتسوا أكواب الشاي الشليل ، ثم يمشون ، تكبرت .. ألا
يدو هذا سيرا لإطلاق صفة الدولية والساحية على الكنان ؟

تذكرت لدينا من أصحابنا لا أراء إلا مصحونا ببعض طلاب أو
طالبات لتسام الأتب العربي في الجامعات الأجنبية ، يترجمون له
نصفا أو بعض نصوح كجزء من مراسلهم وقد نشر في مجلات
أو دور نشر محفونة ، لكنه في حديثه يبدو مهتما دائما بهذا العدد
المحدود من القراء الأجانب ويتحدث عن وصول لدينا إلى «العالية» .
«العالية» ليس حلما يراود الكثيرين ، سواء كان لدينا أو قننا
تشكيلنا أو مثلا أو غيرها ، لكن قائلت لبعض وهو يحمل باحتراف
نصائح صغيرة من صحف أجنبية ذكر فيها اسمهم ، وعشرونها
شبالا على «العالية» ، «ألا يراي تلك» الدولية «و» الساحية » ،
تذكرت عارف فانون كنت أجلس إليه في مقهى التجارة بشارع محمد
على ، كان يحفظ بجد نسيم ، داخله ورق أبيض ، وعلى ورقة
واحدة الصق عمرا صغيرا نشر في الثلاثينات عنه بوجه «الأتين» ، عدت
لحمل الخراج أحمد ، لقد حلف وجود الخراس من خلال تلك
الكلمات «الخارج» الدولية «الساحية» «إلرا» .. بل إن وصف
الكنان بأنه ملهي فيه مبالغة ليس لا انتقاد ملاحظ اللهي ، بل لأنه لا
يلهم القلوب الذي يستمد الكنان منه اسمه ، قصد القهورة .

لم أجد له طويلاً ، فالرجل بدأ قائماً بحاله الخاص وغير قابل
لأستة لا بينهم بواعثها ، كما أنني خشيت أنه أنني والعميد بالخط
أسر منه ، فليس تلك من طبيعتي مع لومس البسطاء ، فسامعني
إلى الزبون .

ليس إحضار « لقوة » من شاي وسكر وغير ذلك وحساب
الزبائن نوع من الإهانة ؟ ، لكنني لم أعرف أين لولانه المتار إليهم
في الثلاثة .

بالأساليب فرجل لا يقصد الخداع ، الخيال والضحك جفك والأمر
بين ، مجرد مطايع وأكواب ومساحة مفتوحة ، فمن يصدق أنه
سياسي فتولى فالتسولية تلح على الزبون لأن كل شيء مكتشف
هنا ، بحكس أماكن أخرى ومشاآت ، بل ومؤسسات ، تختفي
وراء الجدران ، بينما تعلق اللافتات أو الإعلانات سواء كانت
ملفوفة أو مسموحة أو مرتبة عن أنباء لا علاقة لها بالحقيقة ،
الظاهر شيء ، والباطن شيء آخر .

وإنما عندما ألقف أمام طواهر عديدة في حياتنا تبدو فيها المبالغة
بالقياس إلى الواقع الفعلي أتذكر الحاج أحمد ولولانه ، ومطباء
السياسي فتولى ، وفي الأسبوع الخامس تذكرته مرتين عديدة ،
خاصة عندما كنت في الطريق إلى الفرقة .

الخطوة الدولية

وغم أن عدة سنوات مضت على اللقاء بينهم الحاج أحمد
عوض ولولانه إلا أنني استمعدته بلوة وأنا ألقف صباح الثلاثاء
الخاص مستعداً لركوب السيارة المنجبة إلى الفرقة .

إنها الخطوة الدولية ..

تقع في شوارع الجلاء قرب فندق هيلتون ، القلائد تشبه إلى حد ما شركات قطاع عام تعمل من هنا ، لكل منها كتك نحسي لقطع وحجز الفنادق ، وفوق الرصيف صفوف من المقاعد المصنوعة من البلاستيك ، حافلات ضخمة من أحدث طراز مجهزة للرحلات الطويلة ، بعضها داخل مصر ، ورحلات خارجها ، إلى الخليج ، إلى الأردن ، إلى سوريا ، إلى استانبول .

حقاً .. هنا راجع أن تبدأ من القاهرة هذه الخطوط الدولية ، ومن الطبيعي أن تكون نقطة الانطلاق تلك المحطة التي هي بالطبع وبحكم الوظيفة والمسور الدولية ، سياحية .

ولكن المكان لا علاقة له بالقبولية أو السياحة أو النظافة أو الظهور الحسن ، حتى في الحد الأدنى ، مساحة الأرصيف ضيقة ، والمقاعد متسخة ، ورغم وجود ما يشبه الطقات إلا أن الهواء النديع عبر السور الذي يفصل الرصيف الدولي ، الضيق عن الطريق الخليلي ، ينفذ سباتسوا إلى الأجساد ، ترى .. كيف تكون الأحوال في الأيام شديدة البرد ؟

لوجد ثورة مياه واحدة ، كتب قولها بخط رديئ .. للعاملين فقط .

حقاً .. ماذا العاملون فقط ؟ ، والركاب .. ألا يلغون حاجتهم مثل العاملين ؟ وماذا يمكن أن يحدث إذا غطت الحاجة على كاتب ، طفل كان أو رجلاً أو امرأة ؟

إنشاء انتظارى المحافظة توت حول الرصيف الدولي ، طبعاً .. اكتشفت أن الركاب يلغون حوائجهم خلف الجدار ، ولكن

الأحزاب أن ثورة المياه الفضة للعاملين فقط تصب مباشرة في
حفرة بالطريق الخلفي ، ولنا أن تشكيل الخلفية الدولية التي
يستخدمها الآلاف يومًا منطلقين إلى داخل مصر وإخراجها .

تذكرت شعور مستوى الخدمة في المطارات خلال السنوات
الأميرة ، وأجهزة التليفونات التي بدأت الأخطال تظهر فيها مرة
أخرى بعد لحسن ملحوظ ، قلت لنفسي وأنا أقف فوق وصيف
الخطة الدولية الذي لا يزيد عمره عن شهرين بينما تتراحم
الحافلات الضخمة مثل القديسوارات في الكنان القليل ، قلت
لنفسي : وماذا ننظر من مرفق التواصلات سواء كانت برية أو
عائمة أو بحرية ، محلية أو دولية إذا كان السؤال الأول عن هذا
المرفق قد أنسى في مولده أكثر من خمسة عشر عامًا ، ماذا يمكن
أن يعطيه الإنسان إذا أنسى هذه اللغة كلها في موقع واحد ،
الإدارة إذا لم تتجدد ، إذا لم تعرف تغيير الفضاء التي تجري في
الشرايين فإنها تبيس وتركد ، وهذا ما يجعل التغيير ضرورة
حتمية ، وما قال البعض إن تغيير السياسات أهم من تغيير
الأشخاص .

أقول عن خبرة وإدارة بتاريخ مصر ، وطبيعة الإدارة فيها ، أن
الشخص هو الأساس ، الإدارة هي الجري الثابت للنهر منذ المصور
القديمة ، والبشر هم الذين ينظمون هذا النهر وجرانه ، فإنا ونهوا
لو نفاصوا قلت التيار ، وانقطع هاترا ، معرفنا ، عندنا لا يمكن
لنا أن نضفه لا بالتقوى ولا بالسباحي ولا نعرف من الذي
يدبر بالصف ، الخراج أحمد لم لولانه لو . . العاملين فقط ؟



مشرقِ کارفِ انا میر؟



أحمر ..

أخضر .. وتألقت لعبور شارع الجلاء القزوح ، المرتبك ،
والذي يحار الإنسان - خاصة الغرب عنه - في فهم مسارات
المرور فيه ، دائماً لعبره بحفر ، حتى مع إضاءة الأخضر لأننى
أعرف عدم احترام الكثيرين للإشارة ، رغم وفوق مساعد شرطة
(أصول) ينظم المرور بحسم وكفاءة ، وكثيراً ما أرغب ملاحظته في
الصباح وهو يؤتى واجبه بثقله وألمه .

تجأة .. انطلقت عربة ملاكى بسرعة كبيرة متجاوزة السيارات
التي تولقت وسهدة المناهذيين بقا على بعضهم رعب حليلي ،
أحلق أصول سفارته ، وفي حركات منسبطة لتسرع للمنه وكتب
رقم سيارة .

بالتأكيد .. لمح ساتقها كتابة النعرا ، تصاعد صوت القرطعة
للطابخة ، توقفت في مشرق الطرق ، نزل منها رجل في منتصف
العصر ، فوامه « انضاحي » ، قلبت الرقبة ، منتفخ الصدر ، هذه
الهدانة التي نتمتع فجأة ، بسك بسطة مفاتيح ذهبية ، لم يهتم
بإغلاق باب العربة حديثة الطراز .. انه مباشرة إلى أصول ..

« يتأكد التسرة له ؟ »

نظمت إليه أصول بقيادة عسكرية مستدومة ، في هذه اللحظة
انتهت إلى ملامحه البيضاء ، رغم قلمها وظهور محاولات مد
عصرها من رنى وإحاطة شياطة إلا أنها كانت نظيفة ، مكشوفة ،

بمكس معظم جنود الشرطة الذين تبدو ملائيم للبرق رتة ، بل
وفي بعض الأحيان مزقة تنير المنطقة ا

« واضح إن سعادتك كسرت الإشارة .. »

صاح الرجل المنظر بلهجة امرأة توحى بالغرور والكفاة ..

« بصي .. شوف بتكلم بين .. »

لم يفقد الصواب أعصابه ، أشار إلى السيارة المتروكة في عرض
الطريق .

« ودي مخالفة كمان .. »

عنا الزناد الزعيق ، حطاً .. حجرة خفيفة ، متلكة ..

« اسكك إيه .. وروني نورتك .. »

بنفس الهدوء الجلب الصواب

« أنت تعطل المرور بعد مخالفتك .. »

« اتكلم عقتل .. »

استدار الصواب لينفتح في السيارة الذنأ للسيارات أن تنطلق ، فهو
إن معظمهم كان يتابع الحوار ، بينما توقفت بعض المارة الذين أبدوا
تعاملاً متلي مع الصواب القديم الذي يعرفه كثيرون من أصحاب
السيارات وسائقى عربات الأجرة وقتل العام ويأخذونه النحية
والهزلة في الصباح .

صاح الرجل المنظر

« أنت مثل عارف أنا بين ٢٢ »

الصفحة تردت ثلاث مرات ، بطلت حركة السيارات ، الهمة
الرجل نحو عربة زاهياً ..

« أنا عويك .. حشوف لما تعرف أنا بين ٢٢ »

استمر العزل في أداء واجبه بهدوء ، وكبرياء ، بينما ارتفع
صوت احتكاك المجلات قبل انطلاق السيارة الخلفية ، وعندما
قلت عيناى بعيني العزل الجهدتين ، ابتست متعاطفاً

« ولا يهيك ... »

قال بهدوء مليكاً في الحياة ..

« عندي أولاد فله .. »

غيرت الطريق متسهلاً وعندى حال ، لم لنا أن الهمة مباشرة إلى
الكتب ، إذا أويت إلى منهن بلغ في مواجهة مبنى اعتبار اليوم ،
وحت استمد التفاصيل .

« متي عارف أنا بين ٢٢ »

تردد هذه العبارة كثيراً في الحياة اليومية ، خاصة في الطريق
العام ، أو بعض وسائل الاتصالات ، ويطغى ما تعكس عطلاً في
الحياة الاجتماعية والبنية ، يطغى ما تعكس الفراغ الداخلي
للصنفة بها ، لأن الإنسان الذي يعرف الناس هو « بين ٢٢ » لا يظن
عن نفسه بهذه الصورة الفجة ، والإنسان الذي يعرف هو « بين ٢٢ »
لا يستعز في نفوسه ولا يهمل على الضعيف ، سواء كان هذا

الضعيف لئلا مرتباً ، لو موظفًا بسيطًا ، لو عايرًا للسبيل على
تعبه ، وحتى الغلب الأعم لأن الإنسان الذي يصبح مشتتاً ،
مثل عشارف أنا مين ؟ ، يكون لا هو ، ولا مين ، وانعله
ذريع ، وظاهره منلن ، لئنا كالتطيل الأجوف .

لذكرت والقلم لمراتها منذ أسابيع عن سبقة شابة اصطفت
سيارتها بسيارة القودعا سبقة أخرى ، ولعلت بينهما مشابة ،
صاحت الشابة الأولى ..

« أنت من عارفة أنا مين .. أنا حطيت بابا بوريكني .. »

نفس المنطق ، مع الإحالة هنا إلى « بابي » ، مع أن الإعلان
عن تلك نية إعلان بالضعف ، لأن القيمة ليست في الشخص
نفسه ولكن في الأب لو الأم لو في علاقة ما بشخص ما يحتمل
مركزاً لو موظفًا يمكن أن يلحق به الأذى بأخرين لإرضاء
هو بصرفهم ، وبالطبع يكون صاحب القودعا هذا هو الذي لا
يقول « من عارفة أنا مين ؟ » لأنه « اللين » نفسه ، وإذا كان «
مين » هذا يملك القودعا على التدخل والإبقاء فإنه يستطيع أن
يتجاوز المجتمع بقواته وأمراته لإرضاء نزواته ، والخطوات من خلف
في طريقه .

مملكة عمارات شهيرة تعب إليها أمين شرطة يحضر متخلفة
لواجين قبتاء ، ولخصت استلامه ، ولعلت :

« لعب أكلتلك مين يا بني .. »

الشكلا في ٤ بين ٩ ٤ هنا .

أنت مثل حرف أنا بين ٩

أحب أكلتلك بين ٩

عكنا تعكس اللغة الفلات المجتمع ، وعطلة ، والاستهانة
بالقوانين ، والتنظم ، أما الهجاء الصول قلن أنساعا أيك ، بل
الحق .. إنها أوجهتى ، الفنى بما فيها من احتجاج مكتوم .
وتقول غير مطن ودعته لما صارت إليه الأحوال .

٤ عندى أولاد لله .. .

ثم أسأله ، ولكنه يحصل صلاح مشتات الآلاف من الأبناء
السطاة الذين يفتون مثله في قتل والحرق والزهرير أو يسعون هنا
وهناك ، ليكفروا القسمة الخلال والظرف المناسب لتعليم الأبناء
وصيانتهم ، لو كما قالت لى سيدة كادحة يوما عن أولادها الذين
تخرجوا من الجامعة ..

٤ أنا أقدم لبيك زوجه نظيفة .. عملت لى عليا .. القروض

المجتمع يحصل لى عليه .. .

ربما كان لهذا الصول أبناء في مواقع عامة ، وصلوا إليها بعرقهم ،
وكند والقهم الذى منعت أسلته ، وكبيرهلاء ، والترامة بالقهم
الخفيفة أن يرفع صوته في مواجهة المدون عليه ، ولأن مطن ..

٤ هنا بين ٩

على يوم الجمعة الماضي لم يعرف من الأوبرا إلا مسرحها ، سواء كان الكبير أو الصغير ، ولكن ثمة عالم متكامل بلغ في شاعرية الأخرى من المبنى ، حيث صالات القلوب وتفاصيل السروريات ، و . . المركز القطبي لتسمية الوهاب الفنية ، وعن هذا المركز بالتحديد تحدثت وأقمت الأناظر ، بدأ المركز رسالته منذ حوالي عام تقط ، يدبره الدكتور سيد عوض اللؤلؤ الوصيلي وقائد الأوركسترا ، ويحوم بالتحرس فيه عدد من كبار الفنانين ، في مقدمتهم عازفة البيانو الشهيرة مارسيل ميني ، وعازفة الأوبرا فيوليت مطار ، وأساتذة من روسيا ، مهنة المركز إعداد عازفي استقبال من أصحاب الوهاب ، نظام الدراسة به لا يتعارض مع برامج الدراسة العادية ، ويصير ويدلج معصري الحصيل يقوم الأساتذة بتلقين الصغار أسرار الفن وتنمية ملكاتهم وحصلهم وتقديمهم إلى الجمهور ، يدبر الحصل الفنان سيد عوض الذي استعمل الرأس منه شيئا ولكنه ما زال يواصل مهنته في رعاية الوهاب وتقديم الكبير ، تلك هويته فكبرى إلى جانب تشكيل الوصيلي .

يوم الجمعة الماضي أفضيت ساعتين ونصف من التمتع والتفوق والأمل ، التمتع في الإهداء إلى مطروحات موسيقية عالية ، وإلى

لغناء لوبرالي ونسج ، والشؤون للتنسبوى الرفيع الفنى بقا من
سجموعها فنائين صغار بلغ عددهم حوالى الثلاثين ، عازفون بيانو
وكمان وتشيللو وكوترباس . . لو أنهم واحلوا المسيرة وتخرج من
بينهم عازفون كبار فإذن ثروة إنسانية وثنية تضاف إلى ثروت هذا
البلد المطاء الفنى بالواجب إلى حد لا يصفى .

فى هذا التركيز يتم عمل مواهب نادرة ، ومثل هذا النشاط جدير
بالدعم المتورى والثانى من المجتمع والإعلام وتماحة أجهزة وزارة
الثقافة .



حوار بالصريفة..



مدينة سوهاج ..

ديسر للناس -

باني الشرطة الطل على النيل ، والنيل الصعيدي هنا مطاير
ليل القاهرة الذي حاصره العمارة العشوائية تلك النجوم
الحمس والنواصي ، والشاغل خامسة الظهر ، المسيرة التي ترحى
مداخلها بأصحاب القنود ، ما زال النيل في الجنوب لليوب إلى
صوره الأصلية ، وما يلترب منه الجبل فإن الوحة رائعة تشكل لا
شيل لها في العالم ، جمال نريد ، واسع ، وقور ، سرحي وإن بدأ
عاشقًا كنت ألعاب لتناول الغذاء بصحبة عدد من الأصفياء
وخلال الحديث أرسل بصري في منحني النهر والجزيرة التي
توسطه والأفق الفسح ، والبيوت المسكونة بالأسرار على الشاطئ
الأحر ، كنت أحاول الأصفاء إلى ما فني وتبسط من أصوات بشر ،
وخلوقات شتى لمعت في هذا المكان غير ملايين السنين ، وكان
يجمع أحيانًا فالتجمل أن هذه الحيوانات القديمة القديمة يمكن أن
تكون مستمرة في مكان ما ، هناك عند الشاطئ ، عند الجبل ،
في مكان ما من القراخ اللانهاي ..

لجبات ..

لقلت من ليلاتي وسرحاني بالخيال على صوت حاد ، مزيج
بدا كالغواء الطويل الغامض في قضاء المدينة الهادئة العيفة بروج
الجنوب ، هواء فعلا ، أصوات «الساكنات» المركبة في عربات
الحراسة الحكومية ، والفوجات البخارية حديثة الطراز التي ينطويها
جند مدبرون ، سألت أحد الأصفياء .

كنت مفاجئاً بحق ، فالتقبل جميل ، ووديع ، والفرح ورحب ،
 والنمى حاتية ، والمحفظة مهيبة تماما لنسبته العنق المسارى
 والهموم التواكفا . وحلى عطا العواء لا يتروك فى الشارع المصرى
 سواء فى العاصمة أو المدن القاتبة إلا فى حالات استثنائية ، منها
 مرور مسؤل كبير ، جليل القدر والتهابة ، أو خروج عربة إسعاف
 أو عطارين فى الطريق المزدحم فى محاولة للوصول إلى موقع حادث
 أو حريق ، ويكون الفرض هو تسيبه القوم الراكبين والراجلين
 لإتساح الطريق . وعند سوان كانت السرية ، تحرم ، ولكنى
 تلاحظ الآن إستهانة القوم بها ولكنهم رأيت سيارات إطفاء تصرخ أو
 عربات إسعاف فى إشارات مزدحمة وطول منتفخة فلا يلمح
 سائق طريقاً ، ولا يبدى أحد اهتماماً ، مع أن الحريق نوره لا
 يعرف التمهيل ، وربما يكون فى داخل عربة الإسعاف من هو على
 وشك أن يلفظ أنفاسه ، ونى أوروبا تكون العقوبة كبيرة إذا أعتاق
 أحد حالات الطوارئ تلك فى الطريق العام ، وقد رأيت فى باريس
 شارع يتدفق لأن عربة إسعاف أطلقت (سرينتها) و (السرية)
 هناك مختلفة من (سرينتا) ، (السرية) الفرنسية مختلفة ،
 جميلة ، صغيرة ، ولو لا أن صديقى فسر لى الموقف لثقتها عربة
 عابرة عادية تلح لأمر ما ، أما (سرينتا) هنا ونى قبلاء العربية
 لنى زوتها فعالية ، مزعجة ، المره ، مشيرة للاكتئاب أحياناً ، إنها
 طبيعية السلطة هناك وهنا . . ما علينا ، فلتبق فى سوحاج ،

سوحاج مدينة عاتكة ، جميلة ، جتربة الفد والتلاج ، شوارعها لا
تعدنى أى أزمة سرورية ، إننى .. لفتا إطلالى (السرنبة) بهذه
الكتابة ، ونلك الطريقة ..

امانا جوى ؟

لال صاحى ميسا ..

هذه الطوار ..

للت بدعة :

هأى حوار ؟ أنى لال عن سب إطلالى السرنبة ..

لال :

علا بعض أنهم وصلوا من نوح حمانى ..

نأطت .

من عزلاء ؟

نال إلى الأمام قليلا نال :

السيد وزير الأوقاف والخصلة الفنى ..

لومان مفركا ، لقد جاءا من أجل الحوار مع المتطرفين ،
لواجهة الشباب الذى استغلت لوى الإرعاب بطلته ونسبها
وانسداد الأمل أمامه ، جاءا للترهبة ، كانت الساعة الثالثة
ظهرا ، لاحظت أنه صاحى يستخدم الألقاب فى الحديث ،
إذ أنه سوظف رسمى هنا ، ونزول وزير فى صفة الصعيد

الجنوبية ما زال أسراً جلاً ، وحدناً خطيراً ، هذا الصعيدي
 النسي الصعيد ما زال أمله ينظرون يحقر في أي زيارة رسمية ،
 وفي ثراء الثانية كان ظهور ضابط شرطة في إحدى القرى ،
 خاصة بأسور المركز كإثارة على الصمصا ، وبالتالي على دعوس
 الأخطى ، فلابد من تدبير القسيانة ، ومن أراد التوسع عليه
 بقرابة مذكورات واحطنا الكبير يحيى حلى في داخلها على
 قلده ، وما زلت أذكر حادثة لا أتري مصدرها الآن عن مستول
 كبير جدا زار إحدى قرى الصعيد فتقدمت مواطن برجوه أن
 يتوسط له عند القفير في حاجة يريد قضائها ، نعم .. طلب
 زمنية طويلة ، في قرى عديدة لم تعرف من السلطة الحاكمة إلا
 القفير أو العمدة ، مبرات طويل طرفة القسوة والحيف ، منذ
 زمن الكشاش والالكتشارية والمترمين وغيرهم .

رعد أسناننا يحيى حلى - رحمه الله - ظهرا بلغة الأهمية
 عند ما يتوجه أحد القرويين في ميدان المحطة (باب الحديد) في
 أحد الأندية لسؤال عن عنوان ما ، يصفى جيدا ، ثم يفسى
 يهدوء مظهرا الشكر والأفئاع ، ولكن بعد عدة خطوات يتوقف
 لبال أحد من نفس العنوان ؟

ما من ثقة بين المدينة والقرية !

حتى عندما نتظاهر المدينة بالتنازل ، والتسرب والحرم على
 الأطراف ، فإن ذلك يكون حبرا على ورق في الغالب ، وأنت
 بنفسك كيف كانت أواخر محافظة لسيوط السابق (وزير الداخلية

الحالي) تتحطم في مواجهة الفساد والبيروقراطية القتبية ، مع أن
المخاطر لهذه سلطات وليس الجمهورية ، ولكن أواخر بالتحفة
إجراءات تعالج الإرهاب وتكسدي الفساد المستشري لم تكن
تتعد ، بلقا ١٣

لأن أمين الحزب الوطني في المحافظة مستهجوم من بعض
الشخصيات الكبيرة من القبة الأم ، من .. مصر ، أو كما
نعرف رسميا القاهرة والمستول الأمن وغتتت كان بنفذ سياسة
الوزير التابع له ، ولقد أحس بشكل ما أن محافظ أسهوط اللواء
الألبي مرشح لبعثته ، التفاصيل هنا سرعية ، والأمل أن أكتسبها
يوما ، فلاحد إلى سوحاج .

زليج - زليج ا

الغرب ، خاصة إذا كان أنديا ، معاد إلى أن يبت العكس
هذه قاعدة في كاتفا لقرى الصعيد ، وربما في الوجهة البحرية
الأبيض .

عندما أخرج إلى بر مصر الجنوس أو الشمالي لتنفيد بعض
حالات المساعدة الإنسانية ، عند وصولنا إلى الجسور أو الشاغل
الزوجة إلى القرى تتوقف لسلك عن عنوان الشخصية التي نسي
في المقدم المساعدة لها ، عندئذ يكون الجواب في صيغة سؤال ..
أنتم مين ؟ ..

ثم يحن أخرون وتترلى الاستفسارات ، ولا يستجيب القوم إلا
بعد التأكد من أننا جئنا فعلا للمخير ، عندئذ يتسابقون ، هنا
أخضر قديم ، كمان على فطس القبل منذ جريانة ، ويدون فهم

دقيق لطيفة الناس ، وعمل حليفي لتغيير ظروفهم إلى الأفضل نسبياً ، فلا فائدة من أي جهد ذي طيبة إعلامية أو سياسية .

هكذا رحلت أفكر ولقلب الظروف . أثناء انطلاق (السرابين) في قضاء المدينة معلنة عن وصول الشخصيتين الكبيرتين للبحر والشرح للزلف ا

كانت الناس يصفون إلى أصفاء (السرابين) ويستقلون منها على الجهة التي توجّهوا إليها ، هكذا قال لي الرجل صاحب الكلبين القريب من الخادي :

«أنهم في استراحة الحفاطة الآن ..»

قال إنهم فصحوا من نوح حساني ، ولأيد أن يستريحوا قليلاً ، بعد لحظات عاد ليقول ..

«يستقلوا ..»

لم أسأله ، كيف عرف أنهم يستقلون الضفاد الآن ، إذ لفت نظري نطقه للكلمة «يستقلوا» . كانت هناك عدوانية ما ، وغضب ، وقسوة ، فذكرت شيئاً في حادثة القديمة لم تكن تعرف لفظ «كلوا» ، لم أسمعها تقول إلا «أطعموا» ، نفس الإبداع ! كانت القديمة تتابع حركة الضيوف الكبير في الاستراحة ، فهم الآن « يستريحوا .. لو .. يأكلوا .. لو .. أو ناموا .. » ، صاح أحد الجالسين بالقبلي :

«أنا يا بوي .. يأكلوا فزوج مستوي ..»

وبلوت ابنتها ، ليس للجهة الساخرة التي نطق بها ولكن لأن نفس التراجيع الطعام الفاخر عنده هو الفروج المستوي ، قلت لنفسي

وقالته تقديماً ٤ ، عندما قامت ثورا يوليو قال البعض في سجنات
الصعيد : يا بوي ٥ . . . ودخلوا نصر حاجين لكوا فيه العمل الأسود
ربع ربع - ٤ .

نصف قرن تقريباً ارتقت فيه الحقبة من العمل الأسود إلى
الفرج للشوي . لا بأس .

خرجت من القهبي إلى كورنيش المدينة ، فتفتت بزمناء
صحفيين تخصصوا في تغطية أخبار وزارة الأوقاف وهيئات
الغري ذات علاقة صانحتهم وتباطأنا الحديث ، نفرو أنهم جاءوا
لتغطية الحوار وهناك التلفزيون أيضاً ، قلت لنسي ، الصحفيون
الزمناء والإفاحة والتلفزيون . كل هؤلاء جاءوا من أجل الحوار ،
الحوار مع من ؟

طبعاً مع الإرهابيين ، لكن . . . أين هم الإرهابيون ؟ هل
سيظهرون مثمين ، حاضرين وشا شائهم ، وهل سيسمح لهم
بدخول السرايق بطهرهم هنا ، كيف سيجلسون ؟ ، تخطيطهم في
مزارع القصب الكثيفة ، وفي معابهم داخل حصول القوة ، لو في
مخازن الجبل ، هل سيحبسون من هناك ؟ ألم أنهم أفرقوا بعض
تفاصيل الحوار من (السرية) التي لو فتحت في مزارع المدينة .

تعبت السرايق اللعد ، الحماط برجال الشرطة ، وكبار المستولين
في المحافظة وهم يستقبلون كبار جفا القلمين من القاهرة ، بينما
التساب للنظرى بنهاية ، يجلس في الضاحد ، يتظاهرون بأنهم
مضللون والسادة فوق المنصة يتظاهرون بأنهم يتحاورون وأنهم

واجهون الإرهاب ، حلفا . . كم من الجرائم ترتكب الآن باسمه .
 شخصي للإرهاب ، ولا تقل في عطورتها عن الآثار القديمة
 للإرهاب نفسه ، تذكرت لسبب ما ، هذا الأستاذ الجامعي الذي
 وقف في معرض الكتاب العام الماضي ، يعرض خطته لمواجهة
 الإرهاب ، ويؤكد أنه سوف يحتفظ ببعض التفاصيل لتفديتها إلى
 كبار المسئولين ، ثم ظهرت مقالاته في الصحف ، وعطفا خطوة
 كبيرة عندما ظهر في برنامج الذي يقدمه أحمد سحر بعد نشرة
 الأخبار والمخصص للشخصيات الرمزية أو تلك التي يجري
 (تسميتها) ، أجهزة القول بذلك لجمع المعلومات عن هذا الأستاذ
 المشاك ، وإنما بالفاجأة تلح ، فسببته فصل من إحدى جملته
 القول العربية لأسباب اعتلانية ، وبناء عليه فصل من جامعة
 الأزهر التي كان يدرس بها أصلا .

لا بد أنني سوف أرى الحوار في التليفزيون غداً أو بعد غد ،
 سيد وزير الأوقاف باستضافته فتية ، وعينته المثقلة الروحانية
 منجسواً قنابح عن أكله نسمة .

سألت زميلي المسئول عن برنامج الزوار الكبار منذ وصولهم
 مدينة سوهاج ، لم أجد فرقاً كبيراً بين المحطات التي أتبعها الزوار
 وتلك التي تهيئها أعلى المدينة ، فجاء . . لوتنعت (السرايين)
 طلع زميلي إلى ساعة بينما كانت (السرايين) تلاً المدينة بعواء
 تند والقوى ، قال معتزلاً عن مواصلة الحديث :

لا مواظفة . . الحوار بدأ . .

نسخة الأصل -

أحيانا التوا جملتا أو عبارة أو بيتا شعريا يتبر عندى مشاهير
والفكرات وتأملات شتى ، هذا ما جرى لى أثناء قراءة كتاب تاريخ
من مصنفات التاريخ العسرى فى العصر العثمانى ، إنه تاريخ
الإسحافى للتوفى المعروف بأخبار الأول فىمن تعرف فى مصر من
لرباب الدول ، طبع منذ أكثر من مائة عام فى القاهرة وأصبحت
نسخة ألفى من المخطوطات ، وهو تاريخ عجيب ، يتخلل بالحيرة
بغض التاريخ من وجهة نظر الذاكرة الشعبية ، غير أنى توقفت
نفسه عند حادثة يرويها المؤلف ، شاعها بنفسه ، بقول
الإسحافى : دولة شاعلت فى سنة ست وتسعين وتسعمائة
(عجربة) أعجوبة لا بأس بذكرها إن كانت خارجة عن المقصود وهو
أن شاعها يدعى الأمير سليمان بن أحمد بن أحمد الشهر
بالأمرس الجركسى الأصل وهو من أعيان عشر مصر حضر إلى
محكمة ملف ، وأمر من يده حبة أبرز مكتوبا عليها ما قرأه وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا قاهر ﴾ : إن الإنسان فى عشر () إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتوأموا بالحق وتوأموا بالصبر () .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أعطيك الكون ، فعلى ربك وانحر ،
إن شاعك هو الأمر ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ،

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

كتبه محمد سنة ٩٩١ . وشاهد تلك نسخة المحكمة المذكورة
وشهودها وما من شخص منهم إلا ولما ظلك مرة أو مرتين .

ثم يقول الإسحاقى أنه شاهد حية الأز بنفسه ولما ما عليها
أكثر من ثلاث مرات . وتعمل حروفها تملأ شفياً وشاهد جراً كل
سلسلة ، والشائكات للبسوجة . واسم هذا الخطاط العبيرى الذى
لا تعرف إلا اسمه الأول «محمد» . . ثم يقول المؤرخ ما عهده :

«فرحم الله كاتبها وعفا عنه عنه وكرمه ، فانظر يا أئمة كيف يلم
شرب مثل هذه الأناجيل . . .»

فلك من الجملة التى استوفيتنى والطريقة التى نيلت بها ،
«فانظر يا أئمة كيف يلم شرب مثل هذه الأناجيل . . .» . لقد
حاولت أن أتجسس آلاف الأناجيل التى أبدعت مثل هذا الخط
الجميل أو تلك التى عرفت على الأوتار فاستخرجت الأنعام
الرفاق ، أو مزجت الألوان فى لوحة أو منمنمة ، أو عظت سطوحاً
من تصبغة أو رويات ، أو جعلت حجراً لنقشه فى صرح كبير ،
مسجد أو بيت ، كل هذه الأناجيل = يا أئمة كما قال الإسحاقى
الشوفى = كيف يلعبها الشرب ! . وفى مثل تلك العبارة يمكن أن

جميع كتاباتنا من آلاف الصفحات ، رحم الله الإسماعيلي القويح .
لقد احتوى القريب أتمناه أيضاً وسبحان قياتي دائماً .
متفلة الأهر .

لا أسر بشارح الأهر ونطع عمتاي على مشفنة القويح فالت
فراسين إلا ويخص قلسي . في أكتوبر الماضي نال الزلزال منها
وأسلط جوسلفها . وكنت أظن أن الأيدي سوف تمتد بسرعة
وتعيد الأطله المعدنية إلى لسانها فيكتمل مشهد اللقطة السابقة .
ولكن . . حتى يومنا هذا تطلعن اللقطة برأس مقطوعة ، وهينة
ناقصة نصير عن قنوي إمانة لهؤلاء . السوليين عن هيئة الأثار الآن .
لقد قامت قديما وتولت التصريحات عن عمليات الترميم التي
ستجري للآثار التي نال منها الزلزال . ولو فتحت الحديث الآن
ظن ينتهي عن أعظم مساجدنا التي قد تسلط بين لحظة وأخرى .
ولكنني أكتفي بالإشارة إلى مشفنة القويح ، أحد أهم المعالم
المعاصرة للأهر .

مجرد وضع الأطله المعدنية في أسطها الزلزال .

عل هذه العملية البسيطة تحتاج إلى تأجيل ؟ . هل نقفص
استيراد أجاتب ؟ . منذ أسبوعين أشار الأستاذ عبد العزيز صادق
في مجلة أكتوبر إلى سلوط الأطله . وكأنه يؤمن في الجربة . ومع
كل كلارة حول لو نونك بأثرنا الإسلامية لا أجد على شفتي إلا
عباران فرحة على شهيد أحمد قنوي رئيس الهيئة الأسبق .
رحمه الله .



ثلاثون سنة



تطقتان متميزتان في مسيرة عمري ، فالتألفت إليهما ،
 استمديهما ، شأن من قطع رحلة استغرقت حتى الآن حوالي نصف
 قرن ، عندئذ يستعيد الإنسان ما كان أكثر من القطع إلى ما سيكون .
 الأولى .. تقع في أحد أيام سنة تسعة وخمسين وتسعمائة
 وألف ، عندما شعرت بدافع غامض يحركني للكتابة ، خطاً ..
 ما الحرب فواتين الذاكرة الإنسانية ، لذكر كلمة التفصيل في
 حجرة سكننا ولتند بحارة حرب الطلأوي بالجمالية ، وحرارة
 الفسوف ، بل لوي إتحنائي وأصابع يدي متشابكتان ، التنا ..
 كمن يرى نفسه في الحلم ، لكنني لا أستطيع تحديد اليوم ،
 جمعة لو سبت ؟ ، لا يمكنني تحديد الفصل ، عريف أم ربيع ؟
 في هذه اللحظة شرعت ، وبدلت ، ولم أتوقف حتى الآن ،
 ولقد أريج ستون حاولت أن أشر ما أكتب ، وجدت من عدائي
 يد العمود ، وقد أنضت في الحديث عن تلك من خلال شهادتي
 المشهورة في مجلة فنسول ، حتى جاءت اللحظة التي أنتظرتها
 وسميت من أجلها ، في أول يوليو سنة ثلاثة وستين وتسعمائة
 وألف ، في مجلة « الأدب » اللبنانية ، نشرت لي قصة «زيارة»
 وفي نفس اليوم نشر لي مقال عن كتاب قرأته سبكرًا وأثر في
 تأثير كبير هو « القصة النفسية » تأليف « ليون ايدل » ،
 ظهر المقال في مجلة الأدب التي كان يصدرها المرحل العزيز
 الأستاذ أمين الخولي وفيها بعد نشر لي عددًا من القصص .
 هنا الأسبوع ينقض ثلاثون عامًا على نشر أول قصة ولول
 مقال ، قلت فلا أستعد بعضًا ما كان ، فالرحلة طويلة ، والطريق
 وعمر ، ولا لوي مني أحط المرحال .

عرفت مجلة (الأدب) من وصف الأثر ، عندما نشرته ،
 عدم كمالها عنها تضم حوالي عشر سنوات بعضهم قرأها فقط
 وكان ذلك في بداية الستينات ، كان يصفها بالرحوم الغير لطيب ،
 علاقتها لم يغير تصميمه منذ الأربعينات ، واكتشفت أنها تصدر
 بنظام ونصل إلى القاصفة في الأسبوع الأول من كل شهر ،
 أرسلت عبر البريد نصي القصيرة « زيارة » ، لا أذكر بالقيط اللغة
 الفاصلة بين إرسال للنص ، ونشره ، ولكنني أتقن ذلك لم
 يستغرق وقتاً طويلاً ، بالتأكيد كانت خطتان متأججتا بالانفعال
 والإحساس بالسهولة ، فلاحظت رؤية القصة أو القصيدة منشورة هي
 امر مرحل في العلاقات بين الكاتب وبيداعه ، في بداية ميلاد
 الفكرة يكون الأمر شبيهاً بالراحل التي يتكون فيها الجتين ، مجرد
 فكرة لا يمكن رؤيتها إلا بالظهر ، لكنها تحوي الخصائص كلها ،
 والأمانة بأبعاضها ، يبدأ جهد الفكرة مجرد تصور خاطرة حولها ،
 ثم يكتمل فتكون شيئاً فشيئاً ، من كتابة أولى ، إلى ناية إلى
 الصورة النهائية التي يشعر فيها الكاتب بالأطمئنان والرضى ،
 حتى إذا نسخت القصة أو القصيدة على الماكينة الطابعة ، فإن أول
 درجة من الانفصال للتع هنا ، عند هذه المرحلة تكتمل مسافة
 تكون لي أن أرى بعض الأخطاء التي لم يمسك بها وعين أو بصري
 من قبل ، حتى إذا وجدت القصة طويلاً إلى نشر يتم الانفصال
 والإنصال معاً ، فالتجتين الذي كان فكرة أصبح له وجود مستقل ،
 اكتمل وأصبح يتعامل مع الآخرين ، إنه في مجلة أو كتاب ،
 موزع فوق الأرففة ، وفي أكثف الصحف ، والمكتبات ، هناك
 قارئ مجهول للمؤلف ، في قرية نائية بالصعيد ، أو مدينة عربية

لو الأوروبية ثانية . وإنما ترجم العمل الأدبي فإن ترجمة الكبر من الانفصال تتحلق ، وإنما مثل الآبن الذي سافر إلى بلد بعيد وتزوج فتكثرت أحفاداً لا يعرفون العربية ، مشاهير غريبة ، غامضة ، نستعص على الوصف أو التفسير عندما أتأمل رواية لي مترجمة إلى لغة لا أعرف حتى عرفتها أو أجدتها ، لقد أصبح العمل الأدبي الذي كتبه يوماً ما في القاهرة ، باللغة العربية ، جزء من لب آخر واللغة أخرى . عندما قد يتساءل الكاتب إذا يرى روايته بالعينية لو الأسبانية أو الأوزبكية فهل يمت إلى هذا العمل حقاً ؟ كثيراً ما أتأمل تلك القهوه المعبى الذي ينظني به أديبنا الكبير نجيب محفوظ أبناء ترجمة مؤلفاته إلى العديد من لغات العالم . يبدو الأمر وكأنه يخص شخصاً آخر ، أبناء سافروا واقتربوا وابتعدوا ، هل يملك الإنسان عندئذ إلا الشعور بالحنين ، واستعادة ما مضى . عندما كان قليل يضي قلماً ، وحرّاً بسبب ومن أصحاب أحد هؤلاء الأبناء . لا يعرف عفايتك الإبداع الأدبي أو الفني إلا من كتابتها ، خاصة في اللحظات العصيبة التي نهرز خلالها المشاكل والعنوت .

مافاً يتبدى من هذا كله بعد مضي السنوات الطوال وبلية العمل سطوحاً أكثر من مرة وفي لغات شتى ؟ لو فكر الإنسان أن يرى عاشر أحفاده مثلاً قريباً يكون تلك الشعور مشابهاً ، ينامه ، يتعصبه ، ولكن عفا من عصره وذلك من زمن آخر ، إنه من صلبه ، ولكن . . مافاً يجمعهما إلا الحنين لتماضي والشاعر للتعصب على فهم ؟



.. كنت فعنى الأولى عبر رحلتى اليومية من الجمالية إلى
 الفعربى حيث كنت أصعل وقتئذ ، كنت أصبر ككوبرى فعصر الفيل
 .. أمانياً على ففنى ، لأسباب عدة أصعبها الفاء الأستاذ أهيب
 ، محدود الذى كان يحزن مائياً من الجهة الفالفة ، من بينه فى
 الفمورة وحتى مبنى الفللفزيون فى ماسهرو ، كان يصعل وقتئذ
 .. نارا لمؤسة الفففا ، حرعت فائفا على أن الفاء أمام الفوفبة
 لرئسة للمعربى فاحية لئال سعد وفقول لم أصعبه فائفا حتى
 ففاه الففسر حيث أودعه ، كان فلك الففوار الفوسى فففا ففاه فى
 ففائسى به الفنى ففائ فى كازينو الأوبرا ، لكئسى فففا كنت الففا
 من ففم ، وففا ففول الككوبرى أفففت إليه فففسفا ، فى فففسو
 ١٩٦٢ ، كانت الففوة لم فوففت بعد فففل الأمن وقتئذ .

كان أهيب مفحفوظ وقتئذ فى ففافة والففسين ، أى فى عصر
 ففارب فعربى الآن ، كان فى ففوة ففوفه ، فعفلاً ، ففائل ففجه
 ففافة فففاف الآن ، فففا فففا ، فففة ، ففعل فائفا فوففا ،
 من ففا الفففا كان ففالى ففا فففا فففا فففا ، فففت
 إليه فففا من فففا (الأذهب) ، فففت له إنها فعنى الأولى
 ففى فففا ، فوفف ، ففولها فففر ، ففرا الففوف ، ففوا فففا ،
 من فففا الفوم ففالى ففا فففا وهو فففسوى فففا : إنه ففرا الفففا
 ففصفته كئسرا ، فففا فففسى ففرففا ففى ففرففا الآن فففا ،
 فففا فففا فففا فففا ، فففا ، فففا ، فففا فففا فففا
 من فففا ففا ، له ففرففا الفففا ، الفففا ، الفففا ، فففا من
 الفففا فففا فففا فففا فففا فففا فففا ، فففا من فففا
 فففى فى فففى الآن ، فففا أهيب مفحفوظ ، وفففا ، وفففا

قبل الفتي كان يتلقى هادئاً ، فديها ، خاصة تحت الجسر ، تلك
الصباح من يوليو سنة ثلاثة وستين وتسعمائة وألف .



عرفت طريقى إلى ندوة « الأبناء » من خلال الأديب حسن
محب شفاء الله ، صحبني إليها في هام ستين ، وعند ترقدي
على تلك الحجرة الفولاذية في شارع الجمهورية لم ألتفت حتى
رحيل الشيخ رحمه الله في منتصف الستينات ، كانت الندوة للعام
سواء الأحد ، حجرة تبعة ، قديمة الجدران والأثاث ، يتصرفها
مكتب ، لمهبط به مطاوع عدة .

كنت أحرص على الوصول قبل الشيخ ، لعلك ما زالت تذاكر رابع
عطائه فوق كرواج الخشب المشيلة التي تغطي فصاحة ، وكثيراً ما
كنت أتفرد به ولذا قبل وصول تلاعبه فكنت أتزوي في مواجهته ،
أشعر برهية ، ولكن تلك المهابة لم تمنعني من الجدل معه ، أو
الاستفسار منه عن كتب وأضايا ومناقش عديدة في رأيي وفنني .

وإنما للقول أنه حسن حظي تعرفني على الشيخ أمين الخولي ،
فمن خلاله تعرفت على أسرة الأزهر العظيم ، والكوفة ، والبصرة ،
وجامع علماء الكبير ، وزيونة تونس وقبراتها وتزويين القرب ،
بدأً من عصور الإسلام الأولى وحتى أسرة التنوير الخليطين في
القرن الثامن ، رفاعة الطهطاوي والشيخ محمد عبده ، بل إن
حياة الشيخ فيها عناصر شبه حياة هؤلاء ، في القرن التاسع عشر
سافر الشيخ رفاعة إلى باريس ليؤم الندوة البيعة أثناء الصلاة ، وكان
إن أصبح هو أهم حضور في البيعة بتأثيره المتد حتى الآن . كذلك

سافر الشيخ أمين الخولي إلى إيطاليا في بداية هذا القرن ليكون
 بمانا لأفراد لجنة التصرية ، وعاد ليكون أئمتهم ، لا أعرف إنساناً
 اجتمع فيه هذا التوازن الرابع بين الأصالة والمعاصرة مثل أمين
 الخولي ، لا أعرف إنساناً اجتمع عنده تلك الطهر الفصح من فهم
 لعصر الإنسانى ، بكل فروعه ، والاعتناح عليه ، وقبوله منه ، بما
 لا يعمل لو يؤخر في تكوينه العربي الإسلامى الأصيل ، كان من
 حضى حقا أن لو اطلب على حضور هذه الفتوة والافتراق من الشيخ
 الخليل وأحد الأئمة العظام الذين عملا زماننا من أئمتهم ، فلا
 يرى الآن إلا أئمة التليطزيون ، أحدهم يحاضر بحللاته طه شكراً
 من عزيمه وطنه ، والآخر يقن إقتلار دم المتخلفين في الرأي عفا في
 الحكمة وبهر ما قاله في صمت .

ما زالت أذكر الكثير من مناقشات الأبناء ، ملامح تلاميذ الشيخ ،
 يقولون إنه لم يترك مؤلفات كثيرة ، لكنه ترك رجاءاً لا حصر لهم
 أحسن لتكوينهم ، ومنهم محور كبيرة في حياتنا الثقافية ، وبشكل ما
 إذا جاز لي الانسحاب إلى من غرس فيهم حب الثقافة والعلم ،
 واتساع الأفق وعمق الفهم الإنسانى والاستتارة ، فبلا شك إما أنا
 واحد منهم وإن كنت أفت في نهاية الطيور الطويل !

في مجلة الأديب ظهر مقالني عن كتاب «ليون ايدل» الذي حلل
 فيه أعمال جورجس وهنرى جيجس وفرجينيا ويلف وستار فرواينج الذين
 استلهموا نيل الوعي وحلوا الفوضى في أعمال نفس بشرية .

في الشهر التالي نشرت قصة «الشمع» في مجلة الأديب ،
 وتناج نشر القصص وروايتي في جريدة العمود اللبنانية التي كان
 يصدرها الشهيد لحسان كفتاني ، ومجلة «الجمهور الجديد» ، هذه

القصص والروايات فلفت معظمها عام سنة وستين ، ولكن
 قصدي عيسى حفظ أستاذ الأديب العربي بجامعة لندن ذكرها
 في دراسة أعدتها عن اللغة القصيرة في الستينات ونشرت في
 المجلة زمن الكرم الكبير بحسب حقي . بعض حديثة ظهرت في
 مطبوعات كثيرة تحمل اسمي ، وسيل للهيئة للنساء منزلة خاصة
 فمن صلة امررها الفصحى ، ومن ركنها الألفي حيث مكتب
 عبد الفتاح الجمل تخرج جيل بأكمه ، وسيل لعبد الفتاح مولع
 خاص عندي وعند أبناء جيلنا ، فلذلك كان حرصي ومطاردتي له
 في عزلة التي فرغتها على نفسه لكي يكتب لقراء « أخبار الأديب »
 التي ستصدر خلال ساعات ، ولعبد الفتاح أسلوب خاص ،
 فريد ، ورؤية نادرة ، ما بين يوليو عام ثلاثة وستين ، وسارس عام
 تسعة وستين ، نشرت أكثر من خمسين قصة وروايتين ، لكنني
 عندما جمعت لمروثي القليلة وما لآخره ، صدق الصبر يوسف القعيد
 لطبع أول كتاب لنا ، لم أيسمه إلا بحسب بعض قصيرة كتبت
 كلها بعد هزيمة يونيو ، كتبت من هذه القصص الآن طبع مرات
 عديدة ، وترجم إلى لغات شتى لا أعرف حروفها لم تطوئها .

مشوار طويل ، أودعته موافق القسي ، والأمل ، وشاء القدر أن
 لفت هذه الأيام عند بداية مرحلة جديدة ، ليس في مشوارتي الخاصة
 ، ولكن في مسيرة الثقافة المصرية ، العربية ، كثيرة من الحواضر التي
 تتوزع على ، أحدها يقع على مرآة ، أن تقدم « أخبار الأديب » العبد
 من التواضع الجديدة التي يحفل بها بلغة الخصب التي ، اللطفا ،
 وأن نجيبهم الجريدة الجديدة مثلة الطريق ، ونطس من وعزات السفر ،
 لما أكثر الحواضر التي تحمل بالتواضع الخيلية .



وحاورنا الماكينة ..



الثانية بعد منتصف الليل ..

الطابق الأول في مبنى المعهد لدار أخبار اليوم حيث الطبيعة
الصحفية الجيدة .

كاتبين حديثي مطلق باللون الأخضر ، إذا نظرت إليه من الممر
المخاض في الطابق الأول بعد الأرض لراء يتسبه سفينة تسبح
ولكن .. في قيسر . في الزمن ، عند عبوري للممر إذا بدلت
الديوان ، فزانت استدهن إلى القعن تلك اللحظات التي نبقأ فيها
الطائرات العملاقة الإنفجاح تم ..
منارة أما الأرض إلى الأعلى .

كاتبين حديثي مطلق بالنسبة لن هو مثل لا يخله شيئاً في
الأمر الهندسية الطباعية ، باختصار .. يتم إدخال لغات الورق
ليكر ، القصعة ، تثبت في أماكنها القصعة ، يفسط زر ، تدوير
التروس ، وتسير الطاقة في صمامات وموتورات وغلايا ، في
طابق علوي المرحلة الأخيرة من الآلية ، تخرج نسخ الصحفة ،
ليست مطبوعة فقط ولكن مطبقة ، مفسومة ، ألي في الصورة
التي تصل بها إلى القراء .

ها هو الورق منبسط ، عند ، بين أقسام الآلية مثل فمائل
النسيج الأبيض المشدود إلى ماكينة الطباعة في انتظار النقوش ،
وتكن الورق هنا سيحصل الحروف والمعاني والرسوم إلى أمانة
تشي ، ولماكن لا يعرف مواعدها .

الحج عمالاً يتحركون على مهل ، ينفخون أجزاء ، ويظلمون
على عداقتن ، والسلاك ، في موضع ما تستقر الأرواح القدينية

المجربة المجدبة « اختيار الأوب » ، ساهمت بعمل طريقة فيها
التبعية والتمسك ، لم تتجنا رحلة الحرف منذ تشكله كنعني في ذهن
الكاتب ، ثم خرج على الورق ، ثم طريقة إلى مبنى الأختيار ،
إلى ماكينات الجمع التصوري ، إلى الأسم الفنية ، ثم أبدي
عاجته ، واعتنت به ، يصعب الحصر ، وأخيراً تستمر اللغات
والفصص والأشعار والرسائل والأسال والآلام في أحشاء هذه
الماكينة العساة لنسي في انتظار الانطلاق الهامر .

أباج حركة العمال والفنيز ، كأنهم يحالون وحشاً عائلاً مؤثلاً
فيل أن يفكوا أخلاله لانطلاقه جموحة إلى نهاية الذي ، لوجوه
أعرفها ، زملاء ، أهزاء ، غير أنني استعيد ملامح ظاهير طويل من
الزملاء ، الذين فخرت منهم إنسانياً ، وتياقنا الحول ، والقدحيات ،
من الحرب وفي الأحوال الصعبة ، وكل يوم ثلاثاء عندما أتف في
النسم الفني لمراجعة صفحة « أختيار الأوب » ، لقاديت سرعة ،
وأحداث موجزة ، لكنها تبض بالشاعر العميقة ، استدعي إلى
دعني ملامح وجوه نطل على من عالم الطب والحضور ، بعضهم
حل ، وبعضهم أحيل إلى الشفاهد ، لكن .. لا بد أن أفسهم
وعسانهم ونظراتهم وأعني قلوبهم له حسدي في موضع ما ، في
مكان ما من الصعب على الأجيحة الطبية اكتشافه ، هنا .. داخل
هذه الماكينة ، لا بد أنها أنتجت منهم بقدر ما أنتجوا منها ..

تزايد الحركة ، ويبدو من وضع البعض أن اللحظة الخامسة

غروب .



عمال تلك اللحظة استعيد لخطان مولية ، فانية ، كثيرا تلك
 الفحيفات المؤدية إلى الآن ، لكنني أوقف عند بعضها ، عندما
 كنت أزرع رجلاً طيباً في الجمالية ، حديدي عظمي بالعيسى
 الشاعر ، المعلم ، القدي وعب عمره لمساعدة أبناء النطقة عسرى
 الأحوال ، يتخذ من سبيل لونه بلانا الأثرى الذي ما زال يضم
 مدرسة لتعظيم الفرقان الكريم ملوك ، سبيل جميل ، ينفع التاريخ
 من واجهته ، وتفاصيله ، في مواجهته نبع عائلته سعيد لسفاه
 قس يضم تراها رطلت عدد من أعظم قصورنا ، وإلى الشمال ،
 نبع مدرسة الجمالية الابتدائية قس أنصبت بها مرحلة ترواستي
 الأولى ، وعائلته الظاهر يبررس أحد أجمل فتكويرات المعمارية
 في العالم ، وإلهم أعمارهم غسوم الدنيا عندما أجلس في صمت
 ظهيرة عند حافة قناتها القصب ، الجبل بالهابة ، أتأمل لسرب
 الحمام الأمنة قس تلتقط الحب المنثور فوق الأرضية ، وتسررب
 الأوعية من الأواني الفخارية ، حكفا ينص الوقف ، وما زال أبناء
 الحبر يوفرون الزمان للحمام ، وما من شيء يحدث في أعمارنا وإزالة
 كوتية مثل حديق يمانية وحيدة عند انصاف النهار ، أما إذا كان
 فقلت حصرًا ، فإن حزنًا شعافيًا ، ملطرا ، يطوي طلي حيا ..

كنت في سبيل لونه بلانا مع صديقين عزيزين ، الكاتب
 العماني سيف الرحبي ، وأحمد الفلاح في مساعدة الشيشار
 الشفاني بالهجرة ، ولا أنكر السبب الذي حداني إلى الاتصال
 بالأستاذ سعيد سبيل لكنني فوجئت به يسكني :

« هل قرأت قلعة الأول من أعياد النجوم ؟ »
قلت إن في خطبي ، لكنني سأقرأ مع قصص الأخرى بلان
في نهاية النهار ، قال لي :

« لقد كنت الأستاذ إبراهيم سعيدة إلى الإصدار الثاني .. أعياد
الأب .. وأنه اختار أن تكون مسولاً عنها .. »

لقد كنت أتعلم الخطبة من الأصدقاء الثلاثة ، قال سيف فرحي
وهو شاعر عماني كبير ، إن صدور « أعياد الأب » حدثت سوف
يكون له شأن ..

أسع صوتاً خافتاً ، صاعق من الكتابة ، ألح بكراً ووق للثور .
حركة بطيئة ، لكنها ذات دلالة .. وتلفز في ذاكرتي لحظاً أخرى ..



صباح الأربعاء

جاءني أحمد الزملاء ، بطروف أزرق ، من مكتب رئيس
مجلس الإدارة ، رحبت أطلع إليه مستملاً عما يمكن أن
يحويه ، ما زلت مثل أبناء قومي بنوجسوف من رتين الهاتف أو
ومسؤول برلفية حتى ولو كانت للشهنة ، أو خطاب بالبريد
تسرع ، فتحت بطروف ، قرأت الخطاب الذي صاحبه الأستاذ
إبراهيم سعيدة ، كان يحوي تكليفاً بإصدار الجريدة ، جريدة
مخصصة في الأدب ، لتكون مسيراً توباً للشهنة في مصر
العالم العربي ، غير منخللة على الفناء بعينه ، ولكنها معبرة
من كل ما هو أصيل وجميل ، جريدة تصل الثقافة العربية

بالعلم ، شرفه وغربه ، وأولاً وأخيراً تكون منيراً للشباب ،
للمواهب الجديدة التي تفسر في ظل الأعمال وتراجع قيمة
الثقافة ، كانت المبادئ التي حددتها الأستاذ إبراهيم تلتق مع
رؤيتي لها ، وتصور عن الحاجات الملحة للواقع الثقافي ،
عكفت لمدة يومين أكتب تصوراً متصلاً ، وافق عليه الأستاذ
إبراهيم بالكامل ، أعطانا إشارة البدء .

كان ذلك في أكتوبر للنفس ..

الآن .. في إحدى ليالي النصف الثاني من يوليو ، وما كان
حلتاً بتجسد أماني ، كامن في رحم الآكيتة التي هابت لتتوقف
أسطوانتها الفسحة ..
وتتولى اللحظات .



في موعدها الأسبوعي المنتظم مع الأستاذ نجيب محفوظ ،
جلست صامتاً ، تكلمانية بدأ عبد القادر العبد يوسف القعيد يسرد
لعم أخبار الأسبوع سياسياً وثقافياً وتربوية ، وللقعيد طريقة
في نفس الأخبار ، والأستاذ نجيب يسميه « رويتر » لفرارة الأخبار
التي يأتي بها خاصة في الأسابيع التي يدرس فيها عمله كمدبر
لتحرير الصور ، نصفي ، توفيل صالح لقنان الكبير ، واليهتمس
عماد القعيد أحدث المراهيش ، والقعيد ط .. ثم يهجن على
قصور لاحكي ما جرى خلال الأسبوع ، منذ أسابيع سافر القعيد
إلى لندن بدخوة من عيشة الإنذاعة البريطانية ليحجب على أسئلة

المستمعين العرب على الهواء ، فقلبتنا بدوننا ، وحاولت التبرؤم
عبر رويتر قبل الإمكان ، ثم قال نجيب محفوظ في إحدى فقراته
الجلسة ..

« اسمع يا جيسى .. تعال يوم الخميس وقت إقاعة لبرتناج
حظ يوسف على الهواء في لندن ونسأله .. ليه الأخبار ؟ »
المهم .. بعد أن انتهى يوسف في تلك الجلسة من أخباره
وحكاياته قلت الأستاذ نجيب ليكسني ..

« ليه الأخبار ؟ »

قلت ..

استصغر عن الخبر اليوم جريدة لسيوية لدية في العام القادم ..
صاح متعللاً ..

« وقاعد ساكنت من الصبح ؟ »

كثرت إلى يوسف ..

« لم يظن فرحة .. »

فحكك أوليل صالح وحماد المبروكي ، راج نجيب محفوظ يريد
طوال لغدنا في الركب الجميل للشهود إلى شاطئ النيل ..

« ما من لهم وأجمل الأخبار التي سمعنا في حياتي .. »

وطوال مجالستا المحفوظية (أسأشر حولياتنا فيها على صفحات
أخبار الأصب مستقبلاً) في الأسابيع التالية ، كانت (أخبار الأصب)

مواقع حولنا ، وحديقنا ، حتى ليتمكننى القول بحسب أن عميدنا
وأستاذنا شارك فى إعدادها والتنسيق لها ..

أعود للنظر إلى اللاكينة ، وصل إلى جوارى الفنان سعيد
إسماعيل ، وزميلى عزت الصحاوى ، وسيد عبد الحلقى ومحمود
قورئانى ، وسهير سعيد ، كنا واحمدا قليل بالتهار لشهد هذه
اللحظة .. لحظة نوران اللاكينة ، وسرع اللحظات فى ذهنى ..



اللاكينة ..

هذا الكائن الألى الضخم ، شاعت بداية المكان ، وتركيبها
جزئياً جزئياً ، لكم ترددت على الأصدقاء والزلاء ، وهم يشرفون
على تركيبها ، نرساً ، نرساً ، وعجلة ، وعجلة .. كم مرة
سمعت هذا التعبير .. « اللاكينة ثابتة » يعنى ذلك أن طبع
الجزئية بدأ وأن مرحلة انتهت ومرحلة أخرى تبدأ ، لحظة نوران
اللاكينة لحظة يومية عامة جداً فى حياة العاملين ، وحياة المنسج ..
وبالنسبة للملاكينة نفسها .

لحظة انتهائنا من العدد التجريبي فى يناير الماضى ، عندما خرج
من الطبعة فى ساعة متأخرة ، ومضيت مع بعض الزلاء من
الفنيين والعاملين إلى ملهى مجاور لبنى (أعياد اليوم) ، فى
احتفال بسيط وخاص .

لحظات عديدة ، متشابكة ، عرفت فيها من الإرهال درجات لم
لكن يوماً أتى فاقم على احتفالها .

صوت معدني وثقيل ..

دارت الأسطرانك المعدنية وأغارت البكر الضخمة ، القبعات
الحمرء الصغيرة .

حركة بدأت منهكة ، تسرع شيئاً فشيئاً ، القوي يرم من جزء
إلى جزء ، من قسم إلى قسم في الماكينة ، كتا لقف بمحاذاة السير
المعدني الذي يحصل التسخ الجاهزة إلى خارج القبس ، لم يفس
أقل من دليقة إلا وكانت نسخة الأولى من (أخبار الأصب) تمبر
لأمانا منهكة حتى لمكنتا لقراءة العناوين ، نسخة لمخضن نسخة ،
نسخة في أثر أخرى ، ترى من سيمسك بها ، ومن سيطر لها ،
والى أي مكان منطسي ؟ وأي نسخة ستعرض في متحف يوماً
أياً من المستقبل باعتبارها لفحة قيمة وعلامة على زمن مضي .
وليل على جهد إنساني وضع ، انحاز إلى جانب الخير والجمال ،
وما يفتح الإنسانية إلى الأمام ..

أي نسخة ستجده شرقاً ؟

أي نسخة ستصل غرباً ؟

أي نسخة ستقلنا من زمنا إلى زمن آخر ، عندما تكون نحن
من عالم الغيب .. بينناك زملائنا القهاتس ، « سيروك » الكلمة
ألس بنابها الجميع ، بينما يلفني شعور وثيق يفتح من إلى حافة
الدمع ، حقا ..

لماذا يفاخشي الحزن في طرودا فرحس ؟

لأننا في اللحظات التي يجب أن أنتشي فيها تتفرقون هبتان
بالشموع ؟

لكني .. لأننا أتساءل ، وأنا القصرى الضعيف ، ليس نومي هم
الذين يتولون إننا استغرقوا في الضحك والسعادة ؟ اللهم اجعلنا
خيرًا .. ؟

اتجهت إلى زميلي الأديب عزت القمحاري ببل ميسفًا ،
بشعبًا ملاسحًا ، عنقلد صحت مفايحًا ..

« وحدين .. أنت عشتغل لي رواتي ؟ »



وعبرت الماكينة

استقرت سرعتها على الإبطاع الذي أعرفه جيدًا ، لأننا
كالمطارة لو السيفنة عندما تتخذ ونسحبها الأملل ، كانت
الأسطوانات تدور بسرعة عالية ، تطوى الورق ، وأصارتنا أيقًا .



وجوه فاصرية



لا أذكر متى عرفته ، غير أنه منذ في ذاكرتي إلى لحظة موافقة
 من القدم لا يمكنني أنديفعا ، إذا ما استدعيت إلى ذهني هذه
 اللحظة من الجمالية فلا بد أن أردد عترياً بها ، بالتحديد عند نهاية
 شارع حبس الرحية والمدرسة الجمالية ، وكافة بازوجه ، عاتقاه
 سعيد السعداء ، مدخل حارة الليفة ، الرافض أمامها بكنة رؤية
 مشقة ولبة عاتقاه الأمير بيرس الجانتيكبر للهبية تلك الجمال
 والجلال القديم ، على تسمية الحارة يقع سبيل لوده باننا ، سبيل
 انحصر إلى زمنا من العصر العثماني ، زمان .. كان يقدم الماء
 إلى عابري السبيل ، ومثل كل هذه المنشآت التي تقدم الماء كان
 يتكون من ثلاث مستويات ، الأولى تحت الأرض ويضم الصهريج
 القمص لحفظ الماء ، والثاني يستوى الطريق لتقديم الماء إلى اللزاة ،
 لما الثالث مقصورة لتخفيف القران الكريم ، بعد أن امتدت أنابيب
 المياه إلى أنحاء القمامرة في نهاية القرن الماضي فطقت الأسيلة
 وتغيثها ، ناسحت تحت وطأة الزمن والإعمال ، وبعد أن كانت هناك
 آلاف تناقص عددها ، وعند سنوات تعطلت ما يلي منها ،
 أحصينه ، وصفته ، ولم يتجاوز العدد مائة وستين ، ورغم
 الإعمال الذي أحاط معظمها ، حتى تحولت إلى مطالب للقسامة ،
 إلا أن سبيل لوده باننا ظل عامراً ، نظيفاً ، والفضل يرجع
 بالفرجة الأولى إلى العم عتلى با عيسى ، اتخذ من قطاين
 قناني مطراً بجمعية علماء الجمالية التي أسسها وهدرها ، غير

مفروس ، أنطس حياته في مفروس الجمالية يعلم أطفالها اللغة
العمرية ، وحيد ، لم يتزوج ، ولكنه أعطى حياته كلها للناس
البسطاء ، يكتب الشعر العاسي والفرجلى ، هو .. متوسط القامة ،
برأسه صلح ، وفي ملامحه تنظر وناحة ، وروية في إلقاء السلام
وقتراصل مع الآخرين ، لذلك لم أراه إلا مبسبًا ، يرتدى عباءة
القميص والبنطلون ، وبعد الظهور الجليلب الأبيض الشامخ ،
الهندم ، ألحق أحيانًا يسمى ما بين لونه يتأنا ومسجد مولانا
وسيدنا وحبينا الحسين **رحم** فأبوك أنه مانس إلى الصلاة لأواب
نحيا .

يسرى عاديًا ، وفتحًا ، في كينونته العامة ما اصطحننا على
تسميته بتلك الكلمة المصرية القوجرة فلن الدلالات المتعددة :
طيب .. إنه رجل طيب .

من خلال جمعية فنراء الجمالية يقدم المساهمات إلى أسر
شلى ، وورنا أسر بالستر ، وفي رمضان يقدم إفتارًا يوميًا للغير
القائمين وأبناء السبيل ، تلك عاداته منذ سنوات طويلة قبل ظهور
سواند الرحمن الذى انتشرت خلال السنوات الأخيرة .

في الصيف ينظم تروستًا نحو الأسمية ، وفي أيام الدراسة
مجموعات نقوية بالجهان ، وعلى نفقة أحد وسائل مختلفة للتعليم
الأطفال حروف الكلام ، وأسرار اللغة والحساب بعض القائمين
في التظلة يطمون ما يقوم به ، يلتفون إلى الجمعية دعمًا
محدودًا ، لكن يظل جهد عئلى يا عيسى هو المحور ، في سبيل

لونه بلنا يحتفل بالأعياد الوطنية مع الأصدقاء الذين يعلمهم
الأجنبية أو الذين يقدم المساعدة إلى أسرهم .

لا يعرف في دور الصحف كلها إلا شيخنا وعمنا عبد الوارث
القسولي ، يقدم إليه بين الحين والآخر زجلاً للنشر في صفحة
قراء الشعب بالأخبار .

عندما أجد باب السيل مفتوحاً ، لا أتردد ، ألبه صاحبة السلم
القديم ، بقائتي متيلاً ، مرحباً في أي وقت أحل ضيفاً عليه .

أحياناً أراه يعبر ميدان سيدنا الحسين ، إنه يمشي وحيداً ، لرقبه
من بعيد ، يحطولي تأمل سميه ، الكنتي الشعر أنه موزج ، مطرق
على جميع البشر ، يفرق الخير ، وضع بالحية من هنا للركن
لنفس القديم .. لئلا نطأ عمره .

الشيخ الهامس

لولا ما عرفت القراءة وصانر الأجب .

كان ذلك في منتصف الخمسينات عندما عبرت ميدان مولانا
الحسين ، وانجازته إلى شارع الأزهر ، مسافة لا تعني شيئاً بالنسبة
لي الآن إذ لطعمها ، لكن في هذا الزمن القديم كانت خطوة عاتلة
نحو الاكتشاف ، ماذا نعلم الآن ؟

لا أعلم إننا قلت أنها توترى نظري المسافة من القاهرة إلى مضيئ
برج الواصل بين الميادين الأطلنطي والباسنيكي ، أما عن تقارننا
بالجانب للفتوى فيستحيل ذلك .

فوق وصف الأثر ، إلى جوار الباب الذي فوق تاريخياً يلي
المؤرخين ، كان الشيخ تهاى يفتش الأرشى عارفاً كشيء نهاراً ،
حتى إذا ما نزل الليل جمعها ورجلها بحبل خيط ، وعند إلى
جوارها .

كان يسبح الكتب المستخدمة ، كتب الفقه والقرآن المقدسة
اللازمة لطلبة الأزهر ، والروايات والمواعظ الشعر والكتب الأدبية ،
كان عدد كبير من أبناء المنطقة القريبة يتعاملون مع تلك الكتب ،
خاصة الفتيات القرآنى لم يكملن تعليمهن ، ولبن في بيوتهن
بغزير العطل ! أذكر إحداهن ، كانت عفاء ، باسقة ، أمين مهابة
في اللامعة قلب السوداء ، تحمل حلبة من قماش مقلد بالكتب ،
سقتها ، وكنت أطلع إليها غلطة راجياً أن تبنى ، لأن تعيل عفا
مكتها وفي فروع أحاسيس غامضة ، والتعريب .. أنه لا تذكر
كلمة « الفاعرة » إلا واستدعى مقابلها عدى ، وجه تلك الفتاة
نرى لا الحرى مرساها ، رأى غلطة انتهت إليها عبر الزمن ..

كان الشيخ تهاى قد خصص دكة خشبية صغيرة صغيرة
لغواتم ، تسع لثلاثة أو أربعة أطفال ، يدفع كل منهم خمسة
دينيات ، وطراً ، كان قرآنى يظلمون على مجلدات استدعاء ،
كنت أقصراً روايات الخسب القديمة لشيء كانت تصغر في
الثلاثينات ، صحورها عمر عبد العزيز أمين هذا الرجل الذي لم يكن
« بالكثير » في روايات عالية كنت أقرأ نصوص لنور الفرنسية ،
« مستوفيسكى » ، « نولسنوى » ، « آرمن لوبين لاهى الشريف » .

كانت الأعداد القديمة من روايات الهلال فوق المصنف أيضاً ،
كان الشيخ تهايي الأسواني الأصل ، الذي لم يتم تطعيمه
الأخروي ، يتطلع إلى بعثته في البداية ، فقال لي : إن هذه
الكتب أكبر من ستك ، لكنه مع الزمن بدأ ينقل لي ، ويحجز
بعض الكتب التي بدأ يدرك اعتمادها بها .

مع تقدم الزمن تطلعت علاقاتنا ، وصار الشيخ مصدري الأول
في إفتاء ، تقدم كتب فترات ، والتلف من المطروحات ، لقد تعرض
الشيخ تهايي وزملاؤه لأزمات عديدة ، أعياها معانات الشرطة ،
وإدارة الأزهر ، والمحاكمة ، في عام تسعة وستين وتسعمائة وألف ،
بعد عمله في الصحافة تأسست محافظة القاهرة تخصصت في اثنين
أخيرة ثابتة لباحة الكتب ، وبعد النشر على صفحات الأخبار
وقعت الإستجابة ، وهكذا ظهر سوق الكتب الجارو لإدارة الأزهر ،
وكانت الكتب مختصر جمالي في الطبع ، ولكن لم يستمر
وضعها ، مرت السوق بأطوار عديدة حتى أنزل مؤمراً وانتقل إلى
منطقة مهنة قلماً خلف مستشفى الحسين ، حيث تولدت الكتب
بين نلال الدراسة ، ومنطقة سورج ، منطقة السمعة ، ليس
مكتبات الأزهر فقط وإنما مكتبات سور الأزبكية أيضاً .

لم يشهد الشيخ تهايي هذه المرحلة ، طمعت سنوات التنقل
للإقامة في غرفة بالمسوق ، برونه هناك فوجدته هجر لاهية
الكتب ، كان يعرفني بعض الحلال ، فقط . . لاكتساب
القول ، لم أصبح عطياً لمسجد صغير هناك ، لزم مكانه .

عائته قدماء ، ومع هجره أحاطه أبناء الحلال برهائهم ، حتى
من أنظر أماكن القاهرة ، يجد الإنسان من يخالده ، وسائده ،
بل إن الإحساس بالمشاركة يكون أفضل ، كأن صعباً عليّ أن
أرى الرجل الذي صبر عليّ وأندم إليّ العمود في بقائه طويلاً
الشاقة وهو لا يستطيع الحركة ، وسوف يظل وجهه الطيب
سائلاً فوشاً في ذهني ، هذا الوجه المرادف للأزهر ، لحادثه ،
بكم من أناس مجهولين أموا دورهم في عمت عليّ أوصفت
مدينتنا أو في دورها وحولها ، لم يشطروا المصايح ليرى
تعارفون موطن أقداسهم ، إنما أفسأوا المقول والمستقبل أمام
تكتروا ، وما شخصي إلا بعض من هذا الفرس .

أصبراً . . علت اللحظة التي كنت أوصدها وأجهل موعد
حلها ، عندما مضيت مؤخر الزهراء الرجل ، وعفت من العيلة
طرفاً ، متجهتاً ، مضطراً إلى الجلوس بلهني صغير في شارع أم
الغلام وحيداً لانا إلا من ذكرى الطيبين الذين ساعدوني ، وحم
أنا من رجل منهم ، وأظال عمر من بلي .

الغلام ،

تأثرت جداً بالإعلان المنشور في الصحف المصرية علي
صفحة كاملة مؤتمناً من أصحاب الشركات المصرية يتشدون
شاس شراء منتجات مصانعهم حرصاً عليّ الصناعة الوطنية
بمستقبل مئات الألوف من العاملين في هذه المصانع ، يحسن
هذا الإعلان الذي يحصل العديد من الدلالات بعضها تردد عن

فتح السوق المصرية أمام المنتجات الأجنبية ، ويبدو أننا تعود
من حيث بنانا ، أقصد العشرينات والثلاثينات ، لذكر أنني
قرأت افتتاحية مجلة الرسالة في الثلاثينات للمرحوم الأستاذ
أحمد حسن الزيات ، وكانت عن بنك مصر الذي اشترى
سفينتين للعمل على خطوط الملاحة بين الإسكندرية وأوروبا ،
وكان الأستاذ الزيات يحض المصريين في مجلة ثقافية على
التعامل مع هاتين السفينتين حرصاً على الاقتصاد الوطني ،
وفي نفس الوقت كانت قدعوون إلى شراء المنتجات المصرية
ذات طابع سياسي ، هل نحن في حاجة إلى دعوة عامة مثل
ذلك الآن ؟

بالتأكيد .. وهذا هو الأحزاب والفكر السياسي ، فالنفاق عن
المنتجات المصرية مسألة غاية في الأهمية ولا أبلغ إذا قلت أنها
مربطة بمستقبل الوطن ، غير أنني أردد في ألسي ، ما أتبه الليلة
بالمبارحة .



هَذَا الْوَزِيرُ .. الْفَيْيَلُ



لست واكتسب . لست لقد وحزن لوفيل . حتى أصبحت لا أرى
 ضوء النهار قصيبي الساطع يوماً . أما الآن فلأبدي الفسح
 فلعلم وكنت أحسني إلى عهد الخنى : ماذا يراد بوطننا الحبيب
 الطيب ؟

ثم تتردد ملامحه بلوة على مشيبي . فسحاته الطيبة . ويخرج
 لئي على ما جرى له بجزعي لما يخطط ويدير من قوى مجهولة لا
 يعلم إلا الله إلى أين تنهب الخيوط التي تحركها .

عرفته اللذات ليلة وسطني لمره زمناً حتى استقر في موقعه
 الخالي وزيراً للداخلية . لم تكن به قط في منصبه الجديد . وكنت
 اقرأ أخبار حربه ضد الإرهاب مع الذي عاش عصره بحارب الفساد
 في كل موقع . وكنا يروح طمحينه أثناء توليه المسؤولية في
 أسبوط . فيها فابته خلال ديسمبر الماضي .

ديسمبر الماضي

ضخبت إلى بر مصر الجنوبي . حيث مسقط رأس . وأصل
 موطني . في أسبوط التي توصلت بها لمدة لبنتين بذلت ألتاح ما
 يجري . من صراع بين الدولة والمصالحات المتطرفة . وذلك الصراع
 الذي كان مكتوماً بين المحافظ الشريف . الذي . وبين بعض مراكز
 الفساد في الحزب الوطني الديموقراطي والتي لا تزال في مواقعها
 للأسف . لم أكن متعلقاً إلى أي طرف في المدينة كنت مجرد عابر .
 بذلت ليمني إلى التفاحيل من سفاه الناس . الصراع بين الفساد

والظهور ، بين رجل نافر نفسه لحكومة وطنه ولظروفه القصور من
والفسادين ، وبين أولئك المتعصبين في مواقفهم يخطرون أنفسهم
علائق في القاهرة ، وتنشيطك عامة هنا أو هناك ، كانوا يحكمون
حصارهم حول اللواء ، حسن الألفي ، ساندتهم بعض أصحاب النفوذ ،
خاصة من نوع أن جعل مكانه ، وذلك بعض سمات الليبرالية
في مصر ، أن يبحث المسئول عن الشخص الذي يمكن أن يجعل
مكانه ثم يبدأ تشويهه أو محاولة حصاره ونزعه وخبره .

كان الموقف غريباً في ليبيا ، السلطة التي يشتد فيها التطرف
نعاني فيها الدولة من خلل خطير ، أما السياسة الأمنية المتبعة
وقسوة فكانت تنفر الناس وتضيق على أرواحهم ، شهر طويلة
قضت ومثلنا بأكتفها تحت الحصار ، منع التجول ، من يذكر الآن
نمرال اللواء حسن الألفي برفع الحصار عن ديروط ، عن أبو نج
محمود توبه وزارة الداخلية ، ثم سلطة القرارات الإنسانية التي
كانت تستهدف خضعة جموع الناس ، والتي أدت - في نظري
إلى هذا التعاطف الشعبي الواسع مع قوى الأمن ولحمول هذا
التعاطف إلى إجراء عطش ترجم في زيارتهم إلى ما يمكن اعتباره أول
واقعة إعدام عطش على أيدي الشعب لأحد العناصر الإرهابية .

أعود إلى ديسمبر ، . كانت الصورة في ليبيا متعبة ، مخيرة ،
نملك لم أتردد حينما علمت بذلك الصديق صلاح شريفنا مدير
الثقافة الجماهيرية في جنوب الصعيد إلى الحفاظ ليلاً ، طلبت
مصابحه ، كنت أريد أن أراه ، لأن المعروف على هذا المسئول الكبير

الذي لم ألتق بإنسان في أسبوعه لو سوهاج إلا ولتساء به وذكره
بالخير ، اللد أنسى مدة قصيرة في سوهاج لكنه عطف وراة عطف
في زمن يتدو فيه تلك ا

اللقاء الوحيد

ما بعد التسعة ليلاً ، في مكتبه ، وجدت نفسي في مواجهة
رجل مبدع الفاعلة ، له حضور جنتي ، وعلاج لب طيب القلب ،
بني السيرة ، حقاً . . . إن داخل الإنسان لينعكس على عينه ،
كأن صوره عادياً ، تسرى فيه سكينه صوفية ناعمة ، أصليت إلى
كلماته القليلة ، ولفظه الطعنة ، الدال ، حدتني بصراحة عن
فوضع الذي ألتفتني ، وبما متأثراً نتيجة بعض التصرفات الصغيرة
التي استهدفته شخصياً من سولج الفساد ، الوجه اللطال
للإرهاب ، قال لي القراء حسن الألفي بلهجة لن أنساها قط . .
« إنني في انتظار مصاحبة هنا ربما تأتي في أي لحظة » .

لم يكن سهلاً على منسى أن أخصني إلى مثل ذلك ، فارتقت
فرجل متأثراً ، وما زالت أذكر ملامحه عندما ودعني حتى مدخل
المكتب ، ما رشح داخلني عنه ، طيبته ، هناك كلمة مصفرة
نصف بها الإنسان الجيد ، أتمثل من معاني عديدة أو فنقل
أنها لجمعها كلها ، كلمة « طيب » ، الأهم من حروفها نطقاً
نها ، إنها اختزال لمعاني عديدة لا يمكن الإلزام بها ، أو شرحها .

كان القراء الألفي رجلاً « طيباً » لكنه ذو تاريخ طويل مشرف في
مكافحة الفساد ، وله في خدمته مباحث الأموال العامة ما تسمى

عظيم ، وسجل غثيف ، وفي رأبي أن مصر لا تزال نفسى ونفسى
أشغال هذا الرجل الفروع في مواقع عديدة تفيد مثله ، وأنا كانت
بإدراج الفسادة المروعة طافية وإقامة فؤاد أشغال الفؤاد الألقى في كل
موقع ما زال جوهر الوطن وأصحاب الناس سليمة .

قلت في القاهرة ، وكنت في هذا المكان يوميات بعنوان « في
مصر الجنبى » صرحت أحياناً وألقت أحياناً ، ولكننى قلت
موضوع قاطع أنه لابد من نفس الاشتباك بين الحافظ وقوى الفساد
من أكثر محافظات الصعيد حساسية بالنسبة لفضيحة الطوفان ،
وكانت براعاة الطبيعة الخاصة لأهلى الجنبى عند التعامل معهم .
لم نفس أيام وانتدح معرض القاهرة القبول للكتاب ، وفي لقاء
السوى مع الرئيس مبارك كتبت سؤالاً أرسلته إلى الدكتور سمير
سرحان الذى كان يدير اللقاء ، وكان يسلم الأسئلة إلى الرئيس
الذى يلقبها ويخترع عنها ، كانت المرة الأولى التى أطلب فيها
الحدث ، في مثل هذه اللقاءات اعتدت الإحصاء والتابعة ، تلك
أنى أجيد الكتابة ولا أجيد الحديث فشفهين ، كنت قد كتبت
إلى الرئيس مطوراً عن مطوراً الوضع في أسيوط ، وما يعرض له
قواء الألقى ، وأرجوه أن يتدخل شخصياً ..

فوجدت بالرئيس يدعونى إلى الحديث ، وتكلمت بما يسمح به
مفترض الخيال على مرتنى وسسمح من أجهزة الإعلام وبعد انتهاء
لوائى ، لوما الرئيس مبارك شاكراً بتواضعه وورقة ، بدأ ربه على بلولة :
« ... فتجنب الحديث عما يجرى في أسيوط الآن ، وتحدثت

عن الطوفان في مصر ... »

لم تكن القوى وتنتهذه كنان قد اتخذ قراره بالفعل بتعيين اللواء
حسن الأتلي وزيراً للداخلية ، أما توقيت إعلانه فنضعه للقائمين
بالتعليقات لا أعلم عنها شيئاً ١

الأربعاء ليلاً

عنا العنف ، تلك الأشلاء ، هذه القماء ، القتلها ، هل عنا
هو الإسلام ؟

دينا الحنيف ، الرحيم ، أي صلة لتلك الجماعات التي تحركها
مخاضات قول عظمى ونسوى صهيونية لهد الأذن في الإسلام
لتحدى الأكبر لها ، تلك من الصورة التي يريدون تلحق الإسلام
بها في الغرب ، وطلبه أنحاء العالم ، العنف ، القماء ، القتل ،
وما لهذا ، هذه الجماعات المتطرفة إلا استكمالاً لعناصر تلك الصورة
التي يريد الغرب ليسيدها للإسلام ، أما بالنسبة لمصر فهناك
هدف أبعد ، إنه ليرقى هذا الوطن ، لنضع به إلى مساهمات تصوية
تهي وحدته الأبدية ، استقرار مصر في المنطقة غير مطلوب فيما
يبدو من النظام العالمي الجديد ، استقرار مصر وجيورها لتساكنها
فيه لهد لتكفل ما يرد للعالم العربي وللإسلام ، فمصر هي القوة
الصلابة ، ومجرد تاسكها واستقرارها فيه لهد لا يرد للغرب
والمسلمين ، يندد دعماً إلى دولة العنف ومحاولة تطبيع لوصالها .
كنت أصغى إلى الراديو منتبهاً للأخبار والتعليقات ، هذا
شأنى بعد الحوادث القطيعة ، أصغيت إلى صراخ التنظيمات
الإرهابية على إعلان مسئوليتها عن محاولة الاغتيال الفاشلة ،
والصراخ كله يبدأ من أفغانستان حيث يتحركزون الآن ، ثلاث

أو أربع تنظيمات تتنافس فيما بينها ، ألا يذكرنا ذلك بظاهرة
نسانية خلال الحرب الأهلية .

هل الصراع على إعلان السيادة مرتبط بإثبات الولاء أمام الجهة
السوية ؟ هذه الجهة التي ربما تتمركز في إحدى طوائف البشناجون .
أو أحد مفاز الوكالة المركزية في صحراء تيفانا ، أو مكان ما من
نظرة الأوروبية .

تصوروا معنى لو أن هذه الجماعات التكتت من الوطن ، أي
عراصات وهبة ستثور فيما بينها ، أي عراب ستفتح إليه مصر
دعماً ، أي دعاء ذكية سوف تنهجر ؟ ، لتنظر إلى القطار الذي خرج
ويخرج بأفغانستان نفسها وهذا القطار بين حكمتبار ورواني ، هل
براه لمصر مصرًا كهذا ؟

أناج تصريحات الرجل الطيب ، التي أكد على ضرورة معاملة
ناس بإنسانية في المسام الشرطة ، صاحب للناس الظويل في
مفاومة القساء ، الرجل الطاهر ، ذو السمعة الحسنة ، كانت
كلماته تفيض بإيمان قوي ، حقيقي ، نابع من القلب ، إيمان
المسلم الحقيقي ، العصري الكارء للحرف ، والدماء والبنطابا ،
وأوراق الصحف التي تغطي الأشلاء .

هذا جديد على حياتنا ، على أهل مصر الطيبين ، هذا شر
يجب أن نتحد جميعًا لمواجهة ، للقاتلة ، إن هذا الوطن في أشد
الحاجة إلى ناسكته ، إلى وحده الآن ، فالرج الصغراء القادما
تلبلة بالسوم التي تستهدف جفر حياتنا وهدنا نفسه ..

عسى الله هذا الوطن الجميل ، ونفس تلك الإنسان الطيب
ورده سائلاً إلى بلاده التي لم يشأ لها إلا الخير .

رحمة وأصالة ،

في نهاية السنين عملت في قسم التعليقات الصحفية ،
وفي الاجتماع اليومي الصباحي كان الزميل سيد أبو الجهد يهجن
سيكراً ، وفي هذه المصاحبات من صحف اليوم اتصلها بعناية إلى
يونان أيضاً ، وكتب تحت كل فصاحة تعليقاً ، كان نيتاً للأكثر
الجديلة والفتوحات ، ثم تولت الأيام ، نظرت لعظمى كمحور
عسكري ، وتولت السنون ، ولم أجد لرى الزميل التثبط ، التردد
نعتاً ، ثم عرفت أنه وقع فريسة للعرض ، عرض فاسي لزمه
لقرائن سنوات .

بعد حضور ، أخبار الأوب ، فوجئت بطروف أيضا متفجع
بالأرواح ، كان يحوي خطاباً وتعليقاً مكتوب بعناية على الآلة
الكتابة ، يتضمن تهينة جارة ، من الصديق والزميل القديم الذي
أنعمه المرض أحد عشر عامًا على كرسي متحرك ، لكنه لم يتل
خط من نعتة فذكرى الجواد ، كانت الأرواح للرفقة الحوي التراحات
عديدة ، لأخبار الأوب ، التراحات لاسعة وذكية تصد عن
مناجيع تفيل للحبة الثقافية وليس عن مرضي ناء المرض عليه
يتكلم ، واستعنت على قنور ملاح الزميل العزيز ، متأثراً بذلك
الذم الذي يصارع المرض ، فما زال الصحفي والحارب الذي يلهو
المعز ويبيض حيرة فوق اللعد المتحرك . . . شفاء الله .



عَبَّاسُ الْمَوْدِ لَيْلًا



الأربعاء

الواحدة ما بعد منتصف الليل .

تشرق السيارة التي يلونها صديلي الدكتور سعد الدين إبراهيم
شوارع العمادي للكونية بالصمت والوجود الخفى للأجانب وكثافة
الأشجار .

حوار بيننا حول الأوب في القاهرة والأقاليم ..

التنوب من مرزقان الخط الحديدي القديم الفرد الذي يربط حلوان
بالمحاسة ولا أفرى إلى أين نفس بعد ذلك . مرزقان فيكتوريا
كما يصرف في العمادي . تحت كشكاً يسبح الحطوي والسجائر
والشروبات الغازية يسهر عاتاة إلى ساعة متأخرة . جتدي مرور
بلف متعباً كما بدت وقته المتراخية عند طرف الأبر للمرزقان .

الطريق عمال إلا من الليل . والحضور البشري المتوارى عن
النظر . والنداح العربة . كانت ملايح الدكتور سعد مبهمة . بلود
بحركات آية لنا . يكتفى بالإصغاء . تلمت السيارة قليلاً بتأثير
الضباب ..

صغير نوي وحب

إلى البين تحت

مقدمة فاطمة كالفقر . كالتنير . كتلة من القصة الحديدية .
بتوسط أملاًما صباح نوي الفوق غير السيارة .

المسافة الفاصلة بالقسط حوالي ستة أو سبعة أمتار . ومطباس
أمر . التفتت السيارة سفار لغتين اثنين للعجلات . عما ما

عملاً فاصلاً بيننا وبين القطر الذي يجر عطفه عمداً كبيراً من
عربات البضاعة ، لحظة رؤيتي للظاهرة ، لحظة سماع صليها ،
هل رأينا السائق المجهول لنا ، المجهولون نحن له ؟
لا أتري ..

كانت المسافة الفاصلة قصيرة جداً حتى أن خطلة الهواء ، اعلاها
عزت السيارة التي لم تتوقف واستمرت متدفقة .
شئت ؟

أوماً الدكتور سعد يرأسه ، كان عادياً ، لم تتغير ملامحه ، إلا
أن حالة انفعالية بدأت تنمو داخلي ..



مرات بلا حصر واجهت خلالها الموت ، حضرت لتفاسيل من
ذاكرتي لحظات يمكن أن تتواري والتدنر مع غيرها ، منذ سقوطي من
طوقتي من ترام رقم ١٩ الذي كان يربط الأزهر بميدان العتبة ويخاين
بأعجوبة ، ومرات مرور سيارات على مسافة قريبة جداً أثناء
عبوري شوارع القاهرة تشارد الفكر ، إلا أن فترة عملي في جبهة
القتال كمراسل حرس الأخبار ، شهدت مواقف عديدة ، واجهت
خلالها الموت ورأيت بألم عيني ، بل إن الصدقة لعبت دوراً في بلاتي
حيث لمسي ، فلو أنني بدلت مكان سيرى أثناء ذلك المصنف الذي
تعرضنا له في منطقتي الكتاب لتعبت بدلاً من سائق البضاعة الذي
أصابته نظية غلظة ، ولو أن حرية الجيب التي كنت أركبها بصحة
بمقل درس في التجهة الصور المتجاع مكرم جاد الكروي ، والأسفاد

محمد عرفة ، الو أنها تأخرت في سرعا قليلاً لطقتا قبلة الطائرة
سكاي هوك زنة الألف وظل قتي الضجرت لرب جسر حديدي
للأمه عبره سلاح للهندسين ومدت قوله سنة عبره روس ، لو أنا
تأخرنا قليلاً عند لحظة الثالث مدخل مدينة السويس ، كانوا
يوقنون العربات معنا للتحقق من تصاريح المرور ، في تلك اليوم
الحار من أغسطس سنة سبعين والسماحة واللب عاجت الطائرات
التطلة بعد اجتيازنا لها بتدقيقين .

مررت عديده بلا حصر ، والضرب أنني لحظة الخطر كنت
أعيش اللحظة وكأنني أقرب شخصاً آخر يعضني عنه مدى ،
ويهدوه ، حتى إذا انقضت لحظات الخطر بدلت لتستبد ما كان ،
ويتأبى الخوف لو الحيرة والشكر الله كثيراً على أنني ما زلت حياً
والآن أجلى للمفكر لم ينته بعد ، والضرب أنني كنت لتسمر بعد
انقضاء الخطر أنني أعيش وأنا إيماناً متفناً ، وقت ضائع مثل تلك
اللحظات التي تصاف إلى مباريات كرة القدم ، وبدلاً من تضاعف
الحرص ، أو الخوف ، كنت لزداد جرأة في لحظات الخطر التالية ،
ولذلك عرفت أن مواجهة الخطر أثناء القتال لتتبع على مواجهته
مررت أخرى ، وهذا ما بسببه العسكريون تنظيم للمركبة .

ولكنني خلال الحرب الطويلة التي خاضتها مصر بعد هزيمة
١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ كنت نمتقنا بالحماس والروح الوطنية
التأججة ، كانت هناك قضية كبرى يتصالح إلى جانبها كل
شيء ، حتى الموت . .

تكن .. هذا الوقت الجانبي الناتج عن الإعمال ، عن النسب بين
 لدى لودي بطلبية في مستقبل التسليم العام الماضي عند الزلزالان
 المماثلين ، فوق هذا الخط عينه ، هذا الإعمال الذي لودي بطلبية
 في الفترة الأسبوع الماضي عندما سلطت في حفرة عميقة وعميقة
 أجهزة الدفاع المدني والإنقاذ عن استخراج جثتها ، وأجبرت شركة
 سفارات وشركة بتسوكا ولكن .. بعد ثلاثة أيام ، بعد فوات
 الأوان خرجت بعدها الصغيرة وبها قول رأسها في وضع غريب
 وكأنه صرخة احتجاج برية ، مماثلة عند التسليم الذي أصبح
 سنة من سنت حياتنا ..

لا ..

لنرجع

إلى مكان الله قد أنقذنا ، وعبرنا مباشرة أمام الموت ، فمنا
 سيحدث فداً لو بعد قد مع آخرين لا نعرفهم ، لا بد أن أكرر
 الحقيقة ..

لماذا لم يحضروا جندي المرور ؟

لماذا لم تنق الإشارات الحمراء عند الزلزالان ؟

لأننا لا يوجد حاجز يمنع مرور العربات عند مرور هذا الوحش
 الليلي والذي يحتاج إلى مسافة كبيرة حتى يتمكن الوقوف ، مسافة
 كما مستغل خلالها بالمجالات ، والتضيق ، هذا كله بعد للمنى
 النظرة ، الصدمة الهائلة والمستدعا إلى جهة اليمين حيث كنت
 أجلس ..

فعلًا .. لأبد من وفلدة ..

واستغل الدكتور سعد حياته .



توقفتنا أمام المرزوقان الذي حبره الطوت منذ طيضان . لمحت
جندى المرور . لم يكن هناك غيره . نرجلت . التهيبت إليه . كان
شابًا ريفيًا . مجتهدًا . مجهود الملامح . يرتدى شترًا سوداء خشوية
. ونخلاء رأس أكبر من تصافحه . لم أكن قلقًا على إبداء التسوية لـ
اتباع منطقي . من شوق يتكلم من ١٢ . سألته بهدوء .. لماذا
لم يخلعوا أبناء مروونا . لماذا لم يرتجع به ٢

قال بسرعة إن العربات كلها كانت وفلدة .

سألته : أي عربات ؟

قال : كانت هنا ..

وأشار إلى المكان الذي همونا منه . كنت بحاجة إلى اللؤلؤ أنتي
متأكد لماذا أنه لم يكن هناك أي سيارات خلال اجتيازنا المرزوقان .
رحمت لأكد له ذلك . بعد لحظات قال :

١ متى ربما ستر ونجاكم .. زعلانا ليه ٢

لمت أن ذلك يمكن أن يحدث في المرة التالية . وخرج ضحايًا
أبرياء . كانت أسوار كلية النصر على مرمى البصر حيث يدرس
مئات الطلبة بينهم أبني وابنتي ..

١ لماذا كان المرزوقان مفتوحًا ٢

قال بلهجت الريفية القنصية أن الجزير الذي بعد الزلفان من مسجولتي
الحفير .

« هل يوجد حفير ؟ »

أشار إلي كشك مسجولتي في القنصة إلى جوار الزلفان . كان
موزنا يدور الآن بدرجة صوت أعلى ، الخلق أنتي كنت مسجولاً
من بصيرل الجندی على خلق واقع أصغر لا علاقة له بما رأيت . رغبة
به في التخلص من القنصية . وكنت في حيرة من امرى أمام هذا
الإنسان شديد الإنفعال ، الذي جاء من قرية بعيدة ربما ، وأسرره
بأولاد هنا . في منطقة ربما لا يعرف شوارعها ، رغم ظنني أنه
كنت منطلقاً عليه . إلا أنتي شعرت بالسخط الحفيظي عندما
رأيت الحفير .



رما تجاوز الحسین ، علائبه رقة ، لميوس وتظنون ، حبة غير
حليقة ، تحيل ، في عينيه آثار النوم ، بقا غير هارين بأى شيء .
سؤال بدوالية :

« إيه .. قه إيه ؟ »

كثرت استفساراتي مرة أخرى ، لما لم تكن هناك أي علامة
إطار ، لا ضوء أحمر ، لا وثائق جروس ، لا جزير حديدي ..
تأ بلا مبالاة ..

« الجزير يحطه بالنهار بس .. »

كانت إجابته غير منطقية ، واستفزتها أيضاً ، راح جندي المرور يتابع الحواري ، بينما ظهر رجل الشيب يرتدي جلباباً ، لا أذكرى من أين جاء ، في هذه الساعة القليلة المتأخرة ؟ وما كانت له علاقة بالكنتك الذي لا يفتي أبراه ..

« صابرا على نسي روزنوا .. »

في هذه اللحظة ظهرت سيارة شرطة ، إحدى قنويات النسي ظهرت أعيرك في مدينتنا ، توفقت ، نزل منها ضابط مهذب ، راح يمشي إلى ما حدث بعد أن سألتني ، أكتفت له أن الزلزال كان مفتوحاً لنا ، وما من علامة تحذير تشير إلى الخطر للقتوب ، كور جندي المرور ..

« كانت فيه عربات واقفا .. »

« هنا صاحب الخفير .. »

« والجنزير كان مسطوط .. »

« قال الرجل يرتدي الجلباب .. »

« مش له أنت يتقول إنك بتخطه بالنهار بس .. »

التفت الضابط إلى جندي المرور ، طلب بطلانته ، هنا قال الدكتور سعد الذي لم يفرق العربة واكتفى بتابعة الحواري من خلف القرد ..

« الخفير هو الذي يستحق الساطة .. »

« قال الضابط .. »

- « هناك جهة مسئولة عنه .. سأبحث في مكتب المحاماة ... »
- صاح الخبير طويلاً بهذه ..
- « أيا من الرماة وعشرين سنة وعشارف سنن كوكس .. وبعدين اسم كوكسين أعده زحلانين ليه بلي ؟ »
- كثرت سؤالي عن وجود الجنزير الذي يمنع مرور العربات ، فقال الخبير متطعناً إلى نقطة في الفراغ ..
- « طبعا .. كان فيه جنزير ... »
- تسألت بهتوا ..
- « مال عدتها إزاي ونسفا القطار على بعد اسنار منا فوق القصب؟ »
- لوح بيديه ..
- « واخذ اسأل نفسك إزاي .. وأنا ليش عرفني ؟ »
- راح الرجل ذو الجلياب يكرر ..
- « يا به حشفا فده على السلامة .. حصل خبر ... »
- بدأ جندي المرور مضطرباً ، بينما كان الخبير نعتاً في الكتاب ، كان الواقع الذي يعيد خلقه مناقضاً لما كان الواقع الذي حدثته ومررت به وكثرتا نفضت حياتنا خلاله . كان الليل موحشاً ، والتمشيت يستقل من طور إلى طور ، والحرف بدأ يتصالح لدى جندي المرور الذي بدا لي أنه سيكون الفصحى الوحيدة ، بينما السنول الرئيس يستقل من طور في الكتاب إلى طور آخر ، راح الرجل ذو الجلياب

« حفيداً لله على سلامتكم .. خلاصين بلى يا بهه .. »
« داخلتي إنشغال على الجندي ، أعود الضابط إليه البطاقة ،
عدت إلى السيارة ، إلى غير الزلزالان ، قال الدكتور سعد الدين
إبراهيم .. »

« كنت أعرف أن الموقف سينتهي إلى ما انتهى إليه .. »
« لم أزد ، كنت أفكر في الاحتمالات ، واضطراب الطائرة
بالسيارة ، وانعاشات ما كان يمكن أن يحدث ، وكعب الخبير ،
والأخباراته ويزسه أيضاً .. »

استمر الدكتور سعد ، قال :

« على أي حال إما كان لأبد من فائقة فؤاده وما يتببه إلى أثناء
واجبه أسرع آخر .. ثم يعود إلى ما كان عليه .. »
« واستمرت العربة تنظم في الليل ، مدينة لمركبتها ، لوجود
راكبها إلى الصدفة والأجل القدر ! »



الفجر الجميل



جاء أبي من أقصى الصعيد يسعى في العشرينات تطريفاً ، لزوم
 جوار سيدنا وحبيبنا ومولانا الحسين ، تنقل من حارة نحوى قدم ،
 إلى العطوف ، إلى توب الطيللاوى بلعصر الشروق ، وإلى توب
 الطيللاوى جنت ، كلها أماكن قريبة من المصريح القاهرى للإمام
 الشهيد ، ثم يهتف يوماً صلاة الفجر في مسجده ، من أركان
 صباى قباية مبكراً ، إن في هر الصيف لم تتلوا الحريف أو زهور
 لشتاء ، وعودته مع مطلع النهار حاملاً إظهارنا اليومى ، الطيز
 الطازج اليومى ، وطبق الفول من باع مشهور اسمه أبو حجر ،
 كان يلف جهة حارة أم الغلام ، يزين سطح الفول بلصوص ثم
 يهرسه ، وتوابل حريفة ، ما زال يفاظه في نفس مع أن العهد
 انقطع به منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً ، أما ابن الفلكس
 فلم يما زال عبر بخاره يفتح وجنتى .

صوت اللهباب الخشبي في الفجر ، الله يشدق من صابور
 لوضوء ، لمحبة الخراج الفسى باع العطور وجارنا إذ يلقى أبي فوق
 قلم ، نلت لا لذكر اسمه ، ابتعاد خطراتهم في سكون الليل ،
 عبر الفجر الجليل .

عندما بدلت لاصح أبي نصبت باعتراز وزهر ، وعند اجتيازى
 باب المسجد للطر بالأسنان والوسنة وحضوره وذكرى صاحبه لل
 عناصر لاسيا من تكونى .

رائحة الحصر الذى كان يلقى الأرض ، ثم الأبطة الحمراء ،
 فصرخ التروانى ، الموسى بأغنام علفية المصدر ، لا ألق فراخه

الآن ، لا أريد ظهوري إلى أحد الأصدقاء الرجالية إلا . . . وأنتي
، ما في خوفك للضحك علي ما نفسى وكان .



كان أمي يحصل في وزارة الزراعة ، تلك الظرف الراسخ في القطن ،
أحياناً يصحبني معي إلي المنحرف الزراعى ، كانت التغطية المحيطة
حتى نهاية الخمسينات مغطاة بالزراعى والحقول ، بساط من الخضرة
الرفيعة الصرية ، كانت كلمة إنبابة بالنسبة لمن يسكن الجمالية
نوعى بالبعد الشديد ، أما القرواى وبولاق فذكرور فمناطق ثانية .

بالقرب من مبنى الوزارة ، بالتحديد ما بين القطن والتيل الشوارع
عائنة ، ومباني جميلة ، عمارات فسحة ، وضوء مختلف ، كنت
أسكن أمي : لماذا لا نسكن هنا ؟ فتأنتهى إجابته التى أصبحت إليها
مرراً ، يصبح مختلفة ، وفى ظروف متغيرة . .

، لا يمكن أن أوافق الحسين . . .

وأنت كنت متعجباً ، كيف بلغل الخوارى القبيحة على الشوارع
الصبيحة ؟ مرت الأيام ، والسنوات ، وبعدت الشقة بين الطفل الذى
كان والرجل الذى أصبح يسمى ، ومع الوقت بدأ يتكشف له
الغنى ، ويرى ما لم يكن قديماً على رؤيته ، بدأ الطفل الذى كان
سركاً إجابة الولد ولكن كأمور عديدة في حياته ، بعد ثورات الأوان ،
كان قد اختلف مع الأسرة في بداية السبعينات إلى مدينة نصر ،
بعندما كونه كسوته الصغيرة ، استقر في حلوان ، ومع مرور الزمن ،
بدأ شعوره بلوى ، وحسه بلوى ، إنه أودع ركباً ركباً من كنبوته

عناك ، وفي كل حين ، لا يرأسه إلا بعض رؤسا أو رؤس ، وهم
في الشوارع التي سعى فيها خلقاً ، ثم شهدت الطفرة ، وصيادته ،
وأحلامه ، ورواه ، وحينئذ ، ساروا الآن للمناسي ، والمساجد
الصغيرة ، ويوت بعض الأصدقاء المناسي .



غير أن موضوع سكينتي ، ودلار روسي ، في تلك المسجد
القاهرة ، الضمخ بالخبين ، وكلمة حلت ذكرى قوائد التكرم ،
التي صرت في الثامن وعشرين من أكتوبر المناسي ، لا يكتمل
إحيائها لها إلا بزارة مسجد الحسين ، والمكوث فيه ، العمل روسي
لهائمه يهجع ، والعمل للزق التي أصابني ظنم ، وهذا الخطر بعد
علاوة المنصر إلى الضريح ، أكاد أرى عظمي أين في عظامي ،
وسعيه في سعي ، وإطرافه رأسه في إطرافتي ، حتى إبطاخ
الظن ، كأنني أصفي إليه ، لقد أعزكت معنى الكثير ما قاله لي ،
ما كنت أصفي إلى بعضه بدعته ، أو غيرها ، أو بعض ، لكن . .
بعد مرور الوقت ، وسعيه هو في الكواكب لا تفرك ، ولم يعد لي إلا
الفترة على حيازة الذكرى من الزمن ، وحسب الحياء .

عبدالله النعم

في الأيام الثماني للموسيقى العربية والفدى عهد في القاهرة منذ
عام بالقصير في دار الأوبرا ، جاءت فرق موسيقية من بلاد
عربية ، وفرقة من إسبانيا للقدم الموسيقي الأنطلسية بشكلها القديم
بعد أن قاموا بتصنيع آلات موسيقية مستعدين بكتب الموسيقي
العربية الأنطلسية القديمة .

من الفرق التي تركت أثرًا عميقًا عندي فرقة سورية ، فرقة معهد دمشق بلونها موسيقار عجوز اسمه عدنان البلوش من القطرعات الأسرة التي لقبها ، ملطوفا بعنوان « حدائق النغم » تقوم على تلف المقامات الموسيقية العربية المختلفة في تانس نسجي واسع ، وعلاقتي بالموسيقى العربية التقليدية وثيقة ، حضورية ، إذ تشكل دائما الخلفية التي أصل فيها ، خاصة أثناء الكتابة ، حقا . . لم أت ملطومات العسا ، والنهاوند ، والمزور ، والسبكا ، والحجازي كار ، من قراخ . . . إنما نبعث من الطبيعة الخاصة للشرق ، ومن التشكوين القوي لأهله ، وقد ساعدني الموسيقار عماد الشريم في فهم أسرار الجمال في الموسيقى العربية من خلال برنامجته الجميل ، المصنق « عوامس في بحر النغم » والذي ألغى على الإصغاء إليه حتى لو كنت خارج الديار ، دائما بعد منتصف ليلة الأحد .

بعد استماعي إلى فرقة عدنان البلوش نيت أن أكتب تسجيلاً حدائق النغم ، فإلا أحتصل أن تكون الموسيقى مجرد ذكرى ، وإنما أحرم على نسبة مكتسبي الخاصة من التسجيلات الموسيقية والتي أيمانتي السفاوي المنعقدة في إراثها ، والصفاتي الأحياء الذين يبلغون لرغبي لم أطاها ، يسألوني عما أحتاجه ، أو مصيهم بموسيقى الشعوب الأصيلة .

منذ شهر عطلت أن دار الأوبرا طبعت عشر شرائط نغم عروسي الفرق الموسيقية التي شاركت في المهرجان ، وخرجت على القوي لأشرفي هذا الفكر القمين ، فوجدت كثيرا أنعم . . تسجيلات مؤثر

الوسيلة العربية الأولى ، التي عقد عام ثلاثة وثلاثين ، أي منذ
سنتين خطاً .

التسجيلات جيدة ، واتضح للمرء القراء العروض القنطرة التي
تقدم على نثر الأوبرا المصرية ، والفرج على الصديق الدكتور ناصر
الأنصاري التوسع في إصدارات نثر الأوبرا ، بحيث يتم بيع
تسجيلات العروض الجميلة للجمهور على شروط مسموحها
وأخرى مرتبة ، إن تلك مثل موردًا أيضًا لا بأس به ، إضافة إلى
إتاحة الفرصة لهواة الفن الرفيع لاقتناء والاستماع به .

ممدوح البتاجي

تعرفت إلى الدكتور ممدوح البتاجي في باريس عام ثمانين ،
عند توقيع عقد ترجمة روايتي « الفريز بيركات » ، كتابه يشغل
منصب المنشور الإعلامي في فرنسا التي ترس بها وحصل من
السوريون على دكتوراه الفولك ، ثم جاء إلى مصر ليتولى مسئولية
هيئة الإستعلامات ، ومن خلال جهده لمولت هذه الهيئة التي
كانت تبدو خاضعة لنظم المثلثين إلى منارة حليلية ، وبعد أداء
الهيئة خلال فترة توليه قيادتها ، رائدًا ، حركة على كل الجبهات
للإعلام بتلغة مصر وحضارتها ، وعندما صدر قرار بتعيينه أمينًا
للحزب الوطني بالقاهرة ، شعرنا على الفور بأن ثمة شيئًا جديدًا
يطلق في شرايين الشارع السياسي ، ومن هنا غابني أطلع بتفصيل
كثير إلى قطاع السياحة بعد أن أصبح مسئولاً عنه ، وبرز خطا
لتفصيل معرفتي العميقة بشخصه القوامي جيد ، الفيزي ، الشريف

جفت ، جفت ، والإعلامية المتميزين لوطنه ، وفهمته ما يجري فيهم
 العالم ، والسلوب متعاطية للرأي الغربي ، وللتأكيد فإن أول ما
 يواجهه هو التصدي لأنار العمليات الإرهابية التي تحاول بها قوى
 لا يعلم إلا الله أين تنهض عيوطها ، والتي تستهدف ضرب
 السياحة وخلق مفقولات الوطن ، هنا تبرز لهمة عبرته الإعلامية
 نظريته ، وعلاقاته الشخصية ، المعروفة برجال الأعمال في
 عواصم العالم المختلفة ، بالتأكيد .. قطاع السياحة المصري الآن
 بين يدي رجل عالم ، متلف ، شريف ، تزيه .. لا أدكر الدكتور
 مدوح البلطاجي ، ولا يتداهن إلى ذهن كل هذه المعاني ، ولا
 شك إنها معلومات ودعائم نجاح أي عمل ناجح ، المعنى أن نعتقد
 تلك الظهورات المتسببة التي كانت تلتفت يومياً من هيئة
 الاستعلامات لفضنا في قلب العالم وتكره .

مستلداً

في أحد الشوارع التي تعشق منطقة البساتين التي اشترج فيها
 عمارات الأحياء بطور المبنى القديمة والحديثة ، توقفت حافلة
 لنقل العام في مواجهة حافلة أخرى قائمة في الاتجاه العكس ،
 عند تقاطع الشوارع لتتقاطع في عشوائية ، ولا يوجد نظام للسرور يمكن
 لقائد أي سيارة الاتجاه كلفما شاء .

من متعدي الأمانى رحمت ألتطع إلى قائد الحافلة الواجبة ،
 كان في الأربعينات تقريباً ، يبدو نحيلاً ، مرهقاً ، متحافاً بعدد
 من الركاب الذين يحاولون إيجاد موضع لقدم في الزحام ، كانت

الحافلة مكتظة بالركاب ، أكثر زحاما من تلك التي أركبها ، بدأ
أن كل منهما يفضل التزام القمصت في القيادة ، التعلق بالعلق
الحظي بينهما ..

« طيب .. ويخدين ؟ »

سألت حائلنا والتي ، استند إلى الكود وعطفت ببطء في وجه
زبدك عبر زجاج الواجهة ، طبعاً .. الحظ إلى جانبه فهو يلود في
الانجذاب الصحيح ، والحافلة الأخرى هي الحافلة ، مضي الوقت
وكل منهما في مكانه ، ساد صمت لظن ، تزايد التحديق كل منهما
في الآخر ، الروح سائلنا يده ، ثم لطفاً المحرك ، وصاح صحتك ..

« طيب .. لذي قعدة .. »

كل منهما ملبد إلى مكانه حفة ساحلان يومياً ، ليدانة السيارات
تعمل الوحيد الذي لا يمكن التفكك منه ، أو التزويج ، أو الإعمال
، والقيادة في مدينة مثل القاهرة مكلفة جداً للأصحاب والطلبة ،
بدأ الركاب يتسلطون ، ولكن صمت السائقين والتحديق كل منهما
في الآخر استمر ، هل كانا يتسلمان لحظات من قراحة وأثرا أن
يبدو أمام الجميع في عبوة خلات أو لحد ؟

لجلك .. لروح سائق الحافلة الأخرى الخائفة ، إشارة لمرء
خافية ، تنسى : إنصح الطريق !

عنا صاح قائد حائلنا :

« يا معلم اتهدوا .. بين طينا التعلقان ؟ وكمان عايزني أوسع

له .. »

من مثل هذه المؤلفات ، ينحاز واكبر المحافظة إلى فائدة السائر
 التي يستغلونها ، وأثناء ركوب المواصلات العامة ،
 واليكروبات الأخط أن الركاب يظلون مهاجمين الآخرين
 الذين لم يتعلموا القيادة ، أو الشباب الصغير الذي يلود كل
 منهم سيارة اشتريتها له أنه ا ، طبعاً الركاب يجاملون السائق
 الذي يلودهم نحو الجاه محين ، وترتبط حياتهم بما قد يتعرض
 له هو من أخطار ، ، كلنا في القوس سواء ، ولكن .. في
 حياتنا نحن ، كان الخطأ مسؤولية الآخر ، ومع ذلك بدأ تصرفاً
 بمروراً غربياً .

صاح بعض الركاب مخاطبين السائق الخائف ، لكي يرجع إلى
 الطريق الصحيح ، فقط ما عليه إلا أن يتراجع مقدراً عجبتين ثم
 سلك طريقه الأصلي ، ففاجأة الأخرى ، ولكنه لم يفعل ، ولأن
 الخجل إلى جانب سائقنا فقد أطرق قليلاً برأسه وترك مهمة
 الاشيائك للركاب الذين تعرضوا للعارات فاسية من السائق الآخر .
 نفس الوقت ، وبدلت عربات أخرى في إطلاق أبوابها ،
 واعتصر أمرون الأمر ليقلوا يظلون الوقع للاقتال إلى شهر الآخر
 من الطريق والسير في الاتجاه الخاطئ ، بينما استنصر ونسوف
 الحافلتين ، الضخمتين ، بدلت استنصر بطلاق ، لا أخرى كيف
 سينتهي هذا العناد من الآخر .

فجأة .. ظهر رجل قصير ، نحيل ، يرتدي جلباباً ، يبدو أنه
 صاحب نسبة الشاي القريبة ، وقف بين الحافلتين ، مخاطب
 سائليين بصوت عاتب ..

- « له يا رجله المتدنه بس .. لما إتتم نعملوا كنه مع بعض .. »
- « لعل الأخراب يعملوا إيه في بعض .. »
- « هنا صاحب السائق الآخر .. »
- « أنا قللي متخس الأول .. »
- « صاحب سائقنا .. »
- « عر الظلمة زي ما إنت شايف .. »
- « كبر الرجل .. »
- « يا جدهان .. متى إتوا قللي نعملوا في بعض كنه .. »
- « هنا صاحب سائقنا .. »
- « والله عشان خاطرلك إنت بس .. »
- لقد محرك السيارة ، بدأ المناورة اللامحاذة إلى الجانب الآخر ، الحافض ، مع أن الطريق طريقه واضح حله ، بينما كنت أتذكر في الرجل التحليل ، لو الجلباب ، وأقوله : « يجب نعملوا كنه في بعض .. لعل الأخراب يعملوا إيه ؟ » مع أن السائقين لا يعرف أحدهما الآخر كما بدأ تلك المحادثة ، ربما لأنهما في هيئة واحدة ، وربما في هيئة واحدة ، وربما لأنهما كانا في حاجة فقط إلى إنهاء هذا الموقف حالي وثو نفسي كل منهما في الطريق المقصد تحريكه ؟



کتابتِ خزانہ ..



غزالي ،

السوس

غزالي

لا نذكر إلا منهما إلا واستدعي الآخر على الفور ، كل منهما مرتبط بالآخر ، ليس عندي لولي مستعيني ، إنما في المكان ، والتاريخ أيضًا والحق ، لا أخرى متى رأيت الكائين غزالي أول مرة ، وإذا أتيت والطبل البحث في ذاكرتي للثقل ، للنعبة والتي بدأ كثير من مفسوتها يتولى ويصعب على استدعائه ، إذا أدير البصر إلى ما مضى ، خاصة تلك الحظية التالية لهزيمة يونيو أكتاد لوقت أنني تعرفت إليه في القاهرة ، ربما في عطية ايزانيفستر القدير في ميدان التحرير ، والذي كان موضعًا يأنس فيه العديد من المثقفين ، خاصة كتاب السنين ، حل قائله مع عبد الرحمن الأبنودي ؟

ربما .. كان الأبنودي قد توجه إلى الجسدية عقب الهزيمة وبدأ يكتب ملحمة الرثاء ، وجوه على الشط ، والتي تعد تسجيلاً لموجم تلك الحظية ، وتصبيراً دقيقاً ، وبعيداً عن أجمل وأبيل ما يكمن داخل أولئك المصريين ، الأعملاء ، البسطاء ، الذين أبوا التهجير ، وبقوا على شاطئ القنطرة في مرمى الأسلحة الحظيفة للعدو ، وحديثي عن هؤلاء ، وعن لهرتهم بطول ، الكنتشي الكنتشي الآن بالقول ، بالتصريح والتعريح ، إلى أنه مهما جرت التطويرات

ومهدما تبطلت الأوضاع ، فإن مضطرب تلك الأيام أثنى ما نرى
دخيرة لنا الروحانية ، وأعظم ما نتعصم به وقت الشدة ! لا نعرف
ما ينتبه لنا الزمن القادم .

غزالي بلغات التحفة ، للتوسط ، وبعافه الرفوح دائماً ، وجهه
التحوت بلوا ، ملايحه البسطة ذات الطابع العملي ، بعد الهزيمة
تكون فرقة من أبناء السويس راحت لهبوب للواقع العسكرية والذات
الصعبة ، والقرى ، تعلم الأناشيد والأشعار التي نظمها غزالي
ولحنها مستوحياً التراث السويس القديم ، المسحبة تلك الأكلة
لوانية الشجية ، لياحة للحنين ، ذات الأصل الفرعوني ، وهذه
الأغاني التي يلوح فيها البحر ، وحواري السفن العابرة ، وغربة
البحارة ، والشوق إلى العودة ، والحلقة اللازمة لعسل البسوطي
لذي يتنقل بين السفن والقرلاب الصغيرة عازفاً بضاعته للبحارة
الأغرب !

إننا كان ولا بد نورت

لجل بلدنا تنوق الراحة

لجل ما نعرف سكة بلادي

نطونها للراحة

لجل نأكد حل القترا

سنين جاريين

لربنا اغلظ

لربنا ثوبت وثلثين

وخم ثلثي أنني تعرفت عليه في القاهرة ، إلا أنه لم يربط عندي بالسوس -

القهبي

كعادتنا ، عند الوصول إلى السوس توجه إلى مطبخي وولني ، هنا القهبي الذي ظل مفتوحاً طوال سنوات الحرب ، لم يظل يوماً واحداً ، كان موضحاً يثقل فيه من نيلوا وأثروا القميص تحت اللصاف البومي ، والمجنود الثارين بالمدينة في طريقهم إلى التولع القوية ، أذكر عم خليل الذي تجاوز الثمانين وحركته نشطة ، القوية ، وسخريته -

بعد عشرين عاماً ، اجلس في القهبي الذي تغير كثيراً ، الككان هو بعينه ، لكن الظروف تبطل لنا ، جلستا في الصباح الباكر نحسن الشاي ، أخرج صديقي وزميلتي منكرم الصور التي قتلناها للمدينة منذ عشرين سنة ، كان يستعد لإجراء مقارنة بالكاميرا ، حيث يلف في نفس التوقيع وسجل التوقيع الآن ، وهذا ما يلمح به في جريدة أخبار الأعب منذ عشرين سنة الأولى ، بأدلاً جهداً كبيراً .

أمام القهبي موقف للسيارات ، أعدت إلى شاب سوسني يجلس إلى الناحية الأخرى من النضفة ، سألت عن الكابتن خرفلي ، فقال إنه لا يجلس الآن مطبخي وولني ، إنه يتروك على

منهن نوسوريا القريب ، لما دكانه لعلى مسيرا خمس دقائق ..
- أي دكان ؟

- دكان الخط .. إنه خطاط ورسام ..

في هذه اللحظة انتابتني بعثة ، لأول مرة أعرف أن غزالي
خطاط ، لم أسأله في تلك السنوات البعيدة رغم أننا عشنا أحياناً
طويلة تحت المصنف ، بل واجهنا الموت معاً ، كان بالنسبة لي
«الكاتب غزالي» رسماً ، رجل القلابة ، فأتت فرقة أولاد
الأرض ، ابن السوس الذي يجرب أحياناً لعنتي ويكف
بالساعات مسكاً ريشته كأحد رجال القلابة ، كنا نسهر إلى
ساعة متأخرة من الليل حتى إذا قمنا لتعب ندخل أي بيت من
بيوت السوس لننام حتى الصباح ، كيف لم أسأله يوماً عن
مهنته ، عن أسرته ؟

هل تعلمنا المهوم الكبير عن تفاصيل الحياة ؟

لمت مع مكرم باللهاء الدكان ، في شارع جبابي صغير لشارع أحد
طارة إلى الدكان ..

« ما دام مفتوحاً فهو موجود .. »

التريت ، لحنه ..

الدكان

كأننا لم نشرق إلا منذ لحظات ، مع أن سنوات طويلة لم نلتق
حلالها ، منذ دخول السوس بعد رفع الحصار العادي ، الزمن

ترك آثاره بصعوبة على ملامحه ، الشعر أبيض ، الفم خال من
عظم الأسنان ، لكن الفرج من .. من ، القفوة على السخنة ،
على القحك ، الحبيوة القاتلة ، على الفور استأنفا الحديث ،
قال : إنه عاتق أس من بورسعيد حيث حصلت فرقة لولاد
الأرض المسرحية على الجائزة ، راج يحكي موضوع المسرحية
بساطة والتفنن ..

• حفوة عن الشهداء في السويس ، مصطفى حاتم ومسعود
عواد .. سنة شهداء ، وسيت ذكراهم في الآخر على نصب
لذكاري من الرخام ، بدأ يصيح من معالم المدينة ، بدأ يجتمع
عند العتاق ، والحرامية والضرباء ، ثم انتزى مجموعها من
السنشمرين الأرض القوية ، وبدلوا التخطيط لتبيل الفرج
الرخامى .. وهنا يطلق الشهداء السنة ، مصطفى حاتم ورفاقه
لحسابوا من يربون الخلاج النصب .. يستنوا عما الناس .. •
بكثر غزالي من ترويد كلمة « الناس » ، يلفظها بلهاجته
مختلفة ، يحدث عن أحد لولاد الأرض ، شاب لم يكن له
أهل ، ما من يخاله عنه ، أس لا يقرأ ولا يكتب ..

• كان مبرس في صندوق زبالة .. •

لم يخالق المدينة ، ضمه غزالي إلى لولاد الأرض ، علمه القراما
والكتابة ، بدأ يشعر لذ له أسرة ، بدأ يهيم بنفسه عندما رأى
اعتناء الآخرين به ، استشهد خلال الحصار

- تذكرني بحورس بائع الفجل يا كباين .

كان حورس يائسًا للفجل ، يأتي به من الشط ويبيعه في
السوس ، تحسه الكباين إلى تولاد الأوس ، ثم .. إلى القاهرة
لتعبه ، في صباح أحد الأيام أعلنت الطوارئ ، كان لابد من
التصاق الجميع بالمركز ، بدأ حورس مشرفاً ، قال له عزالي
مساءلاً :

« ملك »

« لعلك اتلفت على سيوة فجل »

« إما كن مختار بين الوطن .. وسيوة »

لحرق حورس قليلاً ، قال ..

« طيب يا كباين .. اعزوت الوطن .. »

عشت ولعبة حورس تلك زمن حرب الاستنزاف ووعظتها في
نصه بحزنان السيوة ، رحت أنقل صور الشهداء على جدران
الدكان الضيق ، اللواصع ، الزدحم بالكتب ، تحمل جدران
مكتبة قهمة حتى ، مغطتها في الثبات والشعر ، ينقسم الدكان
إلى مستويين ، صعدت السلم الحديدى الضيق حيث مكتب
الكباين ، على الجدران لوحات ، رسمها هو ، صلاح عبد الصبور ،
أمل دنقل ، فوزان حسنة ، يحيى الطاهر عبد الله .

لما جرائل اللاهوت ، لم ألح لأفئدت ، ولم يكن الكباين في
حالة عمل عند وصولنا ، خرج معنا تاركاً الدكان مفتوحاً ،

الجيران يطولونه ويحبونه كما يبدو ، المهبتا معه إلى سوسو الخواتم ، الصر على دعوتنا إلى طبق بسوسة ، أصبحت مشهورة في المدينة باسم (بسوسة الخصال) ، لم يتوقف مصطفى (سوسو) عن إعداد الخطوي طوال سنوات الحرب وخلال الحصار ، كان الطبق خلال حرب الاستنزاف مع كروب قتلى بالبلن بطرس صاخ واحد ، وخلال الحصار كان يوزعها مجاناً على المواطنين والجنود ، كانت الخطوي الوحيدة التي تصنع في المدينة .

رحنا نستعيد الذكريات ، وتحدثت عن « أبو جاسوس » موقع المقبية المعاني الذي كان يخصص مدينة السوس من عهد سوس بلخاني ١٧٥ مظهر ، أما « عتر » فكان موقع المقبية المعري بقلب المدينة .

« كان أبو جاسوس يبدأ وسرعة برد عليه عتر من هناك جنب المقبرة ... »

مطينا إلى كشك الصحف ، هنا كان عم حسن السوتاني ، شهدت حطاً غني فيه الولاد الأرض تحت نصف الطيران المعاني ، كانت ليلة رهيبة لم يتوقف اغلالها للفتاء وتصفيق الأيدي للمصاحب للأنتقام السورية الشهيرة ، كان الاحتفال بمناسبة شفاء عم حسن من عملية جراحية ، كان هناك رفض رائع ، ما زالت أذكري رفضاته الشعبية الشعبية ، لأول مرة لرى الأفاء الأصلي لربعة البسوطية الشهيرة ، لرى .. أين عم إبراهيم الذي كان يحصل في شركة البترول ؟

« تعيش أنت ... »

رجل عم حسن ، وولف ابته مكانه الآن ، تلمت المني فتى
نصفنا فيه هذه قبلة البعيدة ، أما عبد النعم فتارى الصور ،
وأحد أفراد المجموعة القذافية التي لعبت دوراً هاماً في عهد الهجوم
العدوى ضد المدينة في أكتوبر ١٩٧٣ فيعمل الآن سائقاً على عربة
أجرة داخل المدينة ، أما أحمد العطيبي فيعمل الآن في بلد
عرب ، قلة اليونانية لا تزال في المدينة ، عانت الأيام الصعبة
كلها هنا ، سميها السوايا « قلة » ، لقد تجاوزت سبعين
الآن ، مضينا إلى زيارة سوغر الهندي ولطفاته ، وحسين العتي
مزوج السوسر وسجل أحداث الحصار في كتابه القيم ، الوثائقي
« حصار السوسر » ، توفقت أيام عمارات عائلة الحجم ، فاعرة ،
حسبنا شيد هذا لو تلك ، يقول كاتب غزالي ..

« لول من عاجسوا ، ، ولول من وجسوا ، ، وفي سنوات قبلة
رفعت هذه الماني ... »

لم أشعر بالفرحة في حديث غزالي ، وإن كنت وجدت ما يشبه
البعثة الآسيية ، ربما تبدل الواقع ، وتغير الناس ، وابتعاد تلك
الأيام التي عشناها معاً ، كانت كل خطوة فوق أرض المدينة تثير
عندي أحاسيس شتى ، وانفعالات طال كمونها ، حتى أنني
عدت إلى القاهرة وفي قلبها عزم على كتابتها ما تذكره ، ما لم أكون
بعد في السوسر بالذات التي لمضيت بها أيام صعبة وقد شرعت
بالعمل في اختبار الألب العلى لأمون بعضاً ما جرى ، أما الكاين

غزالي فما زال يسمي بين الناس ، يتحدث عنهم ، ويخبر بهم ،
ويجد الشهداء ، ويغتنم الفاكرة الشعبية ، منشأً أغاني الزمان
الجليل ، الجيد ..

عديله عمام الحما

تراثيل السايكم

يا لن عين الوطن

قلوبنا بتأديكم

صلا الحمام والاهلا

صلا الحمام والاهلا

الله يجعلكم ا

حلاً .. والله زمان يا كاتب غزالي ا



مدخل إلى المدينة ..



مدخل إلى السويس

لكل مدينة مظهر وجوهر ، أما المظهر فما يقع عليه البصر من مشاهد ، بيوت ونواحي ، ميادين وأسواق ، واجهات وبنائات ، جسور وساحات صغيرة ، أما الجوهر فيترك بالحس ، يمكن التقاطه منذ اللحظة الأولى للتزول والوصول ، وقد لا يكتشفه الإنسان إلا بعد مدة طويلة أو فصيحة تتفاوت من هذا إلى ذلك ، وهناك من يمكن أن يعبر ويفسر ما يشعر به ، وكثيرون لا يفصحون ، لكن لديهم من الإشارات والعبارة ما يفسر وشرح ، ويلدو ما يتبع الإنسان المدن طبعاتها ، بقدر ما تفسر عليه المدن من عنصر حيا ، فكما تقول : بورسعيدى ، محلاوى ، اسكندراني .. سويس ، وكل لفظ من تلك الألفاظ يستدعي جملة صفات ومعان ، وحقاتي جغرافية وتاريخية .

ويأتية لي إذا سمعت كلمة « السويس » فإن معاني عديدة تدعاني على الفور ، أولها «المدجنة» ، «البحر» ، «الجبل» ، «الكفاح» ، «الفتاة» ، «كفر أحمد عبده» ، «الخصارة» ، «الحرب» ، «الهاوز الفتاة» ، «الشوارع الخالية» ، «البيوت المدعرة» ، «الأصفر لون الرمال» ، «الأزرق لون البحر» ، «الأخضر لون لبنان» ، «البي» ، «لون الواجهات الخشبية للبيوت العتيقة» ، «الخباز» ، «القفز» ، «أنغام السمسة النجدة» ..

فكنا

تطلعت إلى بيوت السويس في الصباح الباكر والسيارة تفسى بحافة الخليج ، الزعر الهادئ ، والأشجار الخضراء ، التي تنمو

شكل طبيعي ، لا يوجعها نصف ، ولا تهتز أخصانها من تفرج
 الهواء الناتج عن الإنجذرات ، إنما تلبل الهبوب النسيمات والرياح فقط .
 المكان هو المكان ، لكن ما أشد الفارق بين ما عاينته منذ عشرين
 عامًا ، وما أراه الآن .



لا . . ليس عشرين سنة بالفيض ، إنما أعشى ربع قرن كامل ،
 عند العشرين مضت على أكتوبر ، ولكن تردى بدأ عام ثمانية
 وستين وتسعمائة وألف ، كان ديسمبر ولكنه مختلف عن أي
 ديسمبر آخر حل أو سيحل ، هذا التكوين كان بعد خط القنطار
 الأساس ليس عن المدينة لحسب ، ولكن . . من مصر كلها ، في
 الأرض طامست حفر صغيرة تطل منها عيونك الجنود ، ما زالت
 تذكر ضابطاً برتبة ملازم ، تولى قتيان ، صغرى للامح ، كان
 يتحدث إلينا في تلك الصباح قبائل يهود ، يشير إلى القاحية
 الأخرى ، إلى القصة اللطيفة ، إلى أسانير نوبيل حيث . .
 يمدو ، ومضامير النصف المنعص للمدينة ، ما زالت الذكر ملاسعه
 وكأني لوله أساس ، حتى نبولت صوتة التي شابهها حزن نائي لم
 سنعص على وجهه ، ولكنني لا أعرف اسمه ، ولا لوري عنه
 أي شيء ، وبالتأكيد . . مستحيل أن تظن مرة أخرى ، فما أكثر
 قشر القبين تظن بهم عند عبورنا القنطرة ، ثم يتوهجون في زحام
 الخبيث ، فما ليل بمدينة كانت تلع عند أقصى نقطة من الخط
 الأساس ، بل فيها عند قليل من أعلاها خاصة بعد التهجير ، أما
 الصباط والجنود المنتشرون حولها وفي قلبها فمعظمهم قادم من
 أنحاء شتى ، من أطراف الوطن ، ولبه .

فإنما تبلى البدايات ، اللحظات الأولى للوصول ، اللامع
الأولى التي بلغ عليها البصر ، كذلك النهايات ، ولكن البدايات
تبلى في الزمن نوبة ، سائلة ، لذلك ما زال وبه هذا الضابط
مائل عندي ، كذلك ولقد الصلة ، الإنسانية .



لكل مدينة مدخل ، والمدخل يتصل مباشرة بالجمهور ، بالسور
الذي يستعص على فرصد ، ومدخل إلى المدن عامة متعدد ،
لكن أبرز ما فيه للقلبي ، حتى إذا تزلت الأيام معقولات بمدينة
غريبة عنى ، فإننى أبحث حتى أستقر بقلبي معين لشرح إليه ،
أعشاه ، مع أنامل الطرفين والسامين لسانه ، في السوس لم
يكن هناك حصار ، كان هناك منهن واحد بلى مفلوحاً زمن
الحرب ، والقلبي في الحياة اليومية المصرية شأن ونور ، وعندما
ضربت إلى الجبهة لم أتوقع أن أجد منهن مفلوحاً يستقبل القرابتين
وله رواية ، لقد عشت للمد من أطلها بعد التهجير ، وما من شيء
يشير الآسى والحزن مثل مدينة عمالية ، مشهد ضد سكة الحياة
وتحسوس الطابع الإنسانية ، فاليوت كانت لتحتوى الحياة ، لا ..
لكن لتعلم منها ، ولكنك فسر السوس وسفد الفتاة الصغيرة ،
للكائنة ، ورغم التهجير وإحلال الأهل ، بلى صفوا من الرجال ،
أبوا القارئة ، وعاشروا تحت القصف اليوس ، واستمرت مظاهر الحياة
لمصرية ، بدأ من بلع القبول إلى الخلو إلى .. القلي .

في القيلة الأولى للوصول ، وكان الوقت رمضاناً ، العنديت إلى
منهن رواية ، كان سراجها ليكة القطار التي تزلت الآن ، زجاجه

سقطى باللون الأزرق ، ولقد توفى خطوط فوق القلاصق إنشائي
للاعتزاز الفاتح عن الإنجازات التي تحسنت في أي لحظة ،
إنجازات مختلفة تعلمت مع الوقت لن أسيء أبداً ،
تختلف منحنى المنحنيات والانعراج ، تختلف بالجهة عن طارات
طيران ، مع معاشاة الحرب تستمر حواس الإنسان ، ويصح لها
قانونها الخاص ، هزمت الإرباء فوق الأرض قبل إنجذاب القناة ،
أو لحظة مرورها عبر الفراغات الفاصلة .

في زمن الحرب يتطارب البشر بسرعة ، خاصة أبناء الوطن
لواحد ، الوقت الفاتح محدود ، فصار جفاً ، وقد ينتهي أجل المرء
مع الخطوة التالية ، مع الإنجاز القادم ، الفلك فإن ما يستغرق يوماً
في الحياة العادية قد يستغرق في ثوان ، وفي موقف آخرى يحدث
العكس ، فربما نفس ثوان خلال موقف شدة تدعو عند استطاعتها في
فداكرة وكأنها تعبر ، هذه اللحظات الفاصلة بين الحياة والموت ،
ففي بقلوب فيها الحسب الإنشائي لها صيرورتها الخاصة .

في ملهى رواتي بدأت عملي بأبناء السويس ، بالكاتبين غزالي ،
رجال القلاصق الشعبية ، أحمد العطيبي ، عبد النعم فتاوي ،
ومحمود عواد ، ومصطفى عانم ، وغيرهم ، واتى لذكر الأحياء
والشهداء معاً ، فبعدما اجتازت هذه اللحظات الفاصلة في زيارتي
الأولى كانوا كلهم يسمون ، ومع مرور السنوات بدأ رحيلهم إما
إلى المجال الإنشائي أو صوب سفوف القبرة ، غربة خارج
حدود الوطن ، وغربة خانك ، كان ملهى رواتي نقطة لقاء وتعارف
وتبادل للأخبار وسكان بدأ منه الحوار لو ينتهي ، كان مقصداً

للجنود العابرين ، الذين يرون بالدينه متجهين إلى مواعدهم ،
داخلها أو خارجها ، يأوون إليه نفساً لتكرب شاي ، أو
خطان واحد ، أو بحثاً عن حسيمة صلبة .

ما زلت أذكر سحر عم خليل الفانك ، كان قد تجاوز الثمانين
ولكنه يبدو في نشاط شاب في مستقبل العمر ، لا أذكره قاعداً ،
دائماً يتحرك في مكبتي ، إما يحمل صبية قولها أكلوب الشاي
والقهوة والقه ، وإما يسأل عما أو تلك المسافر ، كان ينام في
القهى ، ولا أتري مصيره الآن . . . رحمه الله إن كان لوني الأجل .
وأحد الله في عصره إن كان حياً يسرى ، لقد تذكرته مررت عند
وصولي إلى القهى في تلك الصباح الباكر من الأسبوع الماضي .



كنت أتبع أخبار ملهى رواتي خلال الحصار ، وبعد فتح الطريق
في فبراير عام أربعة وسبعين وتسعمائة وكلف المجهود إليه في نهاية
يوم قول منضم بالمواطف والشاعري ، كان القهى قد أصيب
بلذبة مدغمية ، ولكن رواته الذين أربطوا به أمانوا لوسيمه ،
وأضاموا إليه بلاطات من « القبناني » الأزرق ، بعد ربح ثرون بلا
القهى مختلفاً ، لكم أنصبت من لوفات فوق هذا الرصيف ، وهنا
في القاعل ، خاصة في الليل ، عندما كنت أحسن إلى المدينة
فلس يحاول القطران القلبي انتهاك أجواتها ، فلتنفض من عملاق
سوانع دفاعها الجوى لتدفع الشر والأذى عنها ، وفي لحظات عديدة
كنت أتحملها لتستدير بأكلها ، بيوتها ، بناسها ، بتاريخها
وتراثها ، وجعلها العنقلى المشرف عليها .

القهي الآن يروج بالحركة ، حركة من نوع آخر مختلف ، فتمتد
مواقف العربات الأجرة حول القهي إلى هذا النوع من المقاهي التي
تعتمد على « الزيتون القهلي » أي العابر ، الذي يقضي وقتاً قصيراً
ينتظر خلاله موعد قطار أو رحيل حافلة أو موعد للقاء حاجة في
مصلحة حكومية أو .. فتعذب إلى لقاء ما ، مثل هذه المقاهي
بدو الإعمال واتسحاً فيما تقدمه من خدمة ، وقد يلحق بذلك
المكان نفسه ، في مطهي وواشر سألته شاب جلس بالقرب مني
عن كتابان حزلي .. قال أنه يتروده على مطهي آخر قريب «
جوسوريا » ، راج يصف لي ، تلك منطقة القلب من المدينة وكلها
سفاروية ، لم يكن صعباً على أن الملح وجوهاً سوسوية أصيلة ،
ولكن معظم الوجوه الأخرى غريبة ، استفسرت عن أسماء الأخرى
كنت القهي بأصحابها قائماً هنا في القهي ، قال لي الشاب الذي
كان في السنة الأولى الإعتادية زمن حرب أكتوبر ..

« عبد النعم فتاوي .. إنه يحصل سائفاً على الميكروباس .. وأبو
غيت دفاتي يمكنك أن تراه .. ولكن اتبته .. إذ أنه ربي خبته
وأصبحت كبيرة جيداً .. »

عبد النعم كان مصوراً من أعلى السويس ، تطوع في صفوف
المقاومة الشعبية ، انضم إلى مجموعة من القتاتيين قامت القوات
السلحة بتفريغهم ، واستشهد منهم عدد من أنبل الرجال الذين
عرفتهم زمن حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ، كما لعب أفراد هذه
المجموعة دوراً هاماً في المعركة التي طورت أمام قسم الأربعين ،
وكانت نقطة تحول في معركة السويس كلها أثناء محاولة العدو
تحتلها في الرابع والعشرين من أكتوبر ، ترتبطت بأفراد هذه المجموعة

بمئات إنسانية حبيبة ، وما من مرة أتورد فيها على السوس إلا وسعت إلى مظاهر الشهداء - القوامعة جثا الآن - لزهرة مصطفى أبو عاتم (استشهد في 8 فبراير 1970) ، وشفيقة الذي كان يكبره سناً ، أحمد أبو عاتم ، استشهد عند كوبري الجراجملي برصاص رشاشات الفدائيين الإسرائيلية ، و ، إبراهيم سليمان أحد الأساطير التي عرفتها من قرب ، و ، أشرف عبد القام ، و ، محمود عواد ، استشهدوا جميعاً في معركة قسم الأربعين .

أسماء عديدة كانت تتردد في ذاكرتي وأنا أجلس في نفس الموقع الذي أجلسمت المجلس فيه بطهي رواتي ، ولكن صلاح الكنان ، وحفورة ، ونوعية الحركة ، جعلني أترك شيئاً فشيئاً أن الواقع مختلف لنا ، وأن هذا الطهي الذي اعتدته ، وأحببت فيه إلى بطولات تشر ، وتابعت فيه حوارات سائرة ابتسمت لها كثيراً تحت القصف ، هذا الطهي مكان آخر مظاهر لنا ، بالطبع لم يكن هناك عم خليل ، أما عم حسن السوداني باع الصحف فقد رحل منذ سنوات ، لنا غير الكناين خزفي مكان جلوسه ؟

وهل سراء ؟

كيف أصبح ؟

تذكرت فرقة لولاد الأرض ، وأنعام المسبية التي كانت تطو وانطى بالفضل على أموات الانفجارات والقصف ، تذكرت شعار خزفي البسطة ، المسبلة .

يا رجال السوس يا بلعة وسائلي

يا سيد العروبة .. خوتنا يوداني

يا رجال السويس .. يا خطاوي واختاوي
يا قلوب لايسة كالكلي .. يا تعرف مع البناني
يا شباب السويس .. يا شراخ السليبة
يا بسنة للحياب .. يا نارح القلي بعلينا
يا رجال السويس .. يا كلكان يا خنارة
يا مصانع .. يا مزارع يعرفنا حوكرة
يا رجال السويس يا حب وجمارة
يا زنود مع القذافي بتحمي الحضارة
يا بيوت السويس .. يا شهيدنا وختاوي
يا موكال مصر الجاية وسدا الخطاوي



دائماً نشطتني علاقة الزمان بالكائن ، وعلاقة الزمان بالشيء ،
فست واقفاً ، لم يخل من اللقائ في الفصح الذي بدأ مختلفاً لنا ،
فكث لزميل أباني السعيدة مكرم جاد الكورم ..

« نبدو كأهل الكهف .. »

فصحت مكرم ، إنه قليل الحديث ، لكنه إنما نطق غير ذلك ،
قال بعد لحظات ..

« هنا نبحث عن غزالي .. عن الزمن الذي عرفناه »

اجتزنا التسمية متجهين إلى مكان غزالي الذي لم أعرف مهنته
خط إلا بعد ربع قرن من تعرفي إليه ، ثم ألتزم في الماضي بسؤاله
عن مهنته ، كان غزالي شاعراً ومستظلاً ورجل مقارعة ، ألا يكفى
ذلك ، واليوم .. أعرف أنه عطايا

في الطريق إليه كنت ألتحل الواجبات ، واللائحات ، وملاحع
البشر ، تنمو في فاعلى نطحات شجيرة ، وخرج عتدى صوت
محمد حمام الفلن ، الحزين ، الشجي ، مرعفاً كلمات الأبتدى :

يا بيوت السوس

يا بيوت عدينى

استشهد لمتك

وتعشى انت



حقاً ..

ما لوسع الفارق بين ما يعيشه الإنسان وما يمر به من الجارب عبر
مراحل حياته المختلفة وبين ما يتلى في الذاكرة مع التقدم في الزمن ،
بلا حصر .. تلك اللحظات التي تتبدد إلى الحق العدم اللامرئى ،
الذى يصعب علينا الإكمام به ، وبلا حد ، تلك للملاحع القاتية
الترابية من لحن الذاكرة المكدموة ، المنقطة ببقايا ما احسنوه تلك
الأوقات البعيا .

طوال الأعوام الماضية تعاوننى ملاحع تلك القليلة من ليلتى
الحرب ، لتتبعنا مع أبناء السوس ، بعض منهم ، في شقة عم
حسن بائع الصحف ، لره الآن بعدما بطرب من نصف قرون ،
باسم الحضور ، طيب السمرة ، رليل للملاحع ، ولا أستعبد إلا
مرندبا جليبا أبهى ، كان لكشك بلع لنام مترله وما زال ، شقة
لحسل طابفا الرضيا في منزل يحصل سمسات الأربعينات لو

الحسينات قرب مقهى روتش ، وعلى بعد أمتار من ذلكم مسجد
المخلواني ، عاينا ما أنف في الصباح الباكر ، بصحبة كتابين
غزالي يلتمسني إلى شباب في منتصف العمر ، ولو أن غزالي لم
يلتمسني إليه ويقول : عفا ابن عم حسن . . . لا عرفته ، ولو أنه لم
يشر إلى نوافذ الطابق الأول رفقا على استفساري لما اعتديت أبدا
إلى السكن قدي لشيئا فيه لئلا كاتمة من أجمل وأغرب الليالي
لتي عرفتها في الجبهة ، الصهوت فيها عوامل عديدة ، وعناصر
عائقة ، ومكونات شتى للشخصية المصرية اجتهدت في تحليلها
وتبويبها مراكز بحوث ، وحواشٍ لها ، ورسائل علمية .

توقفت منطلقا إلى النوافذ المظلمة ، مستعبداً وقصبات عم
إبراهيم وحضوره المندفق ، الزائر ، عم إبراهيم الضاميل
شركة النصر للبتروال ، المتطوع في المقاومة الشعبية بعد هزيمة
يونيو ، أحد أفراد أولاد الأرض ، حافظ لقرات الشمس ، عم
إبراهيم الذي رفض بحبيوية نادرة في تلك القليلة البعيدة ،
والذي علمت أنه رحل إلى الأبد منذ عدة سنوات .

ونفت أنطلق إلى المكان الذي احتوانا ، ولجسنا فيه حول
طعام البسبوط ، الشهي ، وإذا لم نخشى الفاكهة كنان
الكشوي ، ترى . . . أي مكونات الآن تتأجه ؟ وهل يلي منه
أثر يستعص على بالطبع إمرائه ؟

بجرد عودتي إلى القاهرة عدت لأقلب لوراني ، ملاحظاتي التي
لونها في مفكرة صغيرة ، وحت استعبد بعضاً مما كتبت وقتئذ .
وكتبت أحيانا بتفاصيل غابت عن بعثي ، فكانني لارون غريب

يطلع نعتاً لكاتب يجهله شخصياً ، ما من حيلة بينهما ، يحدث
هذا لي ولم يفتني بعد أكثر من ربع قرن .. فما أغرب تلك ، وما
أعجب حيلة الإنسان بما يكتبه من تعوس ، إن مكتسوبة أو
مرسومة أو متحونة ..



حقاً .. تحيرني قوتين الذاكرة الخفية .

أذكر وقع القنصاة عند سفرة شقة عم حسن قرب القجر ، ولا
أذكر ملايح نعيم حياض ، بل إنني أحاول حيناً تلك ، ولا أتوى
مسفرة الآن ، حتى نبوة راحت لانا من نفسي .

في لفتي بطح وجه مصطفى أبو عليم وقامته التي كانت
تجسد حيا للتحدى ، خاصة بيده قليلاً إلى الأمام وحديثه عن
مظاهر استفزاز المذاهب في المدينة ، استشهاد مصطفى في يوليو
١٩٧٠ ، استشهاد ميكر ، لحظة شطيطه في معركة الدفاع عن
المدينة عام ١٩٧٣ ، من رحلوا إلى الأبد لوى ملاحهم في لفتي
وعيسى وكانهم يتلون الآن لسان ، وبعض من يسمعون في الحياة
لدينا أجهد نفسي لاستدعي أي تفاصيل تتعلق بهم .

فا هو عم حسن يظل من غير حدود الحزن والعدم ، أستعيد نصيدة
طويلة ، تنجيه للأبوي عنه سأشرها قريباً في « أعياد الأمل » ،
نصيدة ملحمة لم تشر من قبل بختتمها عبد الرحمن مودعا ..

مع السلامة يا عم حسن

مع السلامة يا عم حسن



انطباعك باربعية



نومبر ۱۹۹۷

الثلاثة من المبرور . .

منذ اللحظة الأولى للمشروع في المرحلة تبدأ فرنسا تقدم نفسها من خلال الصحافة ، فكما رحبت أنجل الإعلانات الصحافية لبطالة الطائرة ، كلها عن معارض فنية وأنشطة ثقافية منقام خلال الشهر القادمة ، روحلان خاصة تقدم تخطيقات كبيرة للزوار الذين يتصفون باريس لشاهدا المعارض والمعارض .

ألا تبدو الفكرة وجيهة وحسيرة؟

إن تمام معارض خاصة نوعية في القاهرة ، معرض للملك توت عنخ آمون مثلا ، أو آثار ومسيح الثاني بحيث يضمها برنامج محدد ، وأن تقدم مصر للطيران تخفيضات خاصة للطاقمين من أجل تلك المناسبات يقتضى تلك تسهيلا وإعازة بين ورتوني الثلاثة والسياحة والشركة الوطنية للطيران ، وبالتأكيد . . هنا ممكن .

مجرد فكرة مصغرها للتجارة القائمة بين ما لرد من أحوال وظروف ، وبين ما هو كائن في مصر ، ولأن مصر أمة عظمى ثقافيا بتاريخها وإمكاناتها وأبنائها من المبدعين والفنانين ، لهذا تبدو الثلاثة مفتاحا أساسيا ليس للدخول إلى مصر فقط ، ولكن . . حل مشاكلها أيضا .

منذ الوصول إلى مطار باريس الحديث ، تتوالى اللامعات عن عروض مسرحية ، وموسيقية ، ومعارض كتب ، في السموات الطويلة المكتيبة لأغاني القرو ، تعاليمى لأفنان عن احتفال خاص

بكتّاب مقربين بليم هنا منذ عدة أعوام هو عبداللطيف الصبيح .
 وعن مفتح تليفزيون مصري بدأ يلعب مؤخرًا اسمه ناجي . هو ابن
 الأستاذ الجامعي وعالم النفس المعروف لطفي فام ، وإعلان عن
 نظرية مصرية اسمها عائلة رموزان ، وأنها هي التليفزيون فيما
 بعد . لاحظت أن لكتتها ليست مصرية عملاقة . قال لي أحد
 الأصدقاء إنها ربما قادمة من بلدة عربية أخرى . وتقدم نفسها على
 أنها مصرية . لاسم مصر جلال ومنزلة عمارة هنا في القلوب . قال
 صاحبها بخبرها أن معظمهم بعد بدء شهرين بدأت في الهجوم
 على الفن المصري !

ما يمنع باريس هذا الحضور القوي تلك التولع الذي تحمله
 الشغافة في هذه الزيارة القليلة بالعديد الكبير كامل زهيرى .
 يتردد على المدينة لبحوس في المكتبات . أما لشغف الكتب
 الجديدة أو في المكتبات العامة للبحث عن وثائق السان
 المبعوثين الفرنسيين الذين جاءوا إلى مصر زمن محمد علي
 وأسهموا في النهضة . ومنهم سليمان باشا الفرنساوى . وكثرت
 بك . ولغيرها . في هذه المرة كان ملصقه الاتصال بطله من
 المكتبات . من أجل مكتبة القاهرة الكبرى التي سفتتح في
 مارس القادم . أعتبرني أن باريس تحسوى على ست وستين
 مكتبة عامة . بعضها يتبع وزارة الثقافة أو البلدية . أو هيئات
 عامة أو خاصة . أحدها المكتبة الوطنية العربية والفرنسية
 والتركية ولكن فرنسا لم تكتف بها . منذ سنوات تبني فرنسا

مهرجان مشروع إنشاء مكتبة المتحف ، إنها مكتبة فرنسا ، تقع جنوب شرق باريس في المنطقة الثالثة عشرة ، تحل محل مساحة شاسعة تحدها أربعة مباني يرتفع كل منها لأكثر من عشرين طابقا ، صممت على هيئة كتب مفتوحة ، كتبت الميم على سفيرة من مومنها ، أمر بها عن قرب يوميا ، وأطلق عليها وأحاول أن أنجبل ما ستكون عليه يوما ، فيها كل الحرسانية حارة ، والعمل بحرى ليلا ونهارا ، أحاول أن أنجبل المصائر الأنية التي سوف ترتبط بالمكان ، والعلاقات التي سننشأ في أرونته ، ولكن التلفزيون لا يترك مساحة للتخييل أو التنبؤ .

يويا . . تقدم الفنون الرئيسية أكثر من فيلم عن مكتبة فرنسا الجديدة ، تصميم عمارتها ، نظمها الداخلية ، طريقة حفظ الكتب والمخطوطات والليكترونيك ، وقاعات القراءة ، وعن الاحتفال للمهب الذي سوف تفتتح فيه ويحضره رؤساء الدول .

وسرة أخرى أخرى المقارنة ، في عصر بحرى العمل في مشروعين كبيرين منذ فترة ليست بالقصيرة ، مكتبة القاهرة التي ستفتتح في قصر الأميرة سميرة بالقاهرة ، مكتبة متخصصة في تاريخ القاهرة وحاضرها وذاكرتها ، ومكتبة الجزيرة الكبرى التي يرأسها لجنة الإعداد لها السفير عبدالرؤف القريدي ، ولقاه بتحويل ألقى - مصري ، ومقرها في قصر المنير عبدالحكيم حاصر القدي ، مكتبتان كبيرتان ، ويتم العمل فيهما ليلا ونهارا ، تحت رعاية مباشرة من السيدة سوزان

مبارك ، ومع ذلك لم تر برنامجا تليفزيونيا واحدا يسمو
 تعريف الناس بعمل جاد يتم ، وبإستثناء ما نشر في الأخبار ،
 وأخبار الأديب ، فلا يوجد أي اهتمام إعلامي بالواقعين
 الجدد هذين ، أما مكتبة الإسكندرية العظيمة فلا يعرف أحد
 ماذا تم بشأنها ، مازال الإنعزال لدينا شبه تام بين الإعلام
 والشفافة ، وفي رأي أنه من واجب الإعلام أن يتيح مساحة
 أوسع بكثير للشفافة ، فلم يعد لدى مصر إلا الشفافة جوهر
 حضورها وعبرتها .

الشفافة في الواجهة

سان جرمان تورى . .

أجمل مناطق باريس القديمة . . وتلك أرقاها أيضا ، وأغلاها وبئر
 طبقة الأرستقراطية ، وسفر سكنى الأدياء الكبار ، والرئيس ميراث
 يعيش في شارع ضيق بثلث النطقة .

خرجت من تلق المسرد لتطبخ وجهي رياح باردة قاسية ، لهذا
 الهلك وتلك النطقة منزلة عيادة وذكريات عزيزة ، في سنة ثمانين
 ونسعمائة ألف كنت في باريس لهمة صحفية ، وأثناء زيارتي
 لنزل صديقي على الشويباتي الأديب والصحفي بوكالة الأنباء
 الفرنسية ، طلب مني أن أتصل بالداكتور جمال الدين بن شيخ
 الجزائري الأصل ، أستاذ الأديب العربي بالسوربون ، قال إنه كان
 يتفكر عن عنواني ، عندما سمع صوتي ، سألني :

من أي مكان تكلم؟

قلت :

« من باريس . . »

قال : إنه سعيد بملكك ، لأنه كان يفتد إرسال خطاب إلى لآه
ويشج إحدى روايات القصص عن أسوي . .

سأله بطلاقة :

« أسوي . . ما أسوي عندك ؟ »

عنا ساعت نربط التوثيق :

« فوافق . . وافق وبعدين لشرح لك . . »

بعد تحديد التوحد ، قلت لي إن مار نشر لوسوي من أكبر دور
النشر الفرنسية إن لم تكن أكبرها ، وإنها لم تنشر أي رواية عربية
مترجمة ، ويبدو عمل عنها مكسب للأدب العربي بلانك .

في اليوم التالي ذهبت لسمي إلى منزل الدكتور جمال في الحى
لسابع عشر ، لم يخبرني بعنوان الرواية المقترح ترجمتها ، تولعت
أنها وظائف حارة الزعفراني ، لم يخطر ببالى أنها «الزنى بركات»
لصورة اللغة المكتوبة بها ، لذكر أثناء نشرها سلسلة أسى فطنت
بالتصديق منير عامر ، قال :

« إن لغة الرواية خاصة جدا . . . ألا تفكر في الترجمة يوما . . »

قلت له :

« الترجمة مسئولية الترجيح ولكننى أعتبر اللغة جزءا من العمل
الأدبي . »

مازلت لأذكر المفاجأة عندما أخبرني الدكتور من شيخ أن الإحصاء وضع على «الزيتى بركات» ، ثم قدم إلى المترجم ، جان فوركاد الذى ترجم فيما بعد «تيمنا أنطس» لصنع الله إبراهيم ، ثم انتقل للعمل فى السلك الدبلوماسى ، عمل فوركاد فى الزيتى بركات أربع سنوات كاملة ، وتأت صباح شديد البرودة من يناير عام خمسة ولثمانين خرجت من هذه الحطة بصحبة زوجتى التى نظرت لفرنسية فاحصين دار لوسوى التى تقع فى مبنى فندق جميل بتارح جاكوب الحاضر بالكتبات المعنية ، المتخصصة فى الفنون المختلفة دائما أفضل شراء أول نسخة من أى عمل يصدر فى مصر لو فى أى بلد بالعالم إذا تواجدت به ، عندما وقعت عيتان على الزيتى بركات بالفرنسية فى تلك الصباح الجميد أحدثت ذلك وقتها ، مازلت لأذكر عمله داخلى ، عكفنا القدييات دائما لها شأن وموقع فريد ، بعد اللغة الفرنسية صفت الزيتى بركات فى أربع عشرة لغة ، لم نعد رؤية عمل مترجم شهر هذا الشهر من القديسة لبريتا ، وبعد تساق سنوات تصدروا ليهى فوسالة البصائر فى البصائر ، من نفس القدر ، فى هذه المرة تطلبت دعوى من وزارة الثقافة الفرنسية بمناسبة حضور الكتاب ، إن وجود المؤلف مع حضور الكتاب يساعد فى التعرف به ، فى دار لوسوى نسم نحاصر بالإعلام لتولاه سبعة شديدة النشاط ، لغوم بالاتصال بالصحف الكبرى والإذاعات ومحطات التلفزيون المختلفة انصصت لى القدر حجرة خاصة لإجراء المقابلات ، ما من محفل أجرى معى مطابقة إلا وكان ملما بأدق التفاصيل عن شخص مستوعبا بدقة العمل

الترجم ، ومن خلال الإقطاعات والأسئلة يتاح لي أن ألق على تجربة المثالي في لغة مغايرة ، وأحيانا اكتشاف عناصر لم تكن في مقدمة وعسى ، مثل ترويضهم أن مدينة القاهرة موجودة بلقاء في قراءة ، بالطبع عندما يكتب الروائي القاهري ، فإنه يحف بتلقائية القضاء للكانى الذى يتحرك فيه ، ولكن القارىء الأجنبى له رؤية أخرى .

عندما التفت إلى استوديو متخصص لأشهر برنامج تلفنى فى فرنسا «ثائرة الليل» وفتح فى السهرة الرئيسية يومياً ، ولقدمة استاذ فلسفة جامعى هو ميشيل فليك ، كنت فى حيرة كيف ستم عملها للترجمة أثناء التصوير؟ قبل ليلة واحدة رأيت فى البرنامج تونى موريسون الحاصلة على جائزة نوبل ، كانت تتحدث بالإنجليزية ، تبدأ مسرعة ثم يتراجع صوتها ليبدأ صوت المترجمة ، أما أمين الطلوف الحاصل على جائزة جيونكور فكان يتكلم الفرنسية تأثرت بحديثه عن الثقافة العربية ، واعتزازه بانتمائه إليها ، قال إن ثقافته الفرنسية جاءت من الكتب ، ولكن تكوينه العربى جاء من الحياة ، من الواقع بدءاً من طفولته وحتى سنوات تنجبه .

عندما دخلت الاستوديو بدأ كل شىء ، بعضى بلغة ، وعندما احتفرت عن وضع الكعاج لمر المخرج ، قال إن البشرية الإنسانية تبدو صفراء جداً إذا لم يتم وضع مسحوق معين يكسر حبة الضوء ، قبل بدء التسجيل فدمروا لى المترجم ، عربى من شمال إفريقيا يلقن هذه لهجات عربية ، وضعت فى أذنى سماعة صغيرة

لا تكاد ترى إلا بصعوبة ، من خلالها كنت أتابع على الفور ما يفعله **مقدم البرنامج** ، وكان هو يفسر أيضا من خلال ساعة ساعة ، وهكذا جرى التقلب على صعوية اللغة .

تقدم البرامج الثقافية في مواعيد الفورة ، وتقدم الكتب أو التعريف بها لا يتوقف طوال ساعات الإرسال ، وتقدم البرامج الثقافية لشهر التجهيز بين الجمهور الفرنسي ، ولعلك تبدو الثقافة أيضا هي واجهة التلفزيون الفرنسي بجميع أنواعه .

الثقافة عنصر رئيسي من عناصر الحياة اليومية حتى في اللغز ..

ذاكرة المدينة

في مواجهة كنيسة سان جرمان يقع مبنى القوماجو ، واحد من أشهر مبانى باريس ، يستمد شهرته من روائه الكبير ، عندما دخلت إلى عائلته المسبحة ، الأنظمة لاكتفى بالشاعر الكبير لوييس ، تمت قطع صغيرة من النحاس مثبتة إلى الجدران ، بنفس مستوى المقاعد ، على كل قطعة اسم الفنان أو الأديب الذي اعتاد انطوس في المكان .

جان بول سارتر .. سيمون دو بوفوار .. أوليفير السامر .. لورنت هنجواي .

في مبنى آخر ، قطعة نحاسية أيضا مثبتة فوق المنصة ، تقرأ اسم تولوز لوتريك الرسام العبقري ، ولذي ألصق لوحاته على ملوحة من هينري داتسا لما في وجهه شخصياته من إنسانية طفلة وأسى ..

في الشوارع نطلعتنا لأحداث من الحجر معلقة فوق مداخل
بيوت . . هنا عائل للوسيفار وشارد فاجتر من سنة كذا إلى سنة
كذا . .

هنا نوفي فولتير الساعة . اليوم . السنة .

عند مداخل الليالي التاريخية الهامة نقرأ عن أهم الأحداث التي
جرت فيها . وشرحا وفيها تكوناتها . أما الكتب المطبوعة عن تاريخ
المدينة . والأحداث المرتبطة بها فنطلعتنا فوق رفوف المكتبات وعبر
واجهاتها . أخصرتي الأسماء كامل زهيرى لأن مدينة باريس صدر
عنها لرحماتة كتب كتبت حتى الآن .

من هذه العناوين كلها تتجمع ذاكرة المدينة وتتكون والتي . . والتي
التي لا ذاكرة لها مجرد بيان أسماء من الحجر أي وهي التابيتي
عندما نطلعت إلى القلعة الذي كان يجلس فيه لرنست
عسجدواي . أو سائر . أو تولوز لونيوك . إن عمادا بأكسده ينطق
لحمي . عالمي الخامس والتي .

عكذا تحتفظ المدن بذاكرتها حية . ومن هذه الذاكرة تكتسب
ذلك القيد غير الرئي . الذي يفضي العرفلة والأصالة . والذاكرت ما
تعرض له القاعرة من عملية إحدار مستمر ومنظم لتاريخها
وذاكرتها . لا يحسبها من القضاء إلا لفرارة عنا لتاريخ وعسده وتعدد
طبقاته . لكن إلى متى ؟



اغتياال شيماء



في الشوارع نطلعنا لافتات من الحجر مغطاة فوق مداخل البيوت . . هنا عتري الوسيطار ويتشاهد فاجتر من سنة كفا إلى سنة كفا . .

هنا تولي قوتير الساعة ، اليوم ، السنة .

عند مداخل المباني التاريخية الهامة نقرأ عن أهم الأحداث التي جرت فيها ، وتروحا وأقبا لمكوناتها ، كما الكتب المطبوعة عن تاريخ المدينة ، والأحداث المرتبطة بها نطلعنا فوق رفوف المكتبات وغير واجهاتها ، أصبرني الاستاذ كامل زهيرى أن مدينة باريس صغر عنها أربعمئة ألف كتاب حتى الآن .

من هذه الممارز كلها تتجمع ذاكرة المدينة وتتكون وتبقى . . والمدن التي لا ذاكرة لها مجرد مبان صماء من الحجر أي رهبة التابتي عندما نطلعت إلى القمامة التي كان يجلس فيه أرتست عتجواي ، أو سارتو ، أو تولوز لوتريك ، إن عمالنا يكمله يتلفض لناس ، عالمهم الخاص والفتى .

هكذا لمثلظ المدن بذاكرتها حية ، ومن هذه الذاكرة المكتسب تلك البعد غير المرئي ، الذي يفسر العرلة والأصالة ، ولذا كرت ما تتعرض له القاهرة من عملية إحتلر مستمر ومنتظم لتاريخها وذاكرتها ، لأحسبها من القضاء إلا خزانة هذا التاريخ وعمله وتعدد طبقاته ، لكن إلى متى ؟



اغتياال شيماء



في مكان ما من العالم ، ربما مركز مزود بأجهزة اتصالات حديثة جدا ، وتبين الإرباط بالفضائل فظلي عبر الأقمار الصناعية ، ربما في إحدى المدن الغربية ، أو في مكان متزلزل بالصعراء الأمريكية ، فلا يعلم إلا الله أين تبدأ عيوط الإرهاب الفظي يستهدف الزين بلدنا الطيب ، الأمن ، ربما في معسكر ما ، في إحدى طرف القناتق ، بدأ التخطيط لإختيال القنطة المصرية شيئا .

في جبال أفغانستان ، منطقة ما على حدود باكستان حيث أعلن مؤتمرا أحد فئات الإرهاب في مصر أنه يتم تدبير عمليات جديدة إما من أحد الفين اعطقتهم أجهزة الأمن في مصر سوء ، مما يقطع أي بادرة شك حول هوياتهم ولونكاهم الجرم ، في منطقة ما ثم التخطيط بعد ألام من التعريب ، والنواظر والسفر خفية وعملانية ، وإرسال التعليمات عبر البريد ، والفاكس ، واتصالات القنطرة ، التي عبر رجال الأمن على مفاتيحها في لوزنر ، السلاج = الكتب = مسلسل = نوتة = وأجهزة كلاسن = أقلام جفاف وأجهزة مسلسل = أقلام ومصاص = وفنايل = علبه حبر = ومنشورات = صمغ وديناميت = صمغ سائل = ومصاص عاصي = أسابك ، والختيال = قوس خصوصي وغروب = لمج في الامتحنان . . . الخ ، معظم مفرقات سفرة القنطة ماأخوفا من المفردات اليومية التي تستخدمها شيئا وزميلاتها وزميلاتها .

سفر ، جوازات مزورة ، وقطع مسافرات طويلة ، الوصول إلى مصر عبر اليمن ، تهريب أجهزة التفجير داخل المذابح ، استطلاع الكفان حول مدرسة المظري حيث تكوس شيئا ، محمد الحمراسات ومواكب المستولين ، شراء سيارة قديمة لتفخيخها - الأرواق التي حوت عليها التعليمات مكتوب عليها «سرى للغاية» .

بظواهرات مختلفة الأسماء ، أسلاك زرقاء وحمراء وصفراء ،
 صمامات ترانسستور ، أجهزة راديو ، مثاقب كهربائية ، مصابيح
 يدوية ، أجهزة تقبيلة ، كتب في هندسة السيارات
 والرونوسيكالات ، خريطة تقبيلة لشوارع القاهرة ، طنجرات ،
 وعصا ، ظلمات شتى صف بعضها في طب صغيرة ، مدافع
 سريعة الطلقات ، بطاقات شخصية مزورة بالظان ، أرطام عربات
 مزورة ، ١٩٢٤٢٢ ملاكي جيزة ، ١٩٢٤٢١ ملاكي جيزة .

لمرات متتالية مصنعا في أماكن مختلفة من العلم ، نظريات
 كهربائية وهندسية لم استيعابها والتدريب عليها ، أجهزة خفية ،
 وأخرى ملقوة .

سيد صلاح ، البرطحة ، نهاس ، الفحل ، نور ، هاني ، أمين ، وعلم
 كله وحيد أسماء الآخرين غير المعروفين حتى الآن ، رجال نفوس
 أصلهم في العشرينات ، قابلوا سرا وحلانية ، سافروا ، انقلوا ، دوروا
 وتكبروا ، لينتهي هذا كله في سبيلها قديمة تحتوي القينات والأسلاك
 والمؤلت ، توضع بجوار مدرسة القريري الإهدائية ، وجوارها أسيرة علم
 ليكون القلم مهولا وشاملا .

صباح الخميس تصحب والدنا شيما انتها للتفوفة ، فذكية ،
 فتي بدو التفتيل لمانها تنفا ، وانفا ، ابنة أسرة مصرية بسيطة ،
 حيث يحتضن الأب بالفهم فتي تصون الإتساق في المجتمع
 المضطرب ، كدعه ، سمعه من أجل شيما .

في تلك الصباح إنقبض قلب الأم ، وظلت الوفاة مع شيما ،
 أمام باب المدرسة فتي وصلت إليها متأخرة ليللا ، غير أنها تعبر

البرية إلى مكانها المعتاد ، هل كان احساسها الخفى برحمت يفرجة
ما يطفى ما كان بعد لها؟

ويا . .

في الوقت الحدد ، لم حرية ونيس الزواء المصنعة ، وضغط أحدهم
جهل التفجير ، وينطع الجحيم الذي ينتهم نسيما ، نسيما الآينة ،
لذكية ، التي كان تكنا أن يتصدر اسمها لواتم المتفرقين ، وأن تصبح
يوما ما في المستقبل لها ، تنجب للوطن زهرة أو زهرتين صاخنتين ، لها
عنها ولكن هنا كله . . م والله ، م لرحم حياتها البشرية .

ونظير البرية . .

المصطفية نحيبت . . مع طلب بزمانا القدم وتنطق الأموال . . .
عكفا تفرد لواتم التي م تبطلها بعد أيام قليلة مع الفتلة ، خلال
إعلانه التفاصيل ، كنت أأمل صلاح الإنسان الطيب ، الفراء
حسن الأئمة ، ورغم عزيمه الباقى إلا أنني وصلت صلاح تأثره
عندما نطق اسم نسيما ، وإلى جواره كان يلف والدعا الحزين ،
كث اللحية ، يادى الألم ، عيناه مقرونتان بجمع سخن ، مفعول
لكل هذه المصنعات والاتصالات والاحتياطات وأنتك الملامح التي
بجهل لها لصحابها ، ومن ورائهم ، والذين خططوا لإختيال
نسيما ، وإختيال الوطن الأمن ، وإختيال ميانىء السلام ، الذين
فقرم المسح الذي يسيء إليه الفتلة إذ برغمه شعارا ، فبريط في
العالم بالدم والعنف وإختيال الأطفال ، وهذا بالتأكيد بسعد لولئك
للتواجدين في مكان ما ، في تلك من العالم ، والذين خططوا
إختيال نسيما . . والوطن ومحاولة التنبل من الإسلاميا

اليوم تطلق سنوات ست على رحيل الدكتور محمد مصطفى .. رحل في الرابع عشر من ديسمبر عام سبعة وثمانين .. واحد من علماء مصر الكبير في القرن العشرين . ينسب إلى جبل الكبير ، طه حسين ، والعلامة ، وأمين الخولي ، وحسن علي ، وأحمد أمين وغيرهم ، وهب عصره للفن الإسلامي ، ولكتاب واحد .. ولكن أي كتاب ؟

بدأ في تصنيفه مع الأستاذ الألماني باول كلاف ، عام ثمانية وعشرين من هذا القرن . وانتهى منه تماما في يناير السابق على وفاته . أي أنفق فيه تسعة وخمسين عاما ..

تعرفت أولاً إلى الكتاب ، عندما حصلت على الجزء الرابع منه في لوائح السنين وأنا أيضاً محاولتي لاستعادة الزمن المفقود . وارتبطت بالكتاب والزلف ، وخلال السنوات التالية رحمت أتبع أجزائه وطبعاته ، وأحيته مرة بعد الأخرى ، أنه بدائع الزهور في وفائع الشعور ، لتبني القاصري محمد أحمد من إياس ، في صفحات صان عليه كاملة عاشها من قديم ، من تسيان ، شهد نهاية سلطة الماركسية ، والفرز العثماني لصر ، وسجل تفاصيل لوائح اليوم ، بروج مستصوف ، مدرك لإيقاع الزمن الداخلي ، والحديث عنه يطول . للأرجح إلى صفحات «أخبار الأوب» .

في نهاية السنين تعرفت بالدكتور محمد مصطفى لسنة التاريخ المصري . ولول مدير مصري لحنف الفن الإسلامي ، جمعنا عشق ابن إياس ، عشق كفازي ، وسعاش الصفحات ، وتغابته هو كعلم

محقق أخرج مطبوعة كاملة تعد نموذجاً رائعاً للفصل العلمي في ست مجلدات ثبت طبعه جمعية المستشرقين الألمان .

كتبت العديد من المقالات عن ابن إياس ، وتعرفت فيه على الزينى بركات ، ومن خلاله استوعبت روايتي التي تحصل لسمه ، وفي السبعينات صدرت طبعة مصورة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وبذلك لحق حلس أن يطبع الكتاب كاملاً في مصر بفضل مبادرة من الراحل صلاح عبدالصبور ، ونزار من خلفه الدكتور عز الدين إسماعيل .

غير أن جهد الدكتور محمد مصطفى لم ينته ، استمر يعمل في القاهرة ، ورغم شعوب بصره ، ونقصه في العصور ، لم يتوقف ، حتى ليزها في يناير عام سبعة وثمانين ، ست مجلدات ضخمة توثق الكتاب الأصلي ، يمكن القول إنه قام بفكك كلمة .. كلمة ، وأعاد تصنيفه ، فهرس للإعلام ، وفهرس للطرائف والحرف والصناعات ، والمواقع الأثرية ، وفهرس للمصطلحات الفلسفية ، وبالاشتراك مع الجمعية الألمانية للمستشرقين تم طبع أربعة مجلدات من القاهرة ، ورغم أن طبعها لم في مصر إلا أن العثور على نسخة منها شبه مستحيل ، إذ أن الجمعية كانت تنفق على الطباعة والحصل على نسخ كلها ، وجاء رحيل العلم الكبير قبل تمام طبع المجلدين الثقلين . الخمس الخامس ، اتصلت من ابنته الكبرى لتتني إلى مصر وصول نسختين من المجلدين ، طبعنا في بيروت لحساب جمعية المستشرقين الألمان التي يشرف عليها الآن المستعرب الألماني لولريش هرومان والمستعربة إريك كلاسن .

قالت : إن الأسرة بسرعا لن تهديني إحدى النسختين ، فلو أنه
فراد أحد الله في عمرة لأقدم على تلك ، كما فعل من قبل عند
صعود الجزئين الثالث والرابع .

مساء الجمعة إتخذت طريقى إلى منزل الأسرة في المصايف ،
كانوا جميعهم بانتظري حتى الأحفاد ، رحبت بي لرمته الألمانية
الأصل ، السيدة عاطمة ، وكان حضور العالم الكبير في غيابه ثوبا ،
فالحديث كله عنه ، عن ليالي المدينة التي أنقذها ، بدفن بصبر
وعذاب ، يحلق كل كلمة كتبها ابن لياس ، عن مكتبة القاهرة في
الفن الإسلامي والتي التي أن تحمل حيزا لاكتفا بها في مكتبة
قاهرة الكبرى إذا ما فررت أسرته تلك .

نظمت الجلدتين الخامس والسادس ، هكنا يكتمل العمل الكبير
بعد رحيل صاحبه بست سنوات ، وفي عقود ما فرات وأنظمت لا
أعرف مصدرها من مصادر التاريخ المصري أو العربي أعدت له مثل هذه
النهائس التي لموى جهيدا يولرى إن لم يتجاوز ما قبل في الكتاب
نفسه ، وبلا شك فإنها تظن أعزاء جديدة على يدائع الزهور .

لقد فرات للريخ ابن لياس مرات عديدة ، ولست بإعداد نهائس
خاصة بي ، وكنت أظن أنه لم يعد في العمر فرصة للعودة إليه مرة
أخرى ، خاصة إن صفحاته تتجاوز الخمسة آلاف ، لكننى أناب
لما بينت مرة أخرى مزودا هذه المرة بنلك التليل العلى الرابع ،
نهائسه في مجلداته الست ، ولكم أظن أن يقدم قد كتور مسير
سرحان على إعانة طبع هذا العمل العلى الرابع خدمة لتاريخ
مصر والباحثين .

وعم الله سبحانه ابن ليلي ، وهما لنا الأكبر الكبير محمد مصطفى .

ضربة في قلبك

عندما كنت مشرفاً على إصدار كتاب اليوم . . اتصل بي الكاتب الكبير أحمد رجب ، قال إن لديه كتاب عام جداً بالإنجليزية يشرح ترجمته إلى العربية ، مضيت إليه في مكتبي الفلاني دائماً للصحف تقريباً ، فالتأليف الموجودة فيه أعلى الجدل المرتفع ، بلا فراهة أنغام موسيقى عادية ، إليه يجرى يوماً في العاشرة موعد لا يتغير إلا بقدر طفيف ، فكنا بدأ يومه الطويل في هذه الهجرة العظيمة لأمنا ، وفي الواحدة يخلو إلى الفنان مصطفى حسين ليضعها الصورة النهائية لكتاب يكاتير الصفحة الأخيرة المشور أعلى هذه اليوغيات ، حتى الآن . . مازال العيون الجميل الذي يتوخى منه أحمد رجب هذه الأفكار حادة السخوية بشكل القرا بالنسبة لي ، إنه سموت لا يتخطى إلا بقدر دائم التأمل ، بعيد الإصغاء الظاهري ، فهو يخلو إلى محدته مظهراً الإصغاء العميق لكنه راحل إلى نقطة ما في الزمان والمكان ، فإرى ، نهم ، مستمع جيد جداً إلى الموسيقى الكلاسيكية ، علم بتفاصيلها رفيعة ، وسحيط بتفردات اللغة العامية أكثر من التخصصيين فيها ، مازال العالم الداخلي لأحمد رجب ، مستمعياً على أقرب الناس إليه في رأيي ، إنه رجب ، فسيح ، ولكن إلى الداخلي فهو لثبه يحيط تحت الأرض ، ولكن تقو منه هذه الإشرافات الساهرة ، ليس سهلاً أبداً أن يقدم كاتب ما لربعة

لتفكير الشاعر ، مستجدة بومها ، مطرب الأعيار ، والحب هو في
والكتابياتير الرئيس للأعيار ، ونص كلمة ، وفهامة أحمد رجب
يوم السبت في أعيار اليوم ، من هذا المخطأ خرجت شخصيات
عصية كأنها نصح بهذا الآن من لحم ودم ، وليس من رول وحبر .
هكذا رحت أفكر في عالم أحمد رجب كعادتي كلما مضيت
إليه ، بلا مبح جبانة لئلا أقدم إلى كتابتها بالإنجليزية في حجم
سطوحات بنجوين ، طبع في لندن ، عنوانه :

كيف نفهم المرأة .

بدأت أكتب صفحاته ، والمجرب بالفصحك ، كان العرب كتاب
وأنت في حياتي ، الصوف في الصلحة الأولى ، قسم المؤلف ، هتان
النشر والنصوص التقليدية الخاصة بحفظ الحقوق والتزليم الدولي
ثم الفصل الأول ، وبدأ الصفحات بحلقة لئلا من أي كتابة ، ما كنا
صلحة بقاء لئلا . . هذا هو الكتاب ، كيف نفهم المرأة ؟

كان أحمد رجب يقترح نشر الكتاب كما هو في كتاب اليوم ، كان
جلدا لئلا وصلت إلى الفكرة لئلا ، ولكنني شعيت رد فعل قراء . .

سرت الأيام وهذا الأسبوع صدر أحدث كتب أحمد رجب
«نصرة في قلبك» ، وأقبلت عليه فورا ، الكتاب حول فرجيل
والرأ ، تلك العلاقة الأزلية ، جوهر وجود الإنسانية ولقدم أحمد
رجب معاملة فريدة ، لا تكفي بالتناول الشاعر ، ولما أنتزج فيها
أخيرة المعيلة بالحياة ، والتفافة فريضة والثقة الثرية ، المشكلة أنه
لا يمكن تلخيص هذا الكتاب القريد ، الذي يتضمن فورا كبيرا من

الحكمة والفلسفة والتجربة ، والقدرة على السخرية من الرجل ،
من المرأة ، ومن العالم . . . لقد انتزع مني الكتاب ابتسامات عديدة
في زمن عزت فيه القدرة على الضحك .

ليس كفيظتي فرج البحر .

في البداية لم استوعب ا

رحمت أطلع إلى الخطاب الرقيق به لصاحبه مستطيلة من جرمياتنا
الأخبار ، إعلانات من تلك الإعلانات التي تنشر في المناسبات ، لم
يستوفضني إما بذلك لغراً الخطاب الذي تصفوه عبارة تضمن سخرية
واضحة :

أنا حلوة ثاني من عند كفيظتي .

وبعد التدباجة يقول كتابه الأستاذ يوسف أحمد سلطان وكيل
مدرسة عين شمس الثانوية ما نصه :

بعيدا عن أخبار الأدب ، أرف نهاية القلبية بإنتتاح مشاريعكم
التجارية بالطلقة الحرة ببورسعيد ، وقد يعجز البعض عن إبتراءك
العلة بين الملابس المصنوعة والأدب ، ولكن للتدليل القوي على
للحركة الأدبية المعاصرة و«الوقفة» يعرف أن القبي جيب
والميكروجيب كانت امكانات لتفكرة اللاسلكي في الأدب . . .

لم يخفى صاحب الرسالة في السخرية البطنة من الأدب
وعلافته بالتجارة ، ويطلب في نهايتها أن لنيل إتحاق ابنه مدحت
الحاصل على بكالوريوس التجارة نفعة ١٩٩٠ ، وحاصل على شهادة
الخدمة العسكرية ولم يعمل بعد .

رحبت أنظر إلى المسطور الأولى من جديد وأنا حتى الآن لا أتدري
 إن كان اسم صاحب الرسالة حليها أو مستعارا ، لكن الإعلان
 المرفق حليها بالتأكيد ، غير أنني ظننت أنني للكاتب في وسط
 المستطيل بخط أنيق الحبيب إلى الحروف للطبوعة بظلم أحدهم ،
 لكنه كان إعلانا مكتملا يبدأ بالآية الكريمة وإنما فتحنا لك فتحنا
 مبيها صدق الله العظيم . . . لم افشاح مصنع (. . .) للعلاج
 الجاهزة بالمنطقة الحرة العامة ببورسعيد لصاحبه جمال الفيحاني . .
 ثم لرقم ثلاثة عوانف ، ورقم فاكس ، ورقم هاتف السيارة .

كنت في ذهنة ، وإحساسي غيب بالمفاجأة ، لن يصدق بعض
 من لا يعرفني عن قرب أنه مجرد تشابه أسماء ، كغيب والاسم
 تامر ، لا يوجد في جهة حيث سقط رأس من اسمه الفيحاني
 إلا جدي فقط ، جدي صاحب اسمه سلامة ، وبه اسمي عائلة
 فولد التكرير ، وهو آخر جد معلوم بالنسبة لي ، ما قبله مجهول
 عندي ، الفيحاني اسم غير شائع ، منذ سنوات ظننت أن هناك
 عائلة تحمل نفس الاسم بدمياط ، وكنت أرى كثيرا شخصا في
 الزراعة مولتها اسمه الدكتور بسري الفيحاني ، وبالطبع كان يتناسى
 شعور غامض إزاء هذا التشابه البعيد ، الغامض ، لكن الاسم
 الذي لحقه القصاصة أثار عندي مشاعر متناقضة أظهرها الخبر ،
 فصاحب الشركة اسمه الكامل : جمال الفيحاني ، رحبت أتخيل
 ردود الفعل عند اصطفائي الأقربين ، بدلت أسترجع بعض
 العبارات ، والنظرات ، لهذا السبب سأبني يوسف العميد منذ
 لسرع عما إذا كنت سافرت إلى بورسعيد فربما ؟

عندما أهدت القعدة قال : أهدا .. أهدا ..

تذكرت تلك الهدية الطويل التي جرى حول اللباس الجماعية في جلستا الأسبوعية حول الأستاذ تبيب محفوظ ، والتي نظم للمهندس عماد العمودي ، والمهندس محمود كامل وكذلك من رجال الأعمال ، كانا يتحدثان عن اللباس الجماعية ثم يتكلمان ناحيتي ، وفي نظراتهما استفسار .

تذكرت زملائي ، وصحبي في الجمالية ، لابد أن نهدية للأهم الآن ، كيف أعطيت عنهم استلاكي لصنع ملابس جماعية ، بل توفعت منهاها من عبد الرحمن الأبنودي ، والدكتور محمود عبدالمسيح في ثلثنا كل ثلاثاء إذ بينهما الصعيد بالخبر ، بل ما من عهد لتعمل عند أسرني ، الزوجة والأبناء والأشقاء ؟

الزائد لديهم أني لا أتصني في فنية اللباس على أي مستوى وظلعة الأرض الوعيفة التي استنكحت حتى الانتفاع بها وليس ملكيتها مدفن حصلت عليها زمن القراء يوسف صبري أبو طالب . سفي الله أهامة خيرا . فيما هذا تلك ما زالت علة الكدح هي الغالية ، وظل الأمية الأبدية لكل مشغل بالأدب ما ظله أماسي باستمرار ، وهي فتخرج تماما للكتابة الأبدية .

كيف يستفرون أنه لا علاقة لي بهذا الصنع ، وتلك الهوائف الخمسة ، أحدها في سيارة ، لهذا أعلن للكتابة أنه لا علاقة لي بجمال الخطاطي البورسعيدي من تريب أو حيد ، وأنس جمال الخطاطي الصعيدي مولدا ونشأة ، الفطير إلى رحمة الله تعالى

ليس لدى أي فروع أخرى ، ومحتلنا الوحيد المختار تلك التومبيلات
وما لم يره من كلمات .

حوار المصطفى

يناير ١٩٩١

تذكرت الراحل لويس عوض ، عندما حضر منذ سنوات اجتماع
الرئيس بالتلفزيون في افتتاح معرض القاهرة الدولي للكتاب ،
وكتب بيدي الزجاجه من فناء التلفيزيون اليوم . وضرب مثلا
بأنه كبير . رحل عن عالمنا . ولقد يشكو إلى الرئيس لرفع
جوائز الكهرباء التي بدفعها شهريا ، وذكر أن لديه عدداً من أجهزة
التكييف في بيته !

استعدت إلى نفسي التفاصيل ما وصلني من عراقك ، واتهامات
مباينة ، مطاوعة بين مجموعة كبيرة من المثقفين احتشدوا في
حديقة أهلبه القاهرة التي لا تزيد مساحتها على صفا بيت لدم ،
ولقد ثلاثة أسابيع عجزوا عن إصدار بيان حاسم يدين الهجمة
التي تتعرض لها الثقافة ، ووجدت بعض الجماعات العاطلة فوق
الأرض ، ولحنها وفي الهواء ، والر والبحر ، الفرحة خوفاً معارك
ضارية تهرقت خلالها الاتهامات الممناعة بالصفاء ، والقبح من
الداخل والخارج ، والتهاب حسب جهات شتى ، من وزارة الثقافة
إلى النظام الملكي الجديد ، وأعنت رموز فكرية ، وبعث للمساحة
الضيقة وكأنها لمسد حتى للمساحة التي أصبح وجود المثقفين
محصورا فيها ، بينما يحرس الإزهاريون وأعداء الثقافة في القدار

كلها ، وعلى استعداد الرأى ، لا يواجهون إلا مواقع متناثرة لا تسبق بينها ولا يابط .

تذكرت هنا أثناء جلوسى فى قاعة سراى القضاة لربح ساعات ونصف أتاح الحوار بين الرئيس مبارك ومجموعة من المثقفين الكبار جدا ، ولكن ما حدث به معظمهم جسد الأزمة التى يمر بها المسيح ، وروا كان لطفى الخولى يشعر بذلك عندما قال إن هناك جيلا يكس على نفس ثلاثة أجيال ، ولابد من نهائه لإعطاء الفرصة للأجيال الجديدة ، كان لطفى الخولى صادقا فى ذلك ، لكنه هو نفسه أمثال العديد ودعوى فى تفاصيل صغيرة طلة ، واحجاب مطول بالعالم العربى - الأمريكى الجنسية الآن - أحمد زويل . . . ولكم تأثيرت برد الدكتورى نيتيس جموعة وزراء البحث العلمى ، عندما قالت إن فى مصر علماء ليس بنفس الكفاءة والعسوى العلمى وأنهم يفتشون خدمات جيلة الوطن .

ورأى أن مثل هؤلاء هم من يجب أن نتحدث عنهم مطولا وأن نقوم بالدعاية لهم ليلا ونهارا ، وأن نرفع أصواتنا لنقدم ما ينفعهم من امكانيات لمساعدتهم فى إتمام أبحاثهم ، إن طبيا عظيما مثل من عينهضار الهموم بالكمياء العربيين لهم فى منزلة العنين منى نيل أى طبيب اختار الاستمرار فى الغرب .

إن هناك مصريا مثل الدكتور سعيد سليمان ، أستاذ الزراعة بجامعة الزقازيق ليستحق تكريمها على لرفع مستوى لأنه أحدث انقلابا بأبحاثه فى زراعة الأرز ، وفر ٢٢٠ من المياه المستخدمة وخساف إنتاجية لتفادى ، والنتيجة أن مصر لديها فائض الآن من الأرز . .

لنا أن نختار بأي مصري يتبع هذا أو هناك . .

لكن واجبنا أن نرى لو كانت الساعين في عروب الريف المصري ، في مجلات البحث العلمي من يحبسون بيئنا ، وهذا سوف نوضح بطول الحديث فيه .

وأعود إلى لقاء الرئيس بالتلفزيون .



في هذه السنة لم يحدث عند الدهورين ، واستبعد بعض العاملين من أجهزة الإعلام الذين كانوا يشيرون قضاياها لا علاقة لها بالثقافة أو الفكر ، قضاياها على مستوى محافظ أو رئيس حي . . ولا يلقى شرحها أمام الرئيس ، ثم الاعتذار بديعة ، ولكن غياب الأدباء عن الاجتماع . وجود عديده من الأدباء الستينات والأجيال السابقة والملاحظة لم أرها ، وكنت أفتنى حضورهم ، وارتفاع أصواتهم . فمن الضروري أن يعضي الرئيس إلى أصوات مختلفة جديدة . .

هناك أسماء معروفة لم يعد لديها جديد ثقافي ، بل أصبح ما سهلونه يمكن التنبؤ به قطعاً .

هناك بعض من يتحدثون رغبة في إثبات الوجود ، أو سعياً للتكبر بأسمائهم ، أملاً في الانضمام إلى لجنة أو . . أي احتمال في المستقبل لعل وعسى .

هناك من يطلب الحد يثه ويقت ليؤيد ويحميه ، ويترك الكلمات ويضعها ، ويسط يده ، ويخرج ، ويتطج مرة إلى الأخر ومرة إلى سلف ، حرمها على إطالة مدة وفوقه أمام الرئيس ، وبالطبع . .

عناك من طرح مشاكل حقيقية ، والمحق . . . إن الرئيس مبارك ينتظر من الشعبين حولا محققا ، واقتراحات واضحة ، وإذا لم تنجح فإني يأتى إلى إيمان توجيهات على الفور إلى رئيس الحكومة ، أو الوزير المختص ، وهذا ما جرى معي شخصيا ، عندما أصدر توجيهاته بتشكيل لجنة لبحث تحرير الكتاب المصري من قيود الاستيراد والتصدير ، والرسوم الجمركية ، ولكم كان حاسما محققا ، قاطعا ، عندما أتته بخدمته إلى رئيس الوزراء ، إلى وزير الثقافة ، وقال إنه يجب عدم قيام أى جهة بصناعة الكتاب أو الفكر ، بما فيها الأزهر - إلا طبقا للقانون ، والأحكام القضائية ، أما أى إجراء إدارى فلا . . .

كان لقرار الرئيس حاسما ، أراح به جماعة سوداء من سماء الثقافة المصرية ، وأعلن انخراطه إلى حرية الفكر ، وحمائمه ، كانت لهجته قاطعا ، حاسما ، إلى الفرجة التي شعرت فيها أنني لست في حاجة إلى إضافة كلمة واحدة وتلقائيا شرحت في التصديق ، في نفس اللحظة كانت القاعدة كلها تصفق .



بدأ الرئيس متلقيا على المثقفين ، عرجا على حرية الفكر أكثر من المثقفين ، متمسكا بشرعية أكثر من المثقفين ، وبالطبع أشد حسما ، فلبنيهمان عنده لا يحتاج إلى مناقشة مطولة أو مستطفا ، والحرية والديموقراطية فوق كل اعتبار .

هل نسرب لنتيجة ؟

حينما سألنا . . .

عندما طالب الدكتور عبدالعظيم رمضان باستخدام الرئيس
لتصلاحيات المنوحة له طبقا للقانون الطوارئ، من أجل إصدار
قوانين أو اتخاذ إجراءات لمصلحة الشعب .

قال الرئيس إنه لن يلجأ أبدا إلى قانون الطوارئ لإصدار قوانين
ولن صدور القوانين عن مجلس الشعب هو الطريق الطبيعي .
وقضى تلك بحسم ..

عندما تحدث الأديبة سكبنة فولد عن الكتب المعادية للعمرق ،
والتي لمول صدورها جمعيات التطرف والمنتشرة في كل مكان .
وعنه ظاهرا صحيفا وعطيرة . لكنها طلبت بحسمها ومسانرتها .
قال الرئيس إن تفكير يجب أن يواجهه بالتفكير ، ولأن من يصادر
هذا الكتاب اليوم سوف يصادر غيره غدا ..

الدكتور حسن حنفي ، تحدث عن نظام «الترمين» في الجامعة
وعندما بدأ ينتقد .. قال الرئيس إنه حريص على استقلال
الجامعة ، وأنه يفضل مناقشة هذه القضية في مجلس الجامعة
بهذا الشأن جامعي .

ثلاثة مواقف بدأ فيها الرئيس مندما على المثقفين ، هم يطالبون
الطوارئ ، والتصانير ، والتدخل ، وهو يرفض وينسك بالشرعية
القانونية ، والحرية ، واستقلالية الجامعة .

التفويض طبعاً أن يتكون للثقف الحنفي ، فتدغم لغيره متطلعا
في الحرية الأتميل .

لاحظت أيضا أن معظم المتحدثين يطلبون بتشكيل لجنة ..
فدكتور ميلاد حنا .. لجنة الإسكان وإصلاح المباني .. محمد
سيد أحمد .. لجنة للمستقبل .. الدكتور كمال إبراهيم .. لجنة
للقانون الإرحلي .. الدكتور عبدالعظيم رمضان .. لجنة لتطبيق
القرآن ..

أكثر من منحنين يطلب بتشكيل لجنة ، وكلمة لجنة ذات
تأخيرات بيروقراطية ثقيلة .. ولا أذكر القائل : «إننا لربما لن نفلح
موضوعاً أحده إلى لجنة .. وهكذا يسيطر التفكير «اللجني» على
عقول بعض المتكلمين ، وهذه علامة سلبية .

أما أولئك الذين ألتاحوا وأسهبوا فيترا لثقل والفضج في نفوس
الجالسين في القاعة ، الوحيد الذي ظل مبسماً ، رحيماً ، مصفياً
بصير عفيف ، هو الرئيس مبارك .

إنني أرجو عودة الأيام على الجميع بصير ، وأنسى في الوقت
نفسه أن يكون المتحدثون إلى الرئيس في معرض العام القادم من
الأدباء ، ومن الذين لم نسمع أصواتهم من قبل ، ومن أجيال
جديدة ، بخلاف أولئك المتحدثين التقليديون الذين لم يعد لديهم
ما يقولونه .



فِرَاقُ مَكْتَبَةٍ



أعرف دائما ماذا يعني ارتباط الإنسان بمكتبته ، خاصة أولئك الذين عاشوا أعمالهم من أجل الثقافة ، إذ لرى مكتبة معينة يمكنني أن ألتف على شخص صاحبها ، ليس تكونه الفكري واعتماده فقط ، إنما درجة علاقته بكتبه واهتمامه ، وضع الكتاب فوق الرف يعني عندي الكثير ، يوجب لكتب ، العناية بها ، لذلك تولفت مطولا أمام الخير الذي ثراه عن الغافل ثم بين الدكتور ثروت عكاشة وأكاديمية الفنون ، يهدي بوجبه مكتبته إلى الأكاديمية ، وأناكف عندهما علمت أن الدكتور فوزي فهمي سعى في ذلك ، وأنه يعد مبنى أيضا يلحق بكتب مؤسس الأكاديمية وأبها الفروسي .

مضيت إلى الدكتور ثروت في بيته الذي بلغ بشارع عادي ، وخاصة للمعاني ، اليوم بانتظام ، وأصني دائما إليه ، وأعلم أنه ، وخلال العامين الأخيرين لم يخف عليّ تلك الحزن في سلاج الرجال ، ويرات صوته ، وللك لهجة الأسيان التي تبدو عند من يتأخرون لسفر طويل . لقد الله في عمره ، ولا بد أن موضوع مكتبته يلقه ، لذلك لقدم .

لبت بمراته مديونة بالكتب ، ولكن المديونة الرئيسية التسبحة ، نعل الجلدات الضخمة من خلال تواليب أنيقة ، كلاسيكية الطراز ، وكذلك مجموعة ضخمة من الأسطوانات بكافة نظما ، القديمة ، الكلاسيك ، القوي .

يلح لكتب إلى جوار القنطرة ، الطلة على حديقة ، حشاشها مديونة الخضرة ، على الجسد وولاء لوحات مطونة من الرسم

الغزالي ، ما عرفت عن الشاعرة ، عندما أبدت إعجابي بها ذات مرة ، نطع إلى الدكتور ثروت ، وقال :

■ هذه الفروحات عذبة من شاء إيران ، عندما دعاني إلى احتفال إيران الأسطوري بمرور ثلاثة آلاف سنة على احتلال لورنس عروش إيران ، والفروحات مطروحة في ألمانيا .

تم رفع اسمه موضعاً وقامه بلقي بيانا ..

■ الفروحات أبدت لي بعض الشيء ، لم أكن واثقاً وزوا المثانة .

لرمان منفيهما ، مستوحيا ، فوق الكتب صورة لواقعه إلى جوار جمال عبقثامر إلى جوار الكتب آلة لورج موسيقية ، فونها نوتة موسيقية مفتوحة ، خلال الأوقات التي تنخل عمله في موسوعات الفن الكبرى بإرس العزف ، أو الاستماع من خلال جهاز غنم حديث .

فوق الأرفق نجد فروعاً عديدة من المعرفة ، فنرات العرس ، الأدب العالمي ، التاريخ ، الفلسفة ، الحضارات ، الأساطير ، الآثار ، فسر أن الفلجبية المنطقي لتعمل بتاريخ الفن ، وذلك مراجعه التي يستمد منها مادة هذه الموسوعة المتخصصة التي يعمل في إصدارها منذ سنوات طويلة عن تاريخ الفن ، والتي اعتاد شعارها لها ، جملة من جميل التصرف الأشهر الخلاج ، «العين تسمع والأذن ترى» ترى مجموعات متكاملة من الجملان الفنية المتخصصة ، وسلاسل متكاملة في تاريخ الفن

لا يمكن الحصول عليها إلا بالاشتراك المسبق ، ومعالجة شتى
وكتب مهددة من مشاهير عصره ، باعتزاز بالغ راح يقرأ إلى ما
كتبه عبدالرحمن الشرفاوي ، ونبيب محفوظ وأندرية مطرو ،
كانت بحسب المجلد يرفق ، يفتحه ليقرأ سطورا من صفحاته ، أو
يطلعتني على لوحة دائرة ، ثم يعينه إلى مكانه بحلم ، وقد
لقد يده لتسح ثوبت تراب غلقت بأوراق ما .

يحفظ الدكتور لزوت حكاية بمجموعة أسطوانات غصية نظم
التكلاسيكيات المتعارف عليها منذ عصر قيارون حتى العصر
الحالي ، ومجموعات متكاملة من الفروحات الفنية للعمارة والفن
التشكيلى ، وقد أخرج بعضها للناس في أجزاء موسوعة عن تاريخ
الفن ، وسوف نخل الكتب العربية مدينة له بتطهير هذه الموسوعة
التي سعت فراغا كبيرا في الموضوع ، ولما من ناحية التشكيل فلأول
مرة نخرج دور النشر العربية مثل هذه المؤلفات الضخمة ، للمتن
بها ، والتي تقدم تاريخ الفن بالكلمة واللوحة ، تكاد تكون دائرة
معارف متكاملة ، أسس في استعراض الكتب ، وأولف مطولا
عند التلم منها ، ويضيق المجال في اليوميات عن استيعابها ، فلذلك
نرجى ، لتفصيلها إلى تحقيق موسوع سوف ينشر في أعمار الأصب
قريبا ، عند انصراف من البيت ، كنت أستعيد كلمات الدكتور
لزوت «مكتسبي نسبة نسي ، بي ، كل كتاب ، كل لوحة ، كل
أسطوانة هي جانب من مهجتي» .

أكد لسلك من لحظة فراق الكتب للأرق ، لكنني أحجم خشية
إعلامه ، لكنه ياتر فكانه يقرأ ما دار في نفسي .

• الأسبوع الماضي دعاني الدكتور فوزي فهمي لزيارة الأكتوبيا ،
وذهلت من الإصابات التي جرت ، وتأثرت بلقاعة التي تعد تضم
هذه الكتب ، وما جمعت طوال حياتي . . ما رأته ، وما لست من
مشاعر ، يجعل فراق مكتبي محتملا . . . 4 .

سورة نظام

سوراج . . .

استيقظت مبكرا ، نشطا ، مستهيجا ، نطقت من الفتلق الذي
يحمل اسم أسيرتي إلى النيل للهب ، عسوق الصمت ، الماضي
تقلد الأبدى ، من جنوب إلى شمال ، سأمض بعد قليل لرؤية
أسيرتي التي تلف سائلة ، خالقة في قلب مدينة أحميم ، إنها
الأميرة ميريت ، نظرية الشمس عند الغروب ، الزوجة الطكبة
لرمسيس الثاني ، الأكلاب عذبة ، ومنذ حوالي عشر سنوات ،
أرود بانتظام على أحميم لرؤية أجمل وأعظم وأكمل وأرق مثال
لأنني في الجرة التي تنسج إليها مجموعتنا الشمسية ، نعم فهذه
مثال لا شبيه له ، وهي رفقة أطول لها ، عرفته منذ أن كشفت
الصفحة عنه تحت الأرض ، كان متندبا ، متكئا على وجهه ، ثم
تكن عمراء حيث الآثار من إلفانه محاطا بالسلاات الخشبية ، وقد
علمت عند وصولي لمس أن السلاات فكت ، ولأن الأميرة
استربت أيضا نالها ، وأنها تلف متعلقة إلى جهة الغروب حيث

ملوى فرعى الشمس ، كنت سعيداً حقا ، بعد تناول الإفطار
ذهبنا إلى مكتب الاستقبال ، سلمت التفتاح ، أشار الموظف إلى
رجل عميدى التلاميذ ، قال :

«الساتي ينظرك . . .» .

صافحتهم مرحيا ، التقفنى إلى سيارة بابانية الصنع ، جيب
حديثه جدا ، صعدت إلى جولره ، تعجبت ، فلم أعهده سيارات
التفاحة الجماعية بهذه الفخامة ، أهدت التلاطفة للساتي ، قال
موقعا :

«السيارة تتبع صندوق الضمان الاجتماعى .» .

لوملت برأسى ، إذن . . . استعرات مديرية التفاحة هذه السيارة من
الصندوق لتصحنى إلى أعمهم ، كانت المرة الثانية التى أسمع فيها
بهذا الصندوق ، المرة الأولى بالأسى خلال جولرى مع اللواء محمد
حسين طنطوى محافظ سوهاج ، الصندوق هيئة جديدة ، نظم
مشروعات للتياح والشرطين ، قلبن يتخرجون من أصلهم بسبب
«المصلحة» ، والصندوق فروع فى المحافظات ، أى أنه يقوم بعملية
تشبه التنمية ، رحت أتلل السيارة الفاعرة ، والتى يتجاوز ثمنها
قتلاتمالة ألف جنيه ، الإنارة القصيرة ماهرة جدا فى الحفاظ على
نظيرها ، خاصة هذه الهيئات الجديدة التى لا تطلق عليها لوائح
الحكومة ، إن نعمن هذه السيارة كليل بنسبة فربة بأكملها . . . لكن
مضى وهذه الأفكار ، إننى استغلل عربة تابعة للصندوق ، والساتي
مهنب ، كرى ، مرمى على إهداء العناية ، غير أنه غابطنى قائلا :

فقلت مصححاً أن نسمى جمال ، فلوما صلنا ، فلبينا إلى
 أعصم . . ترفقتا لتسال عن موقع الأميرة مبروت ، فطرح صميدى
 برادى جواباً وحلماً ، قال إنه من الأمن ، ثم راح ينادى على
 الطريق عبر الشوارع الضيقة في المدينة للسكونة بالتاريخ ، فجاء
 وجدنا ألسنا في قلب سوق أعصم ، زحام كيوم الحشر ، بشر -
 حيوانات ، باعة بترشون الأرض ، فزلنا القليل مشيراً إلى الأمام .
 «التمثال فذلكنكم» . ٤١ .

كان علينا احتراف السوق الزحام كله ، اكتشفت أن بلينا لم
 يكن يرشدنا لوجه الله ، إذا ركب العربة إلى الجهة التي يقصدها
 فلما ، وتركنا في بكة السوق ، هكذا ، استغرقت الساعة الصغيرة
 حوالي ساعة حتى تخرج من الزحام الشديد .
 مضيت إلى موقع الأميرة ، جاء الأصدقاء ليحفظوا بنا ، الشاعر
 محمد أبو نومة ، ورجال الصحافة الجماهيرية ، وعبدان أعصم
 تشكيلي .

قلت بتمثال الأميرة ، والذي حضر الفنان الكبير فاكلا : إنه
 يحدث تريقة داخل الإنسان .

فصلت مصفاً للحرير الشهير ، ثم بيت ثلاثة أعصم الكائن في
 جانب أرضي بأحد المساكن الشعبية ، تم عدت إلى الفندق حيث
 سلمت مفتاح الخيمة وأخفت حقيبتي ، كنت أريد الذهاب بقطار
 الثانية والنصف ، في الطريق إلى المحطة قال السائق :

«هل يمكن أن نشرقنا عقيدة واحدة للسلام على ياسر بك . . .» .

سألت عن ياسر بك . . . قال الرجل الطيب :

«ياسر بك ، وعادل بك . . . إنيهما من رجال المستوفى . . .» .

علمت شيئا ، سألت القاعدة القديمة ، «انتظر القطار ولا تجعل
القطار ينتظرك» ، ما زلت أتحكم سلوكي في السفر ، ولكن يبدو أن
السائق حريص على لفتي برئيسه ، ربما لئلا يجرأ أحدهما .

قال السائق بعد أن لولفت العمرة أمام بناحية حديثة ، إنه لن
يتأخر ، كنت أجلس قلما ، أطلع إلى الساعة ، بقي نصف ساعة
على موعد القطار .

بعد دقائق لحقت السائق يتقدم نحو السيارة ، ويصحبته شابان ،
أحدهما متقلبة ، ملبسهما ألبنة ، كانا أشبه برجلين القبول
الاستعمارية ، لم تكن ملبسهما تشبه مرطبي القبولة العاملين في
المصعد ، سرا أخرى أتذكر في الإدارة المصرية وتلك الهيئات
الجديدة ذلك النظام الخامس ، والترتيب الأعلى والمخطوبين الذين
يسلمون بها .

تدمها السائق في قال :

«ياسر بك وعادل بك . . .» .

هذا ياسر بك مهذبا ، ولكن حادا ، ترجلت لأشكره على إقراض
السيارة للطلبة الجماهيرية ، إلا أنه تسائل :

«هل تعرف سيادتك كم ألبنت العربية معك ؟» .

اتجهت إلى حدة القهقهة رغم التهذيب الذي يلقها ، قلت :
«هيكنتك أن تسأل مديرية الثلاثة قتي استغاثتي» .

سأل عادل بك :

«أى مديرية ثلاثة؟» .

قلت محتفا أيضا :

«التي أمرتوها بحريتكم ..» .

قال ياسر بك إن هذه المرة لم نتم اعازتها إلى أي جهة وإنما
الجئنا البوليس باستغاثتها منذ الصباح ، بعد أن تعب السائق بها
لإحضار عادل بك ،عادل بك أخيرا ، ولم يعد لنا انظر عادل بك
«الأخيرة إلى استغاثت حرية أجرة» .

عنا اضح الوقت .. لو القيس قدي حدثت .

فالسيرة لم تكن في انظارى .. إنما كانت في انتظار عادل بك .
وعندما قال موظف القنصل إن المرة في انظارى ، تقدم السائق
ليصالحنى ، ولهذا خاطبني قائلا : أهلا عادل بك ، ولأنه كان
مكلفا بصاحبه ، قام الرجل بالموقف على أفضل وجه ولم يخافنى
طوال النهار .

عندما استغرب عادل بك وياسر بك الموقف ، ابسما ، وعبا
بى ، قال ياسر بك إنه سأل السائق عنهما عند إليه ، عما إذا كان
يوجد أحد في المرة تحت ، فلما أجابه أن جمال بك ينظر ، قام
مضطربا مستفسرا .

وعل تركت النتائج في السيرة ١٩ ..

لوماً السائق بالإيجاب ، عندئذ لوماً ياسر بك إلى صفك بك
وعرول الثلاثة إلى خارج المبنى ، وعندما وصلت عيونهم على العربة
نفسوا الصعداء ، وبدأت عملية التعرف على الركاب الجهور لهما
وعلى ملايكات الموضوع . . بعد الأطمئنان قال ياسر بك :

«هيكلك لآ تفصل لظمن بالقطار . .»

والم يكن نمة بديل آخر ، فالسيارة الوصفها عند الشرطة وجازى
البحث عنها ، لكنني نزلت منها وركبت القطار قبل العثور عليها أ



معالن البلقا



بشور ۱۹۹۵

قطار الصعيد ..

العودة من سوهاج نهائياً ، أخطو إلى نفسي عبر الساحات الطويلة ، مبتللاً عبر القلعة الخليل ، والمدن القديمة محاولاً التنازل إلى الأسفل الكامنة ، مستدعيًا لحظات فاتية ، باتت من حياتي المولوية ، لهذا كتلك الأعمدة المشابهة المتراجمة دائماً ، تصطبغ أسلاك القطراني .

عاشن وسيلة انتقال تيمد السفر بالنسبة لي مثل قطار الصعيد والذي يربط عنتي بالحنين إلى أول أرضي لا استسها كهنوتني في جبهة القسرية ، وأول هواء دخل رثتي ، الحنين إلى الأهل ، وإلى اللحظات المولوية .

لا أكف من الملاحظة والتأمل ، ووجدت الأحوال ، أوتف مرورا عند العامل الذي يحمل صينية الشاي والقهوة ، يتقل بها عبر عربات قطار النهار ، المتعاقبة ، فوق يد واحدة صينية يستر طرفها راحة من أكواب شاي ، تطورها راحة أخرى ، فتبوت عند الأكوام بأكثر من عشرين ، كلها ثقلة ، لا يبل ولا يحميد ، ولا تتساقط قطرة واحدة إما بدأ تلك بعد استنزاف الأكوام بين أيدي الركاب ، أنه الماتما فيخيل إلى أن الأكوام سوف تسقط لتعاقب العربات ، أو لعزلتها عند عبور فواصل ما بين القضبان ، لم تتوقف القفاجي ، وتكأنا العربات محتكة بعضها عبر الفاصل المعدنية الضخمة ، المتأخرة لشكل ، العامل في نهاية العشرينيات ، وربما بداية الثلاثينيات ، متوسط اللدنة ، لاسم ، لا يمكن استنتاج تعبير معين من ملامحه إلا الإجهاد ، لكنه يشتم دائما ، البشعة بواجه بها الركاب ، يدو أنها من الوازم التمثل ، لكنه بدأ شديد الحسرة ، لا يكف عن الضلبي والمجني . - حاصلا تلك الصينية المعاصرة والتي ذكرتها براكسي

الفواجحة في سوارح الشاهرة للزحامة ، يحصلون فوق رؤوسهم
 القوام الخيز الصغرى المحملة بالأرغفة ، يستد القطنس بيد وبيد^٤
 أخرى يقود الفواجحة ، فعدا للهبارة ومطالبة الأحوال من أجل الفرز ،
 حامل الخيز هذا لم أر له مثيلا في أي مكان زوته من العلم ، لا في
 العلم الأول ولا في الثالث ، حامل القطر هذا يبدو أكثر مهارة ، فهو
 يحمل أكوابا ثلثة ، وهو ينش داخل مركبة غير مستقرة ، منقطة ،
 متعائلة ، وينقل من واحدة إلى أخرى ، يرتدى زيا بني اللون ، وطول
 ساعت السفر لم يلقه إنسانه لاحظت أنه يخاطب الجميع .

«ها معالي البياتاء» .

كل الركاب عنده «معالي البياتاء» ، وكنت راجيا في شرب كوب
 الشاي ، لكنني كنت أعشى لأن يخاطبني أيضا «ها معالي البياتاء» ،
 وبرغم جدته ، ولديه ، ولذاتيه في العمل ، إلا أن حكاية «معالي
 البياتاء» حله خيل إلى أنها تحتوي على قدر من السخرية .

خلال السنوات الأخيرة انتشر النداء بالأماني الملقاة رسميا عند
 ثوبه بولي ، وكان لقب «بيك» سابقا ، وكثيرا ما استخدمته ، فخرجنا
 عندما كنتي من أمرف ملامحة ولحاف عنى اسمه ، وعندك من
 أخاطبه بليك من باب الفود ، ولكن عندك شخصا واحدا يبدو كلمة
 «بيك» جزءا من اسمه ، إنه الأستاذ مصطفى أمين ، فلا ينطق أحد
 العاملين بذكر أختبار اليوم أو من خارجها اسمه ، إن في حضوره أو
 غيابه إلا «مفتونا بليك» ، ومصطفى أمين بك حقيقي ، حصل
 على الباكوية في الأربعينات ، ولكن كلمة «بيك» التي نطق الآن
 مفتونة بتقدير الناس واحبهم له ، ولم أسمع قط من يخاطبه قائلا :
 «ها بياتاء» .

ما زال عامل الثورة يتسم للجمع ، ويتحى لهذا ولذاك .

«يا مصر يا معالي قيادتنا . . .»

«يا هنا وهناك يا معالي قيادتنا . . .»

أعود إلى النقطة مبسّما داخل ، استعيد مشهد بعض القصور
قديمة قديما أتقى أصحابها الأموال طائلة ، ثم آل أمرها إلى
سلطة حكومية ، أو مقر لهيئة التحرير ثم اتحاد قومي ثم لثرائكي
ثم حزب نصر ثم . . . وحتى ديموقراطي ، وإن عاجلا أو آجلا سوف
تتحول تلك القصور إلى أطلال ، كذلك الألقاب ، لو يعرف أولئك
رجال في الزمان القديم مصير الألقاب التي بذلوا الجهد والمال
والساعي للحصول عليها ، لاما مثل الوظائف العليا ، خاصة في
الزمن الملتوكي ، والوظائف الدنيا أيضا ، لو فتح مجال على ذلك
وظيفة الحاجب ، لقد كانت من أجل الوظائف في الزمن
الفاطمي ، والزمن الأموي والعباسي أيضا ، فالحاجب من كبار
رجال الدولة ، هو الذي يحجب الخليفة عن الناس ، وهو الذي
يلف بينه وبينهم ، لتتظر الآن إلى وظيفة الحاجب ، لقد أصبحت
تأصرا على صاحب الصبغة المشهورة «ممكنة»

كانت بعض الوظائف تكتسب أهمية وتفضلها مع الزمن ،
كذلك الألقاب . . .

عرفت مصر كلمة «بائنا» مع الغزو العثماني ، وهي تركية تعني
«الرأس» ، كان بائنا يعني ، من الأستانة ليتولى حكم مصر ،
وكان بعضهم على درجة من الهابة وكان معظمهم يعني ، ولا يفارق
القلعة ، همه جمع مطلق غير عين من الثروة ، فالتقى محدودا ،
واليد ليس بقده ، والمساليك التكبر والصغار يتولون أمرها ، هكذا

نظير نعتك المنصب المعزى من حوالي تسعة ملايين مع بداية
 الفزو إلى أجل من ثلاثة ملايين زمن الحطة الفرنسية ، أي خلال
 مائتي سنة . كان لقب باننا ماحسرا على الأتراك والأرناؤود
 والأرمن ، وبعده من نصف الثاني للقرن الماضي تسعروا إلى
 بانوات مصريين ، أشهرهم وأقدمهم أحمد عرابي باننا . ولكن بعد
 ثورة 1919 ، منح لقب باننا لمصريين أصلاء ، أصولهم فلاحية
 محضية ، ولربما من وشاوي كانت ترفع لشراء القلب ، وبالطبع
 بدلت قيمته في الإنحطار . حتى شاعت كلمة باننا في السنوات
 الأخيرة فتمثلت حتى لجمار القبول ، وكبار الشيوخين ، وأخرن أن
 تلك أسر لا يسعد الأديب فكبير ثروت أباخته ، وهو ابن باننا
 حليلي وشهير ، وقد أشار في أحد مقالاته إلى شعور القلب ،
 هناك باننا واحد فقط لتسم أن القلب جزء من شخصيته هو فؤاد
 سراج الذين نادى كسجارا فكويش شهر ..

«حاضر يا معالي باننا ..» .

الجديد في خطاب عامل ليوثيه كلمة معالي عند .. حقا ..
 إضافة لم أستطع ملازمة الرغبة في شرب كوب الشاي . انبست
 عند فؤاده ، مضجرا التبة على أن أطلب منه ألا يناديني ، لكنه
 ينادني قائلا :

«يا معالي باننا ..» .

بدا الإيلاج غريبا في سمعي ، قلت معانيا :

«بذمتك أنا معالي باننا ..» .

انبسم ، وخطة انبساطه رأيت تعباً ، ورغلا دفينا ، قال :

«الشفل بابك ..» .

بسرعة لموت من معالي الهائنا إلى قلبك ، قطبت مستفسرا ،
تقال موضوعا :

«أكل قميش بابك . . .»

لم نشأ أن أبوء بظهور الراكب الوحيد الذي يسلي نفسه بالحديث
إلى الرجل الذي لا يتكف عن طرح عريبات القطار حيننا ونعابا ،
لكن عبر الساعة جرى بيننا حوار منقطع ، إنه يخرج كلية الحلق ،
منذ ست سنوات لم يعمل ، ولا يمتلك إمكانية فتح مكتب محام ،
عنا هادي ، لم يعد مشيرا لأن تلقى بخرجهي جامعات متعطلين
يسعون إلى قرآن الشرف بأي صورة ، لكن ظروف عمله في
القطار بدت لي صعبة ، وبدأ تحرك القطار في الساعة والنصف من
القاهرة ، إلى أسوان ، تستغرق الساعة بدون أعطال ست عشرة
ساعة ، ويغطي هناك حوالي أربع ساعات ، تم يعود في القطار إلى
القاهرة ، إنه لا يسافر جالسا على مقعد وثير من مقاعد الدرجة
الأولى التي يتحرك بينها ، أي أنه يمضي أكثر من ست وثلاثين
ساعة في حركة مستمرة ، والأهم ، بدون نوم ، النوم مزاجل حتى
يعود إلى بيته ، ليعود من جديد ، وطوال مدة عمله الاستثنائية
ذلك لأنه لا يهتز يده ، ولا قيل ، وتحافظ الأكلوب على اتزانها الدقيق
توق الصوتي ، وهذه مدة عمل متصلة لم أسمع بها في أي مكان
من العالم ، وكانت أطول مدة متصلة متصلة في عم عبد الحميد .
رحمه الله . كان من عمالي ملهى الفيشاوي القدي ، وكذلك عم
عبد . أطال الله عمره . ولف الآن على النصبية بعد الشاي
والقهوة ، كان كل منهما يستلم العمل في الساعة صباحا
ويستمر حتى صباح اليوم التالي ، حتى الساعة أيضا ، «يطين»

ويجب يوما ويحود من جديد ، وعامل الفهم ، سواء في القبول أو القطر لا يمكنه التزويج ، أو الإضافة ، فلا بد أن يتحرك باستمرار ، وأن يلي طلب هذا ، وأن يرفض ذلك ، وأن ينتبه لمن يسلط في الحساب ، فالبحث رغم نظيره الأثني لا يتزوج عن إسقاط كواب شاي أو فنجان نهضة من الحساب فيخطر العامل إلى تذكرة ، ليس فقط بشره فتشاي أو القهوة ، ولكن بالظروف التي طلب فيها الشروب ، وعند الدفع يوم ، العامل شاكرا ، مبدأ الأعب :

«مشكورين يا معلى أبتا . .»

ويقطع القطر بحسبته من القبول . . وغير القبول . .

السلامة

هدت من افتتاح قاعدة الترميمات التكية مكتبتا ، حزينتا ، حرصت على حضور الافتتاح ، وكنت أعشى الزحام واجراءات الأمن فترتس الزوار سوف يحضر الحفل ، غير أن الفنان فاروق حسني ، أكد لي أن الفرصة ستكون متاحة للرواية .

كان مصدر اكتشافي مجهولا ، فاضفا ، القاعدة المعروض فيها الترميمات حديثة ، والدخول المأمور إليها بنظم فكرة جديدة عن عملية التحنيط ، ولكنني لم أخرج من القاعدة سعيدا ، واضحا ، كنت أستمع ما قاله الرئيس للراحل أنور السادات يوما عن إعانة علي مبارك مصر ، بما عفا القول غريبا وقتئذ ، فالترميمات معروضة منذ اكتشافها عام 1886 ، ولكنني الآن . . أتتهم ما قاله الرئيس للراحل ، وأترك ما جال بخاطري .

بعد انصراف رئيس الوزراء ، وزير الثقافة ، والكهوجين ، تزاحمت الحجارة بصورة مزعجة ، مرسلين أجناب ومصورين يسلطون أنصواء

الكشافات القوية في وجه رمسيس الثاني ، واحتشبت الأول ،
وسبى الأول ، وحتشبت الثاني ، وحتشبت الرابع ، وسرتاح ،
ورمسيس الخامس ، وفرعون مصر العظيم ملتحج ، الذي تولت
أمامه بإجلال ، فبصمته لحمل آثار الجرح القاتل وبده المنتجة
لا تزال على وضعها بعد أن نطقت نتيجة تلقيه الضربة القاتلة من
أحد الهكسوس .

كان قهرج الذي ساد القاعة عقب الاقتتاع كبيرا ، ومرعبا وهذا
قهرج ملكوف في مصر ، حيث يتجمع الكافة حول المستول الكبير ،
وصلى الأمر إلى حد النزاع حول فتارين العرش ، ثم بعد
صيحات احتجاجي ، وكان أحد المستولين عن القاعة مشغولا
بالحديث إلى بعضي ، عرضت إلى الدكتور محمد صالح مدير
التحف ، كان عند الدخول في الحشد المهيط برئيس الوزراء ، كنت
أشعر بالغبوا على هؤلاء الأجداد العظيم ، تضم تلك القاعة ثمانية
من أعظم الملوك الذين عرفتهم الإنسانية ، ملوك عظام ، فلاسفة ،
حكماء ، مجتهدين ، سلف بعضهم في ساحة القتال دفاعا عن مصر ،
ولا تزال آثار جراحهم باظنة بعدما يلرب من أربع آلاف سنة .

كنت قد فرلت عن وجود مومياء الملكة مريت آمون ، وظننت أنها
مومياء ابنة رمسيس الثاني ، تلك التي يلف لتلفها الأسم في
مدينة إخميم بعد أن اكتشف بحلال لسنوات الأخيرة ، وأنسى
لأهله أجمل قتال لآنتي في العالم ، وسوف أتفيض في الحديث
عنه ، كنت أتوقع أنسى سأرى مومياء هذه القاتلة ، الرائعة ، لكنني
اكتشفت أن مريت آمون التي ترقد في القاعة هي زوجة الملك
احتشبت الأول ١٥٦٩٥ ، ١٥٠٨ ، في ١٣ .

القاعة مجهزة بأحدث الوسائل العلمية التي تكفل ظروف العمل للعرض ، ولكن هذا وحده لا يكفي .

إن أحد عشر مومياء ملكية مصرية في فنارين متلاصقة متطابقة ، والقاعة كلها لا يزيد طولها على أربعة عشر مترا . وذلك مشكلة تتصل بالمتحف المصري نفسه ، ونسب المتكاتف الحالي بالنسبة لما يحتويه ، إن كل مومياء من هؤلاء ، في حاجة إلى متحف قائم بذاته ، لذلك أتت زيت مطيرة ليتين في سور الكرملين ، المدخل والممر المؤدي إليها طويل ، مكسو كله بالرخام الأسود ، وعلى الجانبين خلف حراس روس أشداء يلزقون الرسم والصور محلاة بالأوسمة والنياشين وإنما جند أحد الزائرين عن تطاير متفكر شجرة يتدخل الحرس على الفور ، والنهس تنوع ، والولوف تنوع ، ولا بد من المرور فقط على جسد ليتين المتخط .

وفي برلين ، يوجد رأس نيفرتيتي في متحف يكاد يكون قاصرا عليها ، يتوسط قاعة تسبعة جما ، ممتعة ، وصحبت الأضواء بحيث تبرز جمال التمثال .

ما أعتقد أن يبدأ التخطيط لإنشاء متحف خاص بالمومياءات فقط ، ملكية وغير ملكية ، وأن يخصص لكل مومياء ملكية قاعة خاصة منفردة ، لعمل جدرانها الرسوم الخاصة بالملك ، وما وصل إليها من فنونه ، ولا بد أن تعكس هذه القاعات جلال اللون ، والرهبة في نفوس الزائرين ، فلقاعة الخلية تعطي الانطباع بقاعات المتشريح .

أعرف أن بناء متحف كهذا يحتاج إلى أسواق خائفة ، وإلى خبرات ، ولكن أتى أيضا أن المهمة موجودة لدى الفنان فنانون حسني والخيال أيضا ، والتي أنه قائم على ذلك ، وحتى يتم بناء

عنا المتحف للهيبة الذي يجب أن يليه بأعظم ملوك عرفتهم
قبطية ، فراعنتنا العظام ، التي أن يتم تخصيص حرس من
القوات المسلحة لو من الحرس الجمهوري يحفظ باستمرار أمام
الضامة وداعها ، ولكن يؤمنها أيضا ، فقد لاحظت اهتمام
الأجانب بومياء مريناج ، وكان بعضهم يؤكد أنه فرعون موسى ،
وهذا امر غير ثابت تاريخيا ، لكن يجب أن نضع في الحسبان أن
هناك سحابتين يهوتا على استعداد لاختيال السموات ، مثل بلوخ
بولد شين الذي اغتال الأعياء المسلمين الركن السجود .

يجب أن يحاط فراعة مصر بكل مقاعف التكريم ، وأن يتح التما
دخول الآت لتصويرها ككائن نوعيا ، وأن يتم للزور أمام الترميمات
وليس الوفوف ، وألا يزيد عند المتواجدين داخل الضامة على عدد
معين ، وعدم الخديت بصوت مرتفع ، لكن أن بعض هذه الاجرامات
متفقا بالفعل الآن ، ولكن اللهم هو المخرج في للتابعة والتنفيذ ، ولو
لكن ، فليكن من التقليد لزيارة خلق الأضفة قبل الدخول .

تلك اجرامات عاجلة يجب التخاطبا ، والأسد عجلة هو اليد .
في التخطيط لإقامة متحف خاص بالرميمات الملكية وعرضها
بالشكل اللائق ، الهيبة ..

ربما اكتشف الآن أثناء نقوش تلك السطور بعضها من أسباب
اكتساب الضامض يوم الافتتاح ، فلكموت رعية وجلال عندنا نحن
المصريين ، ولو قدر الزمن أن يتداخل ولا أحد هؤلاء ، الأجانب ، أيا
كان . لو أحد الزائرين ، أن يذهب إلى العصر فرعونى ، فلن يجرؤ
على الاقتراب .. سجرة الاقتراب من سفر أحد هؤلاء القاعدتين ،
لستأحين الآن لكل من دفع قيمة التذكرة .

هذه المرميات اكتشفت في عام 1881 في غيبشتين بالقرب من
 لااتس ، وانتل قصة اكتشافها محور الفيلم الرابع للمرميات الذي قدمه
 لرائل شافى عنسلام إلى السينما الغربية والعلية ، كان كل ملك من
 عزلا ، معظم يرفد في ملبورث الخاصة ، مباحا بكنوز الحلى ، والأثاث
 وحتى أنواع الطعام التي كان يفضلها ، وإنما كانت محتويات مقبرة تون
 فتح لأول ، تهر معظم الآن ، وهو الفرعون الذي لم يحكم إلا فترة قصيرة
 جدا ، وتوفي فجأة وله من العمر ثمان عشرة سنة ، فلما أن نحصل
 محتويات مقبرة رمسيس الثاني الذي حكم ثمة ثمان وستين سنة ، وكان
 ملكه أسطوريا بكل المقاييس ، لقد ظلت يد العصور من كل هذه المقابر
 العظيمة ، وسرقوا الذهب ، والكنوز مع تدهور الحضارة الفرعونية ، وانحلال
 مملكتها ، هنا ، وقد لربك لكهنة عظيمة انتهت ، سموا إلى إلهة القرب
 معظم ما يلي منهم ، خاصة مرمياتهم ، فجمعوها على جبل وأغصوا لها
 توابيت خشبية رخيصة ، ودفنوها مجتمعة في موضعين ، وظلت في
 أماكنها المظلمة ، الممتدة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ، شهد العلم
 خلالها نزول ثلاثة أرباب مسلمية ، وأسس إسرافيليات وانهارها ، وفي
 القرن الخامس خرجت المرميات من مملكتها ، وبعثها حطتها التركيب
 قبيلة تابعة لمملكة الأثر ، فوجي ، رجال لشرطة وطماء الأثر بتفويض
 لعلى القرى ، خاصة النساء وعن بشرن شعورهن ، وصرحن بالكنيات في
 مركب جتازي مهيب ، مركب أنكر له كثيرا ، في دلالة ومفرد ، إنه
 المركب الأخير لهذا ، القرب الذين لم يلق أي منهم بالأحر إلا في الموت ،
 الذين عبروا تلك الأزمنة كلها ليستقر بهم الأمر في منحرف ونحمد لله
 لهم يرفدون في منحرف مصري ، في القاهرة ، وليس في القوسر أو المنحرف
 البريطاني أو الأرميناج في روسيا ، وغيرها من المنحرف التي لا يحظر أحدا
 من مرميات الفرعون .

وصلت السفينة إلى ساحل أثر الفس ، وكان هناك جسر وكثفت
لجباة الضرائب على البيضاء الواقعة من الصعيد .

وحاز موظف الجسر في هذه البيضاء الجديدة الواردة ، لم يعرف
في أي خانة يفرجها ، ولا للكوس التي يجب أن يلفها .

نظع طويلا إلى مومياءات رمسيس الثاني وسبتي الأول
والخمس ومرتاح وسنان وع وغيرهم ، ثم كتب في الكشف .

السلك بلخا . . .

سبحان من له التمام .

الأحد

بالكاد . . . أحاول الاحتفاظ بساعة أو ساعتين ليلا ، اجلس
غدا لهما إلى الكتب لأقرأ وأكتب ، نلت الجلسة التي تعد جزءا
وتيسر من لطاع حياتي ، اجتهدت في الالتزام بها منذ خمسة
وثلاثين عاما ، لم تنقطع إلا فترات محدودة جدا في حياتي ، إما
بسبب مرضي بقلبي ، أو سفر داخل مصر أو خارجها ، أو ظروف
عمل استثنائية ، مثل زمن الحرب ضد إسرائيل ، حيث كنت مقيدا
بالمصر ، إما في السويس أو الإسماعيلية أو بورسعيد ، وكنت
متجهبا بكياني كله لمشاركة الوطن محنته ، سجدنا قدامي لوصف
معارك قواتنا المسلحة زمن حرب الاستنزاف وأكتوبر ، احتل هذا
النظام العارم أيضا منذ سنة ونصف تقريبا ، فترة الإعداد لإعصار
وأعصار الأيام ، وبعد صلورها ، وخلال تلك المرحلة الأخيرة سبب
لي الاعتلال النظم الذي التزمت به طوال عمري قليلا إلا لإجابهات
النور العام الذي تقوم به ، وأعبار الأيام من أجل نشافة المصرية ،
هذا النور الذي يتولد الآن يعمل على مستوى العالم العربي كله ،

والآن العصر محدود ، والوقت الناجح لتعبير جفا ، أجهت للحفاظ على تلك الجلسة التي كانت استغرقت من قبل ساعات جفا ، ولم تعد طول الآن أكثر من ساعتين ، لذلك ينظر جلوسي أمام تليفزيون ، لا يشتدي إليه إلا عمل فني رفيع كما حدثت في رمضان من سلسلة «المائة» وطرايسكته لتلك بدلت أحقر من تكلم مثل هذه الأعمال الجيدة ، فمجرد الأعمال فتأهية أنها لا تشجع الناس على إتباعهم ، ولا كثر الآخرين على التكلم . . .

عند الليلة ، ويذبح الفضول خرجت من غرفة مكتبي إلى الصالة حيث تليفزيون ، فقلت زوجتي إن لو عابيا سابقا يتحدث في تليفزيون ، وأن حديثه مؤثر جدا ، فترت أن كفى نظرة لهذا دقائق ، لكنني وجدت نفسي مشغوبا كما لم يحدث من قبل مع أي حدث أو عمل فني منذ سنوات طويلة .

حديث متعلق ، صادق ، يمسك معاناة حقيقية ، ويضج بملق عالم شديد القرب منا ، جزء من المجتمع الذي تعينه ونحرك فيه ونشعر فيه معاناتنا ، ولكننا لا نعرف عنه شيئا بالرة ، فلنا عليه عادل عبدالمعطي .

سنوات طويلة والآف يتحركون في قري مصر وسنتها ، يتحدثون ويتناقشون ويقررون ، ويحكمون بتكفير الخلق ، ولتفريق بين الزوج وزوجته ، وتغيير الأسماء والأطفال ، يتخرون على السلاح ، ويضربون الأيدي على ساحات الساعة من الأراضى ، ويلبسون الشروعات ، ويصبحون قهريين على حل مشاكل الإسكان والزواج ، والعمل ، تتصل الأمور عليهم ، وفي مرة واحدة فقط شهد عادل محفيا كبيرا ، وأحد أعضاء مجلس نقابة ، وأحد وجود حركة الإخوان المسلمين وهو يتسلم

شيكا برع مليون جنيه من دولة عربية شقيقة ، وشقيقة جدا لسوريا
الجماعات . . . لولا أخوة بتعبير . . . يتم ذلك كله وكان هؤلاء يتحركون في
فراخ ، فراخ لا توجد به دولة ، ولا مؤسسات ، ولا نظم معمول بها .

لقد قرأت العشرات من حائل عيشة التي من قبل في المحطات ،
لكن رؤيته من خلال التلفزيون كانت مؤثرة جدا ، خاصة أنه كان
عائلا ، إضافة إلى شخصيته القوية ، وشجاعته ، ودنائه ، وأعماله
الإنسانية التي كانت سببا في توبته ، خاصة علاقته بأطفاله
كأب .

أسئلة عديدة ، وعوامل بلا حصر ، تدفقت على نفسي وأنا
أجلس مصفيا متفرجا ، بل إنني بعد دقائق سميت إلى تبني
الأصدقاء ، الأعمام غير الهائل إلى ما يطلق ، وكان وزير الجرس
ببغني ، فبعضهم اتصل بي لنفس الغرض ، الحديث في مجتمعه
يتطلب منا وقفة على جميع المستويات ، فمزال الخطر قائما ،
مئات علامات الاستفهام حلقت أمامي ، بدءا من هذا النظام
للوزراء الذي ألقاه الأعمام في الحفاء ، إلى تلك الحرية في
السجون المصرية التي تسمح بدخول مائة ألف من الكتب ،
بتعبير حائل نفسه ، والخلاوة بين الشيخ عمر عبدالرحمن وزوجته ،
بالمسبة نشرت الصحف يوم الجمعة الماضي نيللا عن زوجها أنه
وطف مطلقا بزيارة زوجته في سجنه الأمريكي ، وهذا بأن يتزوج
بأخرى إذا استمروا في منع زوجته عنه !

أسئلة عديدة تتطلب ولغة شاعرة ، ولكن ما أريد لفت الانتباه
إليه أن هذا الحديث نفسه جاء ثمرة تطور هام نشعر به جميعا في
لواء جهاز الشرطة خلال الشهور الأخيرة ، وسيفه والذي إليه جهد

كثير م من خلال إدارتي لمن الدولة ، والعلاقات العامة ، ولكن
أغريب ما نأ إلى علمي أن بعض اللذين يخافوا من الظهور في
التلفزيون ، طبعاً التحية هنا واجبة لعمود سلطان وطاقمة وزارة .
ولكنني أعتقد أن من يتهرب من لقاء واجبه ليس جديراً بالظهور
مرة أخرى في هذا الجهاز الخطير الذي بدأنا ننسحر من خلاله
صحوا في مواجهة الإخطاب ، وإن جاءت نتائجنا .

التلانيه

لبي مع الشرطة .

مع شرطة مصر الوطنية ، حيث يلف وجعلها في مواجهة الخطر
الذي يهدد وطننا ، ونازحتنا ، وحضورتنا الإنسانية ، قدر الشرطة أن
تتحمل الآن مسئوليات هائلة كعادتنا من الفروض أن تتوزع على
جهات شتى .

لبي مع كل ضابط وجندي ، يخرج من بينه في الصباح ليواجه
خطراً خطياً ، جباناً ، لا يمكن أن يهدد مصفوه ، فلا توجد خطوط قاصلة ،
لو مواقع محفظة ، كما يتم الأمر في الحروب ، ولكن لأول مرة في
تاريخ مصرنا العزيرة تصبح وحدتها الأبدية مهددة بخطر حسيم .
على ، جبان ، ورجال الشرطة فدوم أن ينحطوا للتولية الجسيمة .

في مصر منظمة نشطة لحقوق الإنسان ، بيانها شجاعة ،
وملاستها نشاطها عبوة من الصور الإيجابية للديمقراطية ونولي
لمانتها الآن محام شباب وطني ، مصري مختص ، الصديق نيل
هبرسي ، واتس النبي أن لمرأ في البيانين الصادرة عنها استنكاراً
لهذه السلسلة من الاغتيالات التي تتم لرجال الشرطة بنفس القدر
الذي تدبر به اللجنة العتف .

هذا المفهوم الذي نختاره وصاحبنا الفخر من أجل مصلحة
صلاحه ، ليس إنسانا له حقوق ؟

هذا قضايه الذي يسلط شهيدا ، هذا الجندي الجند الفخري . .
كبرت حقوقه في الحياة عن أبسط الحقوق المتعارف عليها في
أدبيات حقوق الإنسان ؟

كل شهيد من هؤلاء ، يترك وراءه الطفالا وزوجة ، هل ننسى هؤلاء ؟
كم معاني قضايه ؟

كم معاني الفخري أو الجندي ؟

لقد ارتفعت أسوارنا من أجل تدعو إلى الكتاب شعبي لتعويض
ضحايا الإرهاب ، ولم تستمر الدعوة ، وأعرف شخصيا عددا كبيرا
من رجال الأعمال على استعداد للتبرع ولكن لا يوجد تحرك جندي
حتى الآن ، ولأنني لؤمن أن جميع الأحزاب الخلقية عاجزة ،
فأعتقد أنه لا بد من تحدى شخصية شعبية قوية مثل هذا العمل ،
والوحيد القادر على ذلك هو الأستاذ مصطفى أمين ، لكم أتسى أن
يدعو إلى حملة تبرعات من أجل ضحايا الإرهاب ، وهناك لجنة
شعبية ضد الإرهاب يتولى إمامتها أحمد يحيى مدير المصرف
العربي القوي ، وتضم شخصيات ثقافية ونية وسياسية بارزة ،
يمكن أن تتولى الجانب العملي في المشروع .

كثيرون من شعبنا الطيب الأصيل ، يريدون اتخاذ موقف ضد
الإرهاب ، لكنهم لا يعرفون إلى من يتجهون ولا ماذا يفعلون ؟
الأرهاب

لقرأ عن علاقات بين محافظ لسيوط الخالي وبين أمين الحزب
الوطنى وبعض قياداته في لسيوط .

اقرأ وتلويح الأسي ، والقرارة .

انتظر منتظا ينشط فيها الإرهاب لعاني خطلا في العلاقات بين أجهزة الدولة وبين قيادات الحزب الحاكم .

العلاقات ليس مستعدتا ، ولا جديدا ، نفس العلاقات كان موجودا خلال تولي اللواء حسن الألفي ، منصب محافظ أسبوط ، وفي يوميات الأخبار كتبت عنه صراحة بعد زيارتي لأسبوط في ديسمبر عام ١٩٩٢ ، وبعد أن اجتمعت على تفاصيل تدخل أي إنسان محائل ، ولا لربما استخدام تشبيهات أدبية ليس لأنها مستهلكة ولكن لأنها أكليشيهات ، ولكن ... لأن الوضع في أسبوط متفعل حقا ، وترافيس الخطر تفرج منذ سنوات على صفحات الجرائد ، والوضع كما هو بالنسبة لبعض القيادات الحزبية ، بعضها واتحت كرهها ، والأخر شديد الصلة بالإرهاب

كل التفاصيل معروفنا في شوارع ومدن أسبوط ، ومطاميرها ومدارسها ، ومصالحها الحكومية ، والنتيجة ... تلك الأيام القليلة التي نعيشها أسبوط .. فماتنا ننظر ؟

المعجب

بصراحة لم أكن أتصور أن يحدث ذلك يوما ..

لن يُهتد شطرين بولند واحد من أعظم شهداء مصر بالظرد من مسكنه ، ومن الذي يهتد؟ هيتا رسمية ، هيتية ، يهودا ، محافل قدم شجاع أتى فلما أنه لم يُخط علما ، بما يجري ، هو القصر إبراهيم العراس ، أما الهيتة فهي الغربية للمصنع الحربي

لما الهيتة بالظرد من مسكنه فهو سير الرماحي ، القليل القديه لركان حرب إبراهيم الرماحي ، أحد رموز العسكرية المصرية

لكنه زمن يمكن أن تتوقع فيه حدوث أي شيء ، ولقد رأيت فيه من الأحوال ما تصورت أنه كاف ، لأن شهر فضولي شيء آخر ، غير أن ما عرض لي يكاد يصيبني أحيانا بالذهول .

الواقعة معروفا سير الرفاعي إنذ . . أحد أقدم العاملين بالهيئة العربية للتصنيع ، يمكن القول إنه من مؤسسيها ، وتاريخ خدمته لوزاري ، مشرف بحق ، يلهم في شقة بالمصارة رقم ١٠ شارع نهرو ، مصر الجديدة ، والمصارة واحدة من الشركات تخصصها الهيئة لسكنى العاملين بها ، تخصصت له الشقة منذ التاسع من أغسطس ١٩٧٩ مطابق الانتفاع لثروة مائة ونسمة وسيمون جنبها شهريا .

في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٢ بلغ سير الرفاعي السن القانونية للتقاعد وعمل قرار رئيس الهيئة بإحالة إلى العاش ، والقروعي أن يستعد الإنسان لاستقبال حياة عادية ، خاصة بعد عمر طويل من الخدمة والفتاني في العمل ، لكن سير الرفاعي لم يكن يعلم أنه سيواجه ظروفًا صعبة .

طلب منه إخلاء الشقة لأن مدة خدمته انتهت . .

هذا تقدم سير الرفاعي بطلب إلى رئيس الهيئة بطلب الاستمرار في إقامته بالشقة ، ليس استنادا إلى أسباب إنسانية مشروعة ، أسطفا ، كيف يطلب من إنسان لمنى حياته بهمة وشرف في سبيل العمل أن يخرج من شقته إلى شارع ليواجه وضعًا غير إنساني في هذا العمر المتقدم مع أسرته ، ومع والده الذي تجاوز التسعين للقيام معه . هذا الأب قدم لصر شهيدين عظيمين إبراهيم الرفاعي ومن قبله صالح الذي استشهد في اليمن . فحتى كل هذه الاعتبارات جانيا مع أنها اعتبارات لا يمكن تجاهلها ، لكنها تستند

إلى القانون الذي يحاول الهيئة استخدامه ضد سمير الرفاعي^٢، فليس يدانس الهيئة قرر سنة ١٩٨٥ في ٢٢ يوليو بالتحديد أنه :
«في إطار ما تفرزه لوائح الهيئة من رعاية اجتماعية للمعاملين ومن
يعتادونهم شرعا ، بسبب العمل ، يجوز للهيئة المختصة أن تسمح
بإستمرار الترخيص بشغل الوظيفة في الأحوال الآتية :

١ - للمعامل الذي انتهى عمله بإلزام من التعاقد أو

وهذا القول ينطبق تماما على سمير الرفاعي ، إلا أن الطلب الذي
تقدم به مشغوخا بذكره بعد الخدمات التي أوفدها للهيئة لم تنفع له ،
واستمرت الهيئة في مواصلتها للتصليب ووقعت لقبها طرد ، بحيث هذا
في الوقت الذي لم فيه عليك المصارف الأخرى للمعاملين ، ولكن هذا
الوقت يبدو غير بعيد من بعض المسئولين في الهيئة ، وهو الحبيب القدي
الذي زوجه يوما في سفر فيلادلفيا لفرقة ٢٦ المشرفة قبل حرب أكتوبر ،
ومماثلت لذكره مرات حوته وملائحته العسكرية .

والقول له : بنفس النظر عن جميع الاعتبارات التي تتعلق بما تقدمه
سمير الرفاعي للهيئة ، والوضع القانوني الذي يحيطه الحق في
الاستمرار بالسكن ، بنفس النظر عن سقوط والتكليفات ، ودعاوى
الطرد ، أسائل : أليس من حق الأب الذي يمتاز بالتسعين الآن ،
والذي قدم للوطن شهيدين ، وكلاءها من الرموز ، أليس من حقه
علينا أن نكفل له أياها عيادة آمنة مع ابنه الذي تعاقد بعد عصر
سنوات^٣ . أم لنفج بهما إلى الشارع في ظروف صعبة ، ثم نتحدث
بعد ذلك عن الأتمتة . . . والمثل التي تقدمها إلى الشباب .

أرجو من الفريق العراقي أن يفسح حفا لهذا الكابوس الذي بأس
العقل أن يصدقه !!

الفهرس

<p>١٤٤ - وصل .. وصل .. وصل .. وصولاً</p> <p>١٤٥ - من السفر هناك ..</p> <p>١٤٦ - كلمة .. بكلمة .. تكتبها</p> <p>١٤٧ - الخطبة القبطية</p> <p>١٤٨ - متى عارف أنا مين ؟</p> <p>١٤٩ - حورم بلسونة</p> <p>٢٠٢ - اللاتون سنة</p> <p>٢١١ - وثقوت للاكينة</p> <p>٢٢١ - وجود قاهرة</p> <p>٢٢٤ - عطا الوزير .. النيل</p> <p>٢٢٧ - عبود الثوت لبالاً</p> <p>٢٤٧ - الفصح الجسبل</p> <p>٢٥٧ - كابتن خزائن ..</p> <p>٢٦٢ - مدخل إلى القديسة</p> <p>٢٧٤ - انطباعات بلوسية</p> <p>٢٨٤ - اغتيال شيماء</p> <p>٢٠٧ - نراق مكتبة</p> <p>٢١٧ - سطلن قياتنا</p>	<p>٢</p> <p>١١</p> <p>١٩</p> <p>٢٩</p> <p>٣٧</p> <p>٤٥</p> <p>٥٢</p> <p>٦١</p> <p>٧٢</p> <p>٨٢</p> <p>٩٢</p> <p>١٠٧</p> <p>١١٧</p> <p>١٢٢</p> <p>١٤٢</p>	<p>- عارف .. من الققوم إلى الرباع</p> <p>- يا حمام الحس .. منك وقتك سلام</p> <p>- لسن من الله .. إلى الله</p> <p>- القلوب بين يدي الله فوق عرفة</p> <p>- القفرة الكبرى .. من عرفة إلى الرجم</p> <p>- الإقامة في سنس</p> <p>- سلام عليك ومنك يا رسول الله</p> <p>- لحظات من ليلة القدر</p> <p>- بون .. بون ..</p> <p>- حديث في القاعة الوطنية</p> <p>- زمن الرزولة ..</p> <p>- في الخيال</p> <p>- زميلة صحاحية كبرى</p> <p>- في بر صخر الجنوس ..</p> <p>- كاتب النيل</p>
--	--	---